(٢ آ) بسم الله الرحمن الرحيم

« وما توفيقي الا بالله عليه توكلت »

الحمد لله الذى جعل الخلافة الدّاوودية بإمامها الأعظم ثابتةَ القواعد ، ومدّ رِوَاقها المُعْتَضديَّ على كافَّة الأمة فأروى بصَوْب عِهاده المعاهد ، وصيّر بيتها المعمور كعبةً للقُصَّاد ومحرابَها الإمامىَّ وِجْهةً للمقاصد ، وجمع لها نُعوت الفضل فى قَرَنٍ [1] فناصرُها المنصور ، وطالعها الرشيد ، ومُسترشِدها المهتدى إلى أرشد المراشد ، أحمده على أن رفع قدر الديار المصرية بنقل الخلافة المقدسة إليها ، وقدّمها على سائر الممالك فأَمستْ ومَدارُها فى المُهمَّات عليها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة يتجاوز فضلها الحدّ ، ويتوارثها الخلف عن السلف ،

(١) القرن : حبل يقرن به البعيران .

فيرويها الابنُ عن الأَب والأَبُ عن الجَدّ ، وأَشهد أَن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أَفضل نبي عمّت دعوته أَقاصِيَ الـكون على بُعْد المسافة ، وبقيت معجزتُه على مرّ الزمان حيث بشَّر عمَّه العباسَ أَن ببنيه تُخْتم الخِلافة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، الذين قُلِّدوا أُمور المِلّة فحَمَوْا سَرْحَها (١) وصانوا ، وحملوا أَعباء الشريعة فما ضَعُفوا عن حملها وما استـكانوا ، صلاةً يدوم فى الوجود حُكْمُها ، ولا ينقطع على تعاقب الأَيّام رَسْمُها .

وبعد ، فلما كانت الخلافة هى حَظيرةَ الإِسلام ومُحيط دائرته ، ومَرْبَع رعاياه ومَرْتع سائمته ، بها يُحفظ الدِّينُ ويُحمَى ، وتصان بَيْضة الإِسلام وتَسـكُن الدَّهْمَا ، وتُقام الحدودُ فتُمْنَعُ المحارمُ عن الانتهاك ، وتحفظ الفروجُ فتصان الأَنساب عن الاختلاط والاشتباك ، وتُحَصَّن الثغورُ فلا تُطرَق ، ويذاد عن الحُرَم فلا تُقْرَع جُنَّةُ جَماها (٢) ولا تُرْشق ، لا سيما الخلافةُ العباسية التى هى واسطة عقْدها ، (٢ ب) وخُلاصة سَبْـكها وخالص نقدِهـا ،

---

(١) السرح : فناء الدار وكل شجر طال

(٢) الجمى : ظهر كل شيء ، وشخصه

وغاية طلبها وضالَّة نَشْدِها ، وكانت قد فَوّضت إلى الديار المصرية خِيامها فاستغنت بها عن السِّوَى . وحطَّت بِفنائها الأَنيقِ رَحْلَها فأَلْقت عصاها واستقرَّ بهـا النَّوى ، وتفيَّأَتْ ظلالَها فجعلتها دار الإمامة وقُبَّة الإسلام . وعلمت أَنهـا خيرٌ مُستقرًّا فاستغنَت بها عن دار السلام [1] ، فكان لها بالبيت الحاكمىِّ أَحمدُ عُقْبَى ، واستأْثرت من بَقاياه بخير أَئمة فجَرَّت أَذيالها تِيهًا وماسَتْ بأَعطافها عُجْبـا ، ثم لم تزل تَحُثُّ مَطِيَّتَها ، وتُعْمِل رَوِيَّتها ، إلى أَن أَناخت بفناء الإمام الأَعظم ، والخليفة الذى إن كان فى الزمان متأَخِّرًا فهو فى الحقيقة مُقَدَّم ، والسيِّد الذى هو من آبائه الخلفاء الراشدين خيرُ خَلف ، فمن وَلَدِ المستكفى الأَكفاءِ ومن عَقب الحاكم الأَحـكم ، الإمامِ المعتضد بالله أَبى الفتـح داودَ أَميرِ المؤمنين بنِ الإمام المتوكل [2] عـلى الله أَبى عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أَبى الفتـح أَبى بـكر ، أَيّد الله تعالى به الدّين ، وأَعزّ بأَعلامه المنصورة عِصابةَ المسلمين ، فَأَنسَتْ مآثره المُعتضديّة ما عُرِف

---

(١) دار السلام : بغداد

(٢) في الأصل «الامام الأعظم بن المتوكل على الله» وعلى كلمة الأعظم علامة الإضراب عنها وانظر آخر الكتاب الخاتمة جـ ٣ صـ ٣٧٥ فنسبه كما هو مثبت .

للمعتضد الأوّل من المآثر ، وأربَتْ على الأوائل مناقبه الجليلةُ حتى قيل : كم ترك الأوَّلُ للآخر ، وأشْعَرَتْ بالفَتْح كُنْيَتُه الشريفــة فخَفَقتْ بالنصر راياتُه السُّود ، وآذنت بالفضل خلافتُه المعظَّمة ولا يُنــكَر فَضْلُ الخلافة لداود .

أحببت أن أخــدم خِزانتــه العــاليــة بتأْليــفٍ فى معالم الخلافة يَشتمل على دقائق حقائقها ، ويتــكفَّل بذكر لوازمهــا المستطْرَفةِ ولواحِقها ، مُحَلِّياً له من جواهــر المناقب المعتضدية بما يعلو به قدره ، وتغلو به قيمتــه ويرتفــع به ذكْره ، ليسير هــذا التأْليف (۳ ا) بانتسابــه إليــه فى الآفاق سَير المَثَــل ، ويُخَلَّــدَ بذِكْر مناقبه الشريفةِ ذِكْرُه على مرّ الدهورِ وتعاقُب الدُّوَل ، وسمّيته « مآثر الإنافة فى معالم الخلافة » . على أنى أعتذر مما أتيت ، وأستغفر مما لمثله تصدَّيت ، إذ لم أكن من قبيل هذا الشَّان ، ولا من فُرسان هذا الميــدان ، بل أميرُ المؤمنين أمتــع اللهُ الوجودَ بوجوده بــذلك أدْرَى ، وبمعرفتــه أجــدرُ وأحْرى ، فــكنت فى ذلك كناقل التمــر إلى

هَجَر ، [١] ، والمقابل ِببُلالة الرَّشْحِ زاخرَ البحر وَهامِعَ المطر ، وإنما قصدت بذلك التقرُّبَ إلى خاطره الشريف ، والشكرَ لما أَسلف من بِرِّه التالِدِ ونَوَاله الطَّريف ، واللهُ تعالى يَقْرِنه بالقَبول ، ويَبسُط بالمَمَادح المعتضديّة لسانَ مُؤلّفه فيقول ويطول .

وقد رتبته على مقدمة وسبعة أَبواب وخاتمة .

المقدمة

فى معنى الخلافة ، ومن ينطلق عليه اسم الخليفة ، ومن تكون عنه الخلافة ، وكيفية النسبة إلى الخليفة ، وما يقع عليه من الكُنية والأَلقاب .

الباب الأول

فى وجوب عَقْد الإمامة لمن يَقوم بها ، وبيان شروط الإمامة التى لا تصحّ بدونها ، والطرق التى تنعقد بها ، وما يلزم الخليفةَ للرعية ، وما يلزم الرعيةَ للخليفة ، وما ينعزل به الخليفة ويخرج به عن الإمامة .

---

(١) في مجمع الأمثال في الباب الثانى والعشرين «كمستبضع التمر إلى هجر» قال أبو عبيد : هذا من الأمثال المبتذلة ومن قديمها ، وذلك أن هجر معدن التمر والمستبضع إليه مخطىء

البـــاب الثانى

فى ذكر من وَلِىَ الخلافة من صدر الإسلام وهَلُمَّ جرّا إلى زماننـــا (٣ ب) وتفصيلِ حال كلّ خليفـــة منهم وولاة أقطار الإسلام شرقاً وغرباً فى زمانه ، والحوادث والمَاجَرَياتِ الواقعـــة فى أيامه ، وبيـــان مَقَرَّات الخلافة وما انْطوَتْ عليه من الأَقاليم ، وترتيبِ الخلافة على ما كانت عليه فى الزمن القديم ، وذكر المشاهير ممن ادَّعى الخلافةَ فى بعض الأَقاليم وبطلانِ شُبْهة دَعَاوِيهم .

البـــاب الثالث

فى ذكر ما يُكتب للخلفاء من البيعات والعهود فى القديم والحديث .

البـــاب الرابع

فيما كان يُكتب عن الخلفاء من ولايات ملوك الأَقاليم وأُمرائها ، وولايات الوزراء والقضاة ، والولايـــة على الصلوات ، ونقابةِ ذوى الأَنساب ، وغير ذلك من سائر الولايات الدينية والديوانية ، وما يـــكتب عنهم الآن .

البـــاب الخامس

فيما كان يُكتب عن الخلفاء في الإقطاعات وتحويل السنين ، وإلزام أَهل الذِّمة الشرائطَ اللازمةَ لهم .

البـــاب السادس

فى المـــكاتبـــات الصـــادرة عن الخلفاء وولاة العهـــد بالخلافة ، والـــكتبِ الصادرة عن الملوك والوزراء ونحوهم إليهـــم .

البـــاب السابع

فى ذِكْر أَوائـــلَ منسوبةٍ إلى الخلفـــاء وغرائبَ ومُلَحٍ وأَعاجيبَ تتعلَّق بهم .

الخـــاتمة

(١٤) فى ذكر طرف من مناقب الإمام الأَعظم ِ المعتضدِ بالله خليفةِ العصر الموضوع له هذا الـــكتاب .

وهـــذا بسط هذه الترجمة وتفصيلها

مقدمة

فى معنى الخـلافةِ ، ومن ينطلق عليـه اسم الخليفة ، ومن تكون عنه الخلافة ، وكيفية النسبة إلى الخليفة ، وما يقع عليه من الـكُنية والألْقاب ، وفيه فصلان :

الفصل الأول

فى معنى الخلافة ، ومن ينطلق عليه اسم الخليفة ، ومن تـكون عنه الخلافة ، وكيفية النسبة إلى الخليفة .

أَما الخلافة فهـى فى الأَصل مصدر خَلَف ، يقال : خَلَفه فى قومه يخلُفه خِلافة فهو خَلِيفة ، ومنـه قوله تعـالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخيهِ هٰرُونَ اخْلُفْنِى فى قَوْمى ﴾ [1] ، ثـم أُطلقت فى العُرْف العـامّ على الزَّعامة العُظمَى ، وهى الوِلاية العامّة على كافّة الأُمّة ، والقيامُ بأُمورها والنهوض

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٢

بأَعبائها . والخِلِّيفَى – بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة – لغةٌ فى الخلافة حكاها الجوهرىُّ وغيره ، قال ابنُ الأَثير (١) فى « نهايته فى غريب الحديث » : وهو من المصادر الدالّة على معنى الكثرة ، ومنه قولُ أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو أُطيق الأَذان مع الخِلِّيفَى لأَذَّنت . يريد أَنه مشتغل عن الأَذان بكثرة اجتهاده فى ضبط أُمور الخلافة وتصريف أَعنَّتها . (٢) وقد (٤ ب) اختُلف فى لفظ الخليفة .

فقيل : هو فَعِيلٌ بمعنى مَفعول ، كجَريح بمعنى مجروح ، وقتيل بمعنى مقتول ، ويكون المعنى أَنه يَخلفه مَنْ بعده ، وعليه حُمِلَ قولُه تعالى فى حق آدم عليه السلام ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فى الْأَرْضِ خليفَةً ﴾ (٣) على قول من قال : إن آدمَ أَوّلُ من عَمَرَ الأَرضَ وخلفه فيها بنوه بعده .

---

(١) ابن الأثير هو أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى الملقب مجدالدين ولد سنة ٥٤٤ هـ وتوفي سنة ٦٠٦ انظر ترجمته في ابن خلكان .

(٢) في النهاية لابن الأثير مادة خلف جـ ١ ص ٢١٥ المطبعة العثمانية سنة ١٣١١ : وفي حديث عمر : لو أطقت الأذان مع الخليفى لأذنت . الخليفى بالكسر والتشديد والقصر الخلافة وهو وأمثاله من الابنية كالرميا والذليلا مصدر يدل على معنى الكثرة يريد به كثرة اجتهاده في ضبط أمور الخلافة وتصريف أعنتها .

(٣) سورة البقرة الآية ٣٠

وقيل : هو فَعيل بمعنى فاعل، كعليم بمعنى عالم، وقدير بمعنى قادر ، ويكون المعنى فيه أنه يَخْلُف من بعده[1] ، وعليه حَمَلَ الآيةَ السابقة – وهى قوله تعالى ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ – من قال : إنه كان قبل آدمَ فى الأَرضِ الجِنُّ أَو الملائكةُ وإنه خلفهم فيها . واختاره أَبو جعفر النحاسُ[2] فى كتابه « صناعة الكُتَّاب » وعليه اقتصر الماوردى[3] فى « الأَحكام السلطانية »[4] قال النحاس : وعليه خوطب أَبو بكر رضى الله عنه بخليفة رسول الله ، وعلى ذلك ينطبق كلام البَغَوىّ[5] فى « شرح السنة » حيث سُمِّىَ خليفة لأَنه خلف الماضى قبله ، ثم قال النحاس : وإطلاق الخليفة على أَمير المؤمنين يحتمل الوجهين جميعا .

واختلف فى الهاء فى آخره ، فقيل : أدخلت فيه للمبالغة ، كما أدخلت فى رجل داهية للكثير الدهاء ،

---

(١) كذا في الأصل ولعلها « قبله »

(٢) أبو جعفر النحاس هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادى النحاس النحوى المصرى توفي بمصر سنة ٣٣٨ هـ انظر ترجمته في ابن خلكان وفي إنباه الرواة ومصادره فيه.

(٣) الماوردى أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصرى توفي سنة ٤٥٠ وعمره ٨٦ سنة انظر ترجمته في ابن خلكان .

(٤) في الأحكام السلطانية ص١٢ مطبعة السعادة سنة ١٩٠٩ ويسمى خليفة لأنه خلف رسول الله صلى الله عليه في أمته .

(٥) البغوى : هو الحسين بن مسعود توفي سنة ٥١٠ أو سنة ٥١٦ انظر شذرات الذهب ج ٤ ص ٤٨ وابن خلكان ترجمته .

وراوية للكثير الرواية ، وعلّامة للكثير العلم . وهو قول الفرّاء [1] واستحسنه النحاس ناقلاً له عن أكثر النحويين ، ونُقِلَ عن على بن سليمان [2] تَخْطئته احتجاجاً بأنه لو كان كذلك لكان التأنيث فيه حقيقيًّا ، وليس كذلك ، وقيل : الهاء فيه لتأنيث الصيغة ، قال النحاس : وربما أسقطوا الهاء منه وأضافوه فقالوا ، فلانٌ خليفُ فلانٍ ، يعنون خليفته .

ثم الأصل فيه التذكير نظراً للمعنى ، لأن المراد بالخليفة رجلٌ وهو يُذَكّر فتقول : أمر الخليفة بكذا ، على التذكير ، وأجاز الكوفيون فيه التأنيث على اللفظ (ه ا) فيقال أمرَتِ الخليفةُ بكذا . وأنشد الفراء [3] :

أَبوكَ خليفةٌ ولدَتْه أُخرى   وأَنت خليفةٌ ذاك الكمالُ

ومنع البصريّون ذلك محتجّين بأنه لو جاز ذلك لجاز : قالت طلحةُ ، فى رجل اسمه طلحةُ ، وهو ممتنع ، قال النحاس : فإن ظهر اسمُ الخليفة تعيَّن

(١) الفراء هو يحيى بن زياد ولد سنة ١٤٤ هـ ومات سنة ٢٠٥ انظر ترجمته في ابن خلكان .
(٢) على بن سليمان هو الأخفش الأصغر النحوى توفي سنة ٣١٥ هـ انظر ابن خلكان ترجمته .
(٣) انظر البيت في اللسان مادة خلف .

التذكير باتّفاق ، فتقول : قال الراضى الخليفةُ ونحو ذلك .

ويجمع الخليفةُ على خلفاء ، على معنى التذكير د اللفظ ، كما فى جمع كريم على كُرماء ، وظريف ظُرفاء . وعليه ورد قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَـ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ [1] ، ويجمع أيضاً عـ خلائف حملا على تأنيث اللفظ ، كما تجمع صحيفة على صحائف ، وعليه جاء قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّـ جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ [2] ، قال النحاس : ويجـ أن يُجمع على خِلافٍ ، كـكريم وكِرام ، لأَن الهاء زائد

وأما من ينطلق عليه اسم الخليفة . فقد ذهـ جماعة من أئمة السلف منهم أَحمد بن حنبل رحمه إلى كراهة إطلاق اسم الخليفة على من بعد الحسن على رضى الله عنهما فيما حكاه النحاس وغيره محتجين بما رواه أَبو داودَ والتِّرمذِى [3] من حديـ سَفِينَةَ : أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(١) سورة الأعراف الآية ٦٩ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٦٥ .

(٣) الترمذى ج ٩ ص ٧١ وأبو داود ج ٢ ص ١٧١ .

الخلافة فى أُمتى ثلاثون سنة ثم مُلْك بعد ذلك . قال سعيد بن جَهْمان ثم قال [لى سفينةُ] : أمسك خلافة أبى بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان ثم قال : أمسك خلافة علىّ وخلافة الحسن ، فوجدناها ثلاثين سنة . قال سعيد : فقلت له : إنّ بنى أُمية يزعمون أن الخلافة فيهم . قال : كذب بنو الزَّرْقاء ، هم ملوك من شرّ الملوك .

والذى عليه العُرْف المشاع من صدر الإسلام وهلم جرّا إطلاقُ اسم الخليفة على كل (٥ ب) من قام بأَمر المسلمين القيامَ العامّ على ما تقدم ، إما ببيعة من أَهل الحل والعقد ، وإما بعَهْد ممن قَبْله على ما سيأْتى ذكره إن شاءَ اللهُ تعالى . إلاّ أن بعض السلف قد خصص ذلك بما إذا كان الإمام جاريا على منهاج العدل وطريق الحق . فقد رُوى أَن أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأَل طلحة والزبير وكَعْبا وسلمان عن الفرق بين الخليفة والمَلِك ، فقال طلحة والزبير : لا ندرى ، فقال سَلْمَان : الخليفة : الذى يعْدِل فى الرعية ويَقسم بينهم بالسَّوِيَّة ، ويُشفق عليهم شفقة الرجل على أَهله ، والوالد على ولده ، ويقضى بينهم بكتاب الله تعالى . فقال كعب : ما كنت

أَحسب أَن فى هذا المجلس من يُفَرِّق بين الخليفة والمَلِك . ولكنّ الله تعالى أَلْهَم سلمانَ حُكْماً وعلْماً . وعلى ذلك يُحْمل ما رُوى أَن أَعرابياً قال لأَبى بكر رضى الله عنه : أَنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : لا ، قال : فما أَنت؟ قال : أَنا الخالِفة بعده . قال ابن الأَثير [1] : قال ذلك تواضعاً وهَضْماً من نفسه حين قال له أَنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أَى أَن الخليفة هو الذى يقوم مَقام الذاهب ويسدُّ مَسدَّه ، والخالفة هو الذى لا غناء عنده ولا خير فيه . على أَن البغوى قال فى «شرح السنة» : إنه يسمى خليفة ، وإن كان مخالفاً لسيرة أَهل العدل .

وأَما من تكون عنه الخلافة فللعلماء فيه ثلاثة مذاهب :

المذهب الأَول أَن الخلافة تكون عن الله تعالى ، فيقال فى الخليفة : خليفةُ الله . وهو ما حكاه الماوردى فى «الأَحكام السلطانية» عن بعضهم لقيامه بحقوقه

(١) النهاية لابن الأثير حـ ١ ص ٣١٥ مادة خلف .

تعالى فى خلقه احتجاجاً بقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [1] ثم قال : وامتنع جمهور الفقهاء من ذلك ونسبوا قائله إلى التجوز محتجّين بأنه إنما (١٦) يَسْتخلِف من يغيب أو يموت ، والله تعالى باقٍ موجود على الأبد لا يغيب ولا يموت . وذكر الشيخ محيى الدين النووى [2] رحمه الله فى كتابه « الأذكار » نحوه ، وقال : ينبغى أن لا يقال للقائم بأمر المسلمين : خليفةُ الله . ويؤيد ذلك ما حُكى أنه قيل لأبى بكر الصديق رضى الله عنه : يا خليفة الله ، فقال : لست بخليفة الله ولكنى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : يا خليفة الله . فقال : ويلك لقد تناولتَ مُتناولاً بَعيداً ، إن أُمى سمتنى عُمر ، فلو دعوتَنى بهذا الاسم قبلتُ ، ثم كبرت فَكُنّيت أبا حَفْص ، فلو دعوتَنى به قبلتُ ، ثم ولّيتمونى أُمورَكم فسميتمونى أمير المؤمنين ، فلو دعوتنى بذلك كفاك . وأجاز البغوى ذلك فى حق آدم وداود عليهما السلام دون غيرهما ، محتجًّا

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٥ .

(٢) هو يحيى بن شرف توفي سنة ٦٧٦ ، شذرات الذهب ﺣ ٥ ص ٣٥٤ .

بقوله تعالى فى حقّ آدم : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فى الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (١) وبقوله فى حقّ داود ﴿ يَا داوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ ﴾ (٢) قال : ولا يسمى أحد خليفةَ اللهِ بعدهما .

وأجاز الزمخشرى (٣) فى « تفسيره » ذلك فى سائر الأنبياء عليهم السلام .

المذهب الثانى أن الخلافة تكون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقال فيه : خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه خلفه فى أمته ، وعليه ينطبق كلام الماوردى فى « الأحكام السلطانية » والنحاس فى « صناعة الكتاب » وعلى ذلك خوطب أبو بكر رضى الله عنه بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم فى المذهب الأول أنه لما قيل له : يا خليفة الله ، قال : لست بخليفة الله ولكنى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى ذلك ينطبق كلام البغوى فى « شرح السنة »

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠ .

(٢) سورة ص الآية ٢٦ .

(٣) هو محمود بن عمر توفي سنة٥٣٨ شذرات الذهب ج ٤ ص ١١٨ وابن خلكان ترجمته وانظر تفسيره ج ١ ص ٢٠٩ « إنى جاعل في الأرض خليفة » لأن آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبى .

حيث قال : الخليفة وخليفة رسول الله . وتبعه النووى على ذلك فى «الروضة» .

المذهب الثالث أن الخلافة قد تكون عن الخليفة قبل ذلك الخليفة ، فيقال : فلان خليفة فلان ، واحدا بعد واحد ، حتى ينتهى إلى أبى بكر رضى الله عنه (٦ ب) فيقال فيه : خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى ذلك خُوطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أول أمره بخليفة [خليفة] رسول الله .

وأما كيفية النسبة إلى الخليفة

فإنه يقال خَلَفِىٌّ بفتح الخاء واللام ، كما ينسب إلى حنيفة حَنَفِىّ . وقول العامة : درهم خَلِيفَتِىٌّ ونحوُه خطأٌ ، إذ قاعدة النسب أن يُحذف من المنسوب إليه الياء وتاء التأْنيث على ما هو مقرر فى كتب النحو .

الفصل الثانى

فيما يقع على الخليفة من الكُنية والألْقاب .

أما ما يقع على الخليفة من الكنية ، فلم تزل الكُنى

جاريةً على الخلفاء من بدء الخلافة وهلم جرّا ، جريًا فى ذلك على عادة العرب فى الاهتمام بشأْن الكنية ، والاعتناء بأَمرها ، والتعظيم بوصفها ، فكانت كنيةُ الصّدّيق رضى الله عنه أَبا بكر ، وكنية عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبا حَفْص ، وكنية عثمان رضى الله عنه أَبا عَمْرٍو ، وكنية علىّ بن أَبى طالب رضى الله عنه أَبا الحسن . واستمر الأَمر فيهم على ذلك إلى زماننا . بل ربما لزمت الكنيةُ أَحدَهم حتى لم تكد تفارقه ، كأَبى العباس السَّفاح ، وأَبى جعفرٍ المنصورِ ، وغيرهما . وقد قال النووى فى « الأَذكار » : والأَدبُ أَن يخاطَبَ أَهلُ الفضل ومن قاربهم بالكنية ، وكذلك إن كُتِب إلى أَحد منهم رسالة أَو رُوى عنه رواية . وقد كان الأُوَلُ أَكثر ما يعظم بعضهم بعضاً فى المخاطبات والمكاتبات ونحوها بالكنى ، وَيَرَوْن ذلك فى غاية الرفعة ونهاية التعظيم . ومما يجب التنبيه عليه هنا أَنه إذا كان (١٧) للرجل ولد واحد كنى به بلا نزاع ، فإن كان له ولدان فأَكثر كنى بأَكبرهم. فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يُكنى أَبا القاسم ، وكان القاسم أَكبر بنيه .

وفى سنن أَبِي داود والنَّسائي[1] ، عن شُريح الحارثى [عن أَبيه] [2] أَنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه ، فسمعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكنونه بأَبِي الحكم ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله هو الحكم ، فَلِمَ تكنى أَبا الحكم : فقال : إن قومى اختلفوا فى شيء فأَتونى فحكمت [3] بينهم . فرضى كِلا الفريقين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أَحسن هذا ! فما لك من الولد ؟ قال : شُريح ومسلم وعبد الله . قال : فمن أَكبرهم ؟ قال شريح ، قال : أَنت أَبو شريح .

قال النووى : فلو تكنى بغير أَولاده فلا بأْس ، فلو لم يكن له ولد أَصلا بأَن لم يُولد له فإِنه يجوز تكنيته ، حتى الصغير ، قال : وقد كان تَكَنَّى جماعةٌ من الصحابة رضوان الله عليهم قبل أَن يولد لهم ، كأَبِي هريرة ، وخلائقَ لا يُحصون من التابعين . قال : ولا كراهية فيه ، بل هو محبوب بشرطه . ثم قد

---

(١) أبو داود حـ ٢ ص ١٩٩ . والنسائى حـ ٨ ص ٢٢٦ .

(٢) اسمه هانئ بن يزيد بن نهيك انظر الإصابة حرف الهاء القسم الأول

(٣) في الإصابة : قال لأن قومى إذا اختلفوا في شيء أتونى فحكمت بينهم ...

يكون للرجل كنيتان فأكثر ، فقد كان لأميرِ المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ثلاثُ كنى : أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو لَيْلى .

وأما ما يقع على الخليفة من الألقاب فأربعة ألقاب :

اللقب الأول عبدُ الله ، وأول من تلقب بذلك من الخلفاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكان يكتب فى كتبه الصادرة عنه : من عبد الله عمرَ أميرِ المؤمنين . وتبعه مَنْ بعده من الخلفاء على ذلك ولزموه ، حتى أن المأمون كان اسمه عبدُ الله ، فكان يكرِّر فى كتبه وعهوده لفظ عبد الله مرتين ، الأُولى منهما اللقب والثانية الاسم الخاص ، فكان يكتب فى كتبه : من عبدِ الله عبدِ الله بن هارون . وفى العهود : هذا ما عهد (٧ ب) عبدُ الله عبدُ الله [١] بن هارون .

قلت : ثم أحدث الخلفاء الفاطميّون بالديار المصرية أيام قيامهم بها بعد ذلك : وَوَلِيّه . فكان يُكتَب فى كتب خلفائهم : من عبد الله وَوَلِيِّه فلانٍ أميرِ المؤمنين . حتى كان

(١) في الأصل : « عبدالله بن عبد الله بن هارون » وهو لا شك سهو .

العاضدُ آخرُ خلفائهم بها . وكان اسمه عبدَ الله ، فكان يُكْتَب عنه : من عبدِ الله ووليِّه عبدِ الله . إلى آخره . ثم تبعهم على ذلك خلفاء بنى العباس بالديار المصرية أيضاً بعد تحول الخلافة من بغداد إلى مصر ، والأَمرُ باقٍ على ذلك إلى الآن .

اللقب الثانى الإمام . وهو من الأَلقاب المُسْتجَدَّة للخليفة فى أَثناء الدولة العباسية بالعراق . والأَصل فى ذلك أَن الشّيعة كانوا يُعبِّرون عمن يقوم بأَمرهم بالإمام ؛ من حيث إن الإمام فى اللغة هو الذى يُقتدى به . وهم بأَئمتهم مُقتدون ، وعند أَقوالهم وأَفعالهم واقفون ، لاعتقادهم فيهم العِصْمة . وكان إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس قد تلقب حين أُخذت له البيعة بالخلافة بالإمام ، نسْجاً على هذا المنوال ، وبقى فى خلفاء بنى العباس إلى الآن .

اللقب الثالث لقب الخلافة الخاص بها ، كالمنصور ، والهادى ، والرشيد ، والمأْمون ، والمعتصم بالله ، والمتوكل على الله ، ونحوِ ذلك ، على ما سيأْتى ذكره فى تراجمهم

إن شاء الله تعالى . وقد كان الخلفاء الراشدون من الصحابة رضى الله عنهم بمَعْزِلٍ عن هذه الأَلقاب . واختُلِف فى بنى أُميــة ، هل كان لهم أَلقاب نحوُ ذلك ؟ فذكر القُضَاعىُّ فى «عيون المعارف فى أَخبار الخلائف» أَن خلفاء بــنى أُمية لم يتلقّب أَحدٌ منهم بأَلقاب الخلافة ، وإنما ابتُدِئَ ذلك فى الدولة العباسية ، وحــكى ابنُ حَزْمٍ فى بعض مُصنّفاته أَن خلفـــاء بنى أُمية تلقَّب منهم جماعــة بأَلقاب الخلافة ، وأَن أَوّل من تلقب منهم بأَلقاب الخلافة معاوية بن أَبى سفيان ، (١٨) وأَن لقبه كان الناصرَ لحقّ الله ، ثم تبعــه باقى خلفاء بنى أُميــة على التلقيب ، على ما سيأْتى فى تراجمهم إن شاء الله تعالى . قال ابن حزم : وليس بصحيح .

أَما خلفاء بــنى العباس فلا نزاع فى جَريان أَلقاب الخلافة عليهم من بدء أَمرهم وإلى آخر وقت ، وقد اختُلِف فى لقب أَبى العباس السّفّاح أَولِ خلفائهم فقِيل: القائم ، وقيل : المهدى ، وقيل : المُرْتضَى ، ثم تلقّب أَخــوه أَبو جعفــرٍ بعــده بالمنصــور ، واستمرّت الأَلقاب جارية

على خلفائهم كذلك ، إلى أن ولى الخلافة أبو إسحاق محمد[1] ابن الرشيد بعد أخيه المأمون ، فتلقب المعتصمَ بالله ، فكان أول من أُضيف فى لقبه اسمُ الله تعالى . وجرى الأَمر على ذلك فيمن بعده من الخلفاء ، كالواثق بالله ، والمتوكل على الله ، والطائع لله ، والقائم بأَمر الله ، والناصر لدين الله ، وما أَشبه ذلك .

قلت : وكان من عادتهم أَنه لا يتلقب خليفةٌ بلقب خليفة قبله ، بل يُقْتَضَبُ[2] لكل خليفة لقبٌ يخصّه ، إلى أَنْ صارت الخلافة إلى الديار المصرية ، بعد انقراضها من بغداد بقتل التَّتر المستعصمَ ، على ما سيأْتى ذكره إن شاءَ الله تعالى ، فترادفوا على الأَلقاب السابقة متواردين على أَلقاب من سلف من الخلفاء ، فتلقب أَبو القاسم أَحمد بن الظاهر بأَمر الله أَولُ خلفائهم بها بالمستنصر بالله ، وهو لقب أَخيه المستنصر بالله بن الظاهر من خلفاء العراق . وتلقب بعده أَبو العباس أَحمد بن حسين ثانى خلفائهم بالحاكم بأَمر الله ، وهو لقب أَبى علىٍّ المنصور بن العزيز

(١) في الأصل : « أبو إسحاق ابراهيم بن الرشيد » وهو خطأ سيأتى صوابه في ترجمته وكما ذكر أيضا صوابا في كتابه صبح الأعشى جـ ٣ ص ٢٥٩.

(٢) يقتضب هنا معناها يرتجل . يقال : اقتضب الكلام إذا ارتجله .

ثالث خلفاء الفاطميين بالديار المصرية ، ثم لم يزالوا على اقتفاء آثار الخلفاء قبلهم إلى الإمام الأعظم المعتضد بالله أبى الفتح داود خليفةِ العصرِ ، فتوارد لقبه مع لقب خليفتين قبله ، وهما المعتضد بالله أبو العباس أحمد ابن المُوفق طلحة بن المتوكل على الله (٨ ب) جعفر السابع عشر من خلفائهم بالعراق . والمعتضدُ بالله أبو الفتح أبو بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سُليمان من خلفائهم بمصر ، وهو جدّ الإمام المعتضد بالله لأبيه ، ولم يتوارد أحدٌ من الخلفاء قبله مع غيره من الخلفاء العباسيين على لقبٍ ثلاثَ مرات سواه .

واعلم أن كثيرا ممن ادّعى الخلافة فى بعض الأقاليم ، كالخلفاء الفاطميين بالمغرب وبالديار المصرية ، وخلفاء بنى أُمية بالأندلس ، قد مَشَوْا على نهج خلفاء بنى العباس فى الألقاب ، فتلقب أبو محمد عبيد الله أولُ خلفاء الفاطميين بالمغرب المهدىّ ، ثم تلقب بنوه من بعده بالمغرب والديار المصرية بألقاب الخلافة المضاف فيها اسمُ الله ، كالقائم بأمر الله ، والمنصور بالله ، إلى أن كان آخرهم العاضد لدين الله .

وجرى خلفاء بنى أُمية بالأَندلس فى أَول أَمرهم على قاعدة خلافتهم الأُولى ، من عدم التلقيب من لَدُن أَوّلهم عبدِ الرحمن الداخل إلى أَن ولى منهم عبدُ الرحمن بنُ محمد المعروفُ بالمقتول ، وهو الثالثَ عشرَ من خلفائهم بالأَندلس ، فتلقب بالناصر ، بعد أَن مَضَى فى خلافته تسعٌ وعشرون سنةً ، وتبعه مَنْ بعدَه منهم على ذلك ، إلى أَن ولى عبدُ الرحمن بنُ محمد بنِ عبد الملك بن الناصرِ عبدِ الرحمن المقدَّمِ ذكرُه فتلقب بالمرتضى بالله ، وهو أَول من أضيف فى لقبه منهم اسم الله تعالى ، مضاهاة لخلفاء بنى العباس فى ذلك ، وجرى مَنْ بعده من خلفائهم على مثل ذلك ، إلى أَن كان آخرهم هشام بن محمد ، فتلقب بالمعتد بالله . وبزواله فى سنة ثمانٍ وعشرين وأَربع مائةٍ انقرضت خلافتهم من الأَندلس . ثم تبعهم على ذلك ملوك الطوائف من بنى هُودٍ وغيرِهم ، فتلقبوا بأَلقاب الخلفاء ، وكذلك المُوَحِّدون ببلاد المغرب ، فتلقب إمامهم محمد بن تُومَرْتَ بالمهدىّ ، وتبعه أَتباعه على ذلك(١٩) فتلقبوا بأَلقاب الخلفاء ، إلى أَن كان الأَمر منهم فى عَقِب أَبى حَفْصٍ

أَحدِ العشرة أَصحاب ابن تُومَرْتَ المذكور ، فنسجوا على منوالهم فى ذلك ، إلى أَن كان منهم أَبو عبد الله محمدُ بنُ أَبى زكريا يحيى ، فتلقب بالمستنصر بالله ، فكان أَوّلَ من أُضيف فى لقبه اسمُ الله منهم ، وتبعه مَنْ بعده على ذلك إلى زماننا .

قلت : وهؤلاء جميعهم على منوال بنى العباس ناسجون ، وعلى آثارهم مُقتفون .

* وأَين الثُّريَّا من يدِ المتناوِلِ *

اللقب الرابع أَمير المؤمنين ، وأَول من لُقِّب به أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أَثناء خلافته ، وكانوا قبل ذلك يَدْعُون أَبا بكر رضى الله عنه فى خلافته بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دعوا عمر بعده فى أَول خلافته بخليفة خليفة رسول الله .

واختلف فى أَصل تلقيبه بذلك ، فروى أَبو جعفر النحاس فى كتابه «صناعة الكتاب» بسنده إلى أَبى

وَبْرة [1] أَن أَبا بــكر رضى الله عنــه كان يَجْلِد فى الشراب أَربعين ، فجئتُ عمرَ رَضى الله عنــه فقلت : يا أَمير المؤمنين ، إِن خالدًا بعثنى إِليك . قال : فيمَ ، قلت : إِن الناس قد تَخَافُّوا العقوبةَ . وانهمــكوا فى الخمر . فما ترى فى ذلك ؟ فقال عمرُ لمن حوله : ما ترون ؟ فقال علىٌّ : نرى يا أَمير المؤمنين ثمانين جلدةً ، فقبِــلَ ذلك عمرُ ، فكان أَبو وَبْرة ثم علىٌّ بن أَبى طالب أَوّلَ من لقبه بذلك . وذكر أَبو هلال العســكرى فى كتابه « الأَوائل » أَن أَصل ذلك أَن عمر رضى الله عنــه بعث إِلى عامله بالعراق أَن يبعث إِليــه رجلَيْن عارِفَيْن بأُمور العــراق يسأَلهما عما يريد ، فأَنفذ إِليــه لبيدَ بنَ ربيعة وَعدِىَّ بن حاتم ، فلما وصلا المدينــة دخلا المسجد . فوجدَا عَمْرو بنَ العاص ، فقالا له : استأْذن لنا على أَمير المؤمنين ، فقال لهما عمرٌو : أَنتما والله أَصبتما اسمَه . ثم دخل (٩ ب) على عمر فقال : السلام عليك يا أَمير المؤمنين ، فقال : ما بَدَا لَك يابن العاص ؟ لتخرُجَنَّ من هذا القول ، فقص عليه القصةَ فأَقره على ذلك ، فكان ذلك أَوّل تلقيبه بأَمير المؤمنين .

(١) فى الأصل « إلى ابن أبى وبرة » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٥ ص ٤٧٥ وقد جاء بعد ذلك صحيحا

قلت : ولزم هذا اللقبُ مَن ولى الخلافةَ بعده إلى الآن ، خلا خلفاء بنى أُمية بالأَندلس ، فإنهم كانوا يُخاطبُون بالإمارة فقط ، إلى أَن ولى منهم عبدُ الرحمن بن محمد المعروف بالمقتول المقدّمُ ذكرُه ، فتلقب بأَمير المؤمنين ، واستمر ذلك فيهم إلى حين انقراضهم ، وملوكُ الحَفْصِيِّينَ من بقايا المُوَحِّدين بإفريقية يُخاطبون فى بلادهم بأَمير المؤمنين إلى الآن ، وتَرِدُ كتبهُم على ملوك الديار المصرية متضمِّنةً لذلك .

أَما ملوك الغرب الأَقصى الآن من بنى مَرِين فإنهم يُخاطبون بأَمير المسلمين ، جرياً على ما استقر عليه أَمرُ تلك البلاد من التلقيب بذلك ، من حينِ أَحدثَ هذا اللقبَ أَميرُ المسلمين يوسفُ بنُ تاشفين فى دولة المُلَثَّمين من لَمْتُونة من البربر .

البــاب الأَول

بعد المقدمة ، فى وجوب عقد الإمامة لمن يقوم بها ، وبيان

شروط الإمامة التى لا تصح دونها . والطرق التى تنعقد بها . وما يلزم الخليفةَ للرعية ، وما يلزم الرعيةَ للخليفة ، وما ينعزل به الخليفةُ ويخرج به عن الإمامة ، وفيه ستة فصول :

الفصل الأول

فى وجوب عقد الإمامة لمن يقوم بها . قال الماوردى : وعقدها لمن يقوم بها واجب بالإجماع وإن شذ عنه الأصمُّ [1] . يعنى حيث لم يَقُلْ (١٠ ا) بوجوب ذلك ، مشيرا بذلك ، إلى أنه لو ندَر المخالفُ مع كثرة المُجمعين لم تنقطع حجِّيَّةُ الإجماع ، كما هو الراجح فى كتب أصول الفقه .

وقد [2] اختُلف فى أَصل وُجوبها ، فذهب قوم إلى أن وجوبها ثابت بالعقل ، لما فى طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم عند التنازع ، ولولا ذلك لكانوا فوضى مهملين ، وقد قال الأَفْوه

(١) الأحكام السلطانية ص ٣ : وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع .....

(٢) الأحكام السلطانية ص ٣

الأَوْدى وهو شاعر جاهلى[1]

لا يَصلح الناسُ فوضى لا سَراة لهم
ولا سراة إذا جُهَّالُهمْ سادُوا

وذهب آخرون إلى أنها إنما وجبت بالشرع ولا أثر للعقل فى ذلك ، لأَن الإمام يقوم بأُمورٍ شرعية كان يجوز فى العقل أَن لا يرد التعبد بها ، فلم يكن العقل موجبا لها [2] . واحتجّ لذلك بأَنه لا بد للأُمة من إمام يقيم الدين ، وينصر السنة ، ويُنصف المظلومين من الظالمين ، ويستوفى الحقوق ويضعها مواضعها . قال الماوردى : ولا خلاف بين أهل العلم أنها فرض كفاية كالجهاد ونحوه إذا قام بها من هو أَهل لها سقط فرضْها عن كافة الناس ، وإن لم يقم بها أَحدٌ أَثِم من الناس فريقان : أَحدُهما أَهلُ الحلّ والعقد حتى يختاروا للأُمة إماماً يقوم بأَمرهم . والثانى أَهل الإمامة حتى ينتصب للإمامة أَحدهم . قال : ولا إثم ولا حرج على مَنْ عَدَا هذين الفريقين من سائر

(١) ديوان الأفوه : الطرائف الأدبية ص ١٢ وانظر فيه مراجع الشعر .

(٢) الأحكام السلطانية ص ٣

الأُمة فى تـأْخير إقامة الامام [1] قال النووى فى «روضته» فإن لم يـكن من يصلح إلا واحد تعيّنت عليه ولزمه طلبها إن لم يَبْتَدُوه .

الفصل الثـانى

فى شروط الإمامة ، وقد اعتبر أَصحابنا الشافعية رضى الله عنهم (١٠ب) لصحة عقدها أَربعة عشر شرطاً فى الإمام .

الأَول الذُكورة ، فلا تنعقد إمامـة المرأَة . واحتَـجَّ له بما رواه البخـارى [2] من حديث أَبى بَـكْرة رضى الله عنه أَنه قال : نفعنى الله بـكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أَيام الجَمَل بعـد ما كدت أَن أَلحق بأَصحاب الجمل فأُقاتل معهم . قال : لمـا بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أَن أَهل فارس ملَّـكوا بنت كسرى قال : لن يُفلح قومٌ وَلَّوْا أَمرهم امرأَةً . زاد الترمذى والنَّسائى [3] : فلما قدمت عائشةُ البصرةَ ذكرتُ قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَعصَمنى الله تعالى به .

---

(١) الأحكام السلطانية ص٣ مع اختلاف يسير فيالتعبير .

(٢) البخارى حـ ٩ ص ٥٥

(٣) الترمذى حـ ٩ ص ١١٩ والنسائى حـ ٨ ص ٢٢٧

والمعنى فى ذلك أن الإمام لا يستغنى عن الاختلاط بالرجال؛ والمشاورة معهم فى الأُمور ، والمرأَةُ ممنوعة من ذلك ، ولأَنَّ المرأَةَ ناقصةٌ فى أَمر نفسها حتى لا تملك النكاح ، فلا تُجْعل إليها الولاية على غيرها .

الثانى البلوغ ، فلا تنعقد إمامة الصبى لأَنه مُوَلًّى عليه ، والنظرُ فى أُموره إلى غيره ، فكيف يجوز أَن يكون ناظرا فى أُمور الأُمة ؟ على أَنه ربما أَخل بالأُمور قَصْدًا لعلمه بعدم التكليف .

الثالث العقل ، فلا تنعقد إمامةُ ذاهبِ العقلِ بجنون أَو غيره ، لأَن العقل آلة التدبير ، فإذا فات العقلُ فات التدبيرُ . وقد قسم الماوردىّ [1] زوالَ العقل إلى مالا يرجى زواله وما يرجى زواله :

فأَمَّا ما لا يرجى زواله كالجنون والخَبَل فيمنع من عقد الإمامة ، سواء كان مُطْبِقا لا يتخلله إفاقة أَو تخلله إفاقة ، وسواء كان زمنُ الجنون أَكثرَ من زمن الإفاقة أَو زمنُ الإفاقة أَكثر من زمن الجنون .

(١) الأحكام السلطانية ص ١٤

وأما ما يرجى زواله كالإغماء فلا يمنع من انعقاد الإمامة ، لأنه مَرض قليلُ اللُّبْثِ سريعُ الزوال .

الرابع البصر ، فلا تنعقد إمامة الأعمى ، لأنه إذا مُنع عقدَ ولاية القضاء (١١ ا) وجواز الشهادة فمنعه صحّةَ الإمامة أولى .

أما عَشَاءُ العين — وهو أن لا يبصر معه ليلا — فإنه لا يمنع صحة عقدها ، لأنه مَرضٌ في زمان الدعة يرجى زواله .

وأما ضعف البصر فقد قال الماوردى [١] إنه إن كان يمنع معه معرفة الأشخاص إذا رآها فإنه يمنع من الانعقاد ، وإن كان لا يمنع معرفة الأشخاص عند رؤيتها لم يمنع من الانعقاد .

الخامس السمع ، فلا تنعقد إمامة الأصم ، وهو الذى لا يسمع البتةَ ، لأنه يتعذّر عليه بذلك سماعُ مصالح المسلمين ، ولأن ذلك يمنع ولاية القضاء ، فَلَأَن يُمنع ولاية الإمامة أولى .

أما ثقل السمع وهو الذى يدرك معه الصوت العالى فقد

---

(١) الأحكام السلطانية ص ١٥

قيل : إنه يمنع عقد الإمامة ، وقيل : لا يمنع .

السادس النطق . فلا تنعقد . إمامة الأخرس ، لما فى ذلك من فوات مصالح الأمة بعدم القدرة على النطق عند الخطاب . واختلف فى تمتمة اللسان ونحوها ، فقيل : يمنع انعقاد الإمامة وقيل : لا يمنع .

السابع سلامة الأعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض ، فلا تنعقد إمامة من ذهبت يداه أو رجلاه لعجزه عما يلحقه من حقوق الأمة .

أما ما يمنع بعض العمل أو فقد به بعض النهوض ، كذهاب بعض اليدين أو إحدى الرجلين ، فالذى ذهب إليه الماوردى [١] وصححه الرافعى [٢] من أئمة أصحابنا الشافعية أنه لا تنعقد معه الإمامة ، وخالف أبو سعد المُتَوَلِّى [٣] من أصحابنا الشافعية فى ذلك ، فذهب إلى انعقادها . ولا أثر لما لا يؤثر فقده من الإعضاء فى رأى ولا عمل

(١) الأحكام السلطانية ص ١٥

(٢) الرافعى هو عبد الكريم بن محمد توفي سنة ٦٢٣ فوات الوفيات ترجمته وشذرات الذهب ح ٥ ص ١٠٨

(٣) المتولى هو عبد الرحمن بن مأمون توفي سنة ٤٧٨ ابن خلكان ترجمته وشذرات الذهب ٢ – ٣٥٨ وفي الأصل كتب أبو سعيد .

ولا نهوض ، كقطع الذكر والأُنثيين ونحو ذلك .

قلت : وقد رأيت فى « مناهج الفكر ومباهج العبر » أن الخَصِىَّ إن خُصِىَ قبل التِّسع حُفِظت عليه صفات الطُّفولية حتى إذا غضب بكى كالطفل إذا غضب ، وإن خُصى لما بعد ثمانى عشرة سنةً حُفِظت عليه صفات الرُّجُوليَّة . (١١ ب) وإن خصى لما بين ذلك فأَى الأَمرين كان إليه أَقرب فهو إلى طبعه أميل ، فإن صح ذلك فينبغى أن يراعى مثله فى قطع الذكر والأُنثيين .

الثامن الحُرِّية : فلا تنعقد إمامة من فيه رقٌ فى الجُملة سواء القِنُّ[1] والمُبعَّض ، والْمُكاتَب والمُدَبَّر ، والمُعَلَّق عِتْقُه بصفة ، لأَن الرقيق محجورٌ للسيِّد ، فأُموره تصدر عن رأى غيره . فكيف يصلح لولاية أُمور الأُمة ؟

التاسع ، الإسلام : فلا تنعقد إمامة الكافر على أى أَنواع الكفر أَصليًّا كان أَو مرتدًّا[2] لأَن المقصود من الإمام

---

(١) القن الكامل العبودية والمبعض من فيه جزء حر وجزء رقيق . والمكاتب : من يفرض عليه مال إن أداه أعتق . والمدبر : من شرط عتقه بعد موت سيده ، والمعلق عتقه بصفة من يتوقف عتقه على حدوث أمر أو فعل أى صفة تحدث يتعلق بحدوثها عتقه .

(٢) في الأصل أى أنواع الكفر كان أصليا كان أو مرتدا

مراعاة أُمور المسلمين والقيام بنصرة الدين ، ومن لا يكون مسلما لا يراعى مصلحة الإسلام والمسلمين .

العاشر ، العَدَالة : فلا تنعقد إمامة الفاسق ، وهو المتابع لشهوته ، المُؤْثر لهواه ، من ارتكاب المحظورات ، والإقدام على المنكرات ، لأَن المراد من الإمام مراعاةُ النظر للمسلمين ، والفاسقُ لم ينظر لنفسه فى أَمر دينه . فكيف ينظر فى مصلحة غيره ؟

أَما ما يتعلق بالاعتقاد لعروض شبهة ففى انعقاد إمامته معه خلاف ، وظاهر كلام الماوردى [1] أنه لا يمنع كما لا يمنع من ولاية القضاء وقبول الشهادة .

الحادى عشر ، الشجاعة والنجدة : فلا تنعقد إمامة الجبان ، لأَنه محتاج إلى الشجاعة ليتوصل بذلك إلى حماية البَيضة وجهاد العدوّ اللذين هما جُلُّ المطلوب من نَصْب الإمام . لأَنه يحتاج إلى تجهيز الجيوش ، وفتح البلاد والحصون ، وقتل الأَعداء ، فإذا لم يكن شجاعاً لم يستطع ذلك .

---

(١) انظر الأحكام السلطانية ص ١٤

الثانى عشر ، العلم المؤدى إلى الاجتهاد فى النوازل والأحكام : فلا تنعقد إمامة غير العالم بذلك ، لأنه محتاج لأن يُصَرِّف الأُمور على النهج القويم ، ويُجريها على الصراط المستقيم ، ولأَنْ يعلمَ الحدود ويستوفى الحقوق ويفصل (١١٢) الخصومات بين الناس ، وإذا لم يكن عالما مجتهدا لم يقدر على ذلك .

الثالث عشر ، صحّة الرأْى والتديُّن : فلا تنعقد إمامة ضعيف الرأْى ، لأَن الحوادث التى تكون فى دار الإِسلام تُرْفَع إليه . ولا يتبين له طريقُ المصلحة إلا إذا كان ذا رأْى صحيح وتدبير سائغ ، وناهيك أَن أَبا الطيب [المتنبى] (١) قد رجّح الرأْى على الشجاعة فى شعره فقال :

الرأْىُ قبلَ شجاعةِ الشُّجْعانِ
هو أَوّل وهى المحلُّ الثانى

الرابع عشر ، النسب : فلا تنعقد الإِمامة بدونه ، والمراد أَن يكون من قريش ، وهم بنو النضر بن كنانة ،

(١) في الأصل : «إن أبا تمام» وهو خطأ فلا يوجد في ديوانه وهو في ديوان المتنبى ص ٤١٢

ففى الصحيحين [1] من رواية ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان). وقد احتجّ الصديق رضى الله عنه على الأنصار يوم السقيفة — حين اجتمعوا على سعد بن عبادة [2] وقالوا : منا أمير ومنكم أمير — بقول النبى صلى الله عليه وسلم :(الأئمة من قريش) . فرجعوا إليه فى ذلك وأذعنوا لقوله . وقد ادّعى الماوردى [3] الإجماع على اعتبار هذا الشرط مع ورود النص به ثم قال : ولا عِبرة بِضِرارٍ حين شذَّ فجَوَّزها [4] فى جميع الناس . قال الرافعى من أئمة أصحابنا الشافعية : فإن لم يوجد قُرشى مستجمع للشروط فكنانىّ ، فإن لم يوجد كنانىٌّ فرجل من ولد إسماعيل عليه السلام ، فإن لم يكن فيهم رجل مستجمع للشرائط ، ففى « تهذيب البغوى » أنه يُوَلَّى رجلٌ من العجم . وفى « التتمة » للمتولى أنه يُوَلَّى جُرْهُمىٌّ .

قلت : وجُرْهم أصل العرب المستعربة الذين هم ولد

---

(١) البخارى حـ ٩ ص ٦٢

(٢) في الأصل : «سعد بن معاذ» وهو خطأ سيأتى صوابه. وسعد بن معاذ مات في حياة الرسول سنة ٥ من الهجرة وانظر الأحكام السلطانية ص ٤

(٣) الأحكام السلطانية ص ٤

(٤) في الأصل «فجورها» والتصويب من الأحكام السلطانية والسياق

إسماعيل عليه السلام ، وهم الذين نزلوا على إسماعيل وأُمِّه بمكة حين أَنزلهما بها الخليل عليه السلام ، فنشأَ إسماعيل بينهم ، وتعلم لغتهم ، وتزوج منهم ، وهم بنو جُرهم بن قَحطان بن عابر بن شالخ بن أَرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ، وقد (١٢ ب) أَوضحت الكلام على ذلك مبسوطا فى كتابى «نهاية الأَرب فى معرفة قبائل العرب » .

قال الرافعى : ولا يشترط فى الإمام كونه هاشميًّا ، لأَن أَبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ليسوا من بنى هاشم ، وهم أُصول الخلافة وأَئمة الإسلام .

الفصل الثالث

فى بيان الطرق التى تنعقد بها الخلافة ، ولها ثلاث طرق ، تترتب على كل طريق منها جملة من الأَحكام .

الطريق الأَول ، البيعة : وهى أَن يجتمع أَهل الحَلِّ والعقد الآتى ذكرهم ويعقدون الإمامة لمن يستجمع شرائطها ، ويتأَتَّى ذلك فى موضعين :

أَحدهما ، أَن يموت الخليفة الذى كان منتصبا عن غير عهد إلى أَحد بعده .

والثانى ، أَن يخْلع الخليفة نفسه من الخلافة أَو يخلعه أَهلُ الحلِّ والعقد ، لموجب اقتضى خَلْعَه نفسَه أَو خلع أَهل الحل والعقد له ، ولذلك حالتان :

الحالة الأُولى أَن يتعدَّد من اجتمع فيه شروط الإمامة ، فيختار أَهل الحلّ والعقد واحدا منهم يقوم بأَمر الإمامة وينهض بأَعبائها ، وعلى ذلك كانت خلافة الصدّيق رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أَنه لما تُوفِّى النبىُّ صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأَنصار إلى سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، وقالوا : منا أَمير ومنكم أَمير ، فذهب إليهم أَبو بكر وعمر وأَبو عبيدة ابن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فأَسكته أَبو بكر ، وكان عمر يقول : والله ما أَردت إلاَّ أَنى هيَّأْت كلاما أَعجبنى خشيت أَن لا يبلغه أَبو بكر ، ثم تكلم أَبو بكر فتكلم أَبلغ الناس . فقال فى كلامه : نحن الأُمراء وأَنتم الوزراء فقال (١٣ ا) حُبَاب بن المُنذر ، لا والله لا نفعل . منا

أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : لا ، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء . فبايعوا عمرَ أو أبا عبيدة . فقال عمر : بل نبايعك أنت ، فأنت سيِّدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عمر بيده فبايعه ، وبايعه الناس ، أخرجه البخارى [1] والنسائى .

واعلم أن لصحة عقد البيعة خمسةَ شروط :

الأول أن يجتمع فى المأخوذ له البيعة شروط الإمامة المتقدمة الذِّكْر ، فلا تنعقد مع فوات واحد منها [2] إلاّ مع الشوكة والقهر ، على ما سيأتى ، فلو جمع شروط الإمامة اثنان فأكثر قال الماوردى : [3] استحب لأهل الحل والعقد أن يعقدوها لأسنهما ، فإن عقدوها للآخر جاز ، فإن كان أحدهما أعلم والآخر أشجع روعى فى الاختيار ما يوجبه حكم الوقت ، فإن دعت الحاجة إلى رعاية الشجاعة ــ كظهور البُغاة وأهل الفساد ــ كان الأشجع أحقّ ، وإن دعت إلى زيادة العلم ــ كسكون الفتن وظهور البدع ــ كان الأعلم أحق ، ولو

---

(١) البخارى حـ ٥ ص ٧ ولم أعثر عليه في النسائى ، وفي مسند أحمد حـ ١ ص ٥ نحن الأمراء وأنتم الوزراء

(٢) في الأصل منهما

(٣) الأحكام السلطانية ص ٥

تنازع اثنان مستجمعان للأَهلية فى الإمامة ، فقد ذهب بعض العلماء إلى أَن ذلك يَقْدَح فيهما جميعا حتى يُعْدَل عنهما إلى غيرهما . والذى عليه الجمهور أَن ذلك لا يقدح ، لأَن طلب الخلافة ليس مكروها ، وهل يُقْرَع بينهما عند التساوى أَو يقدِّم أَهلُ الحل والعقد من شاءوا منهما ؟ فيه خلاف .

الثانى : أَن يكون المتولى لعقد البيعة أَهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء وسائر وجوه الناس ، وفيمن تنعقد به البيعة منهم سبعة مذاهب :

أَحدهما : أَنها لا تنعقد إلا بأَهل الحل والعقد من كل بلد ، ليكون الرضى عامًّا ، والتسليمُ لإمامته إجماعاً ، قال الماوردى [1] : وهذا مذهب مدْفوع ببيعة أَبى بكر رضى الله عنه باختيار من حضرها (١٣ ب) من غير انتظار قدوم غائب عنها .

والثانى : أَن أَقل من تنعقد به أَربعون لا دُونَهم ، لأَن عقد الإمامة فوق عقد الجمعة ، ولا تنعقد بأَقل من أَربعين .

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٤

والثالث : أقل من تنعقد به خمسة يجتمعون على عقدها . أو يعقدها أحدهم برضى الأربعة ، لأن بيعة أبي بكر رضى الله عنه انعقدت بخمسة ، وهم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وأُسَيد بن حُضَير وبشير [1] بن سعد ، وسالم مولى أبي حُذيفة . ثم تابعهم الناس على ذلك . وقد جعلها عمر رضى الله عنه شورى فى ستة نفر . تنعقد لأحدهم برضى الخمسة ، قال الماوردى [2] : وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة .

والرابع تنعقد بأربعة . لأن الشهادة فى الزنا تقوم بأربعة . فكذلك الإمامة .

والخامس : تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضى الاثنين الآخرين ليكونوا حاكما وشاهدين كما يصح عقد بولىٍّ وشاهدَيْن .

والسادس : تنعقد باثنين ، لأن رتبة الخلافة لا تنقص عن رتبة الحكومات ، والحاكم لا يُلزِم أحدَ الخَصْمين

---

(١) في الأصل « بشر » وكذلك في الأحكام السلطانية . والتصويب من الإصابة . فبشير بن سعد والد النعمان بن بشير يقال انه أول من بايع أبا بكر من الأنصار .

(٢) الأحكام السلطانية ص ٤

حقَّ صاحبه إلاَّ بشهادة عَدْلَين ، فكذلك لا يَلزم الناسَ الانقيادُ لقول الإمام إلا بعدْلَين .

والسابع : تنعقد بواحد ، لما روى أن العباس رضى الله عنه قال لعلى كرم الله وجهه : امدد يدك أُبايعك فيقول الناس عمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ابنَ أَخيه فلا يختلف فيه اثنان . وقد قيل ، إن بيعة الصديق رضى الله عنه انعقدت ببيعة عمر وحده ، ولأَنه حُكْمٌ وحكم الواحد نافذ .

< و > الثامن : وهو الأَصح عند أَصحابنا الشافعية رضى الله عنهم أَنها تنعقد بمن تَيَسَّر حُضورُه وقت المبايعة فى ذلك الموضع من العلماء والرؤساء وسائر وجوه الناس المتصفين بصفات (١٤ ا) الشهود ، حتى لو تعلق الحل والعقد بواحد مطاع كفى ، لأَن الأَمر إذا لم يكن صادرا عن رأْى من له تقدم فى الوضع وقول مقبول لم تُؤمن إثارة فتنة ، ولا التفات إلى أَهل البلاد النائية ، بل إذا بلغهم خبر البيعة وجب عليهم الموافقة والمتابعة ، وقد شرط فى

« الأحكام السلطانية »[1] فى أهل الحل والعقد أن يجتمع فيهم ثلاث صفات ، وهى العدالة ، والعلم ، والرأى ، ووافقه على ذلك النووى فى « روضته » . وقال الرافعى : لا بد فيهم مجتهدٍ ، فإن عقدت بواحد اعتبر فيه الاجتهاد ، وإن عقدت بأكثر من واحد اعتبر أن يكون فيهم مجتهد.

الثالث : أن يُجيبَ المبايَعُ إلى البيعة ، حتى لو امتنع لم تنعقد إمامته ولم يُجبر عليها . قال النووى فى « الروضة » إلا أن يكون من لا يصلح للإمامة إلا واحد فيجبر بلا خلاف .

الرابع : الإشهاد على المبايعة فيما إذا كان العاقد واحدا ، أما إذا كان العاقد للبيعة جمعاً فإنه لا يُشترط الإشهاد .

الخامس : أن يتحد[2] المعقود له ، بأن لا تعقد البيعة لأكثر من واحد ، واحتُجَّ له بما رواه مسلم[3] فى

---

(١) الأحكام السلطانية ٣ ونصه أحدها العدالة الجامعة لشروطها والثانى العلم الذى يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها والثالث الرأى والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح وبتدبير المصالح أقوم وأعرف .

(٢) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل وجاءت بعد ذلك صحيحة في ص ٤٨ الحالة الأولى أن يتحد المعهود إليه بأن يعهد .....

(٣) صحيح مسلم حـ ١٢ ص ٢٤٢ وانظر أيضا فيه حـ ١٢ ص ٢٣٣ — ٢٣٤

« صحيحه » من حديث أبي سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا بُويع لخليفتين فاقتلوا الآخَرَ منهما) ، وفى رواية [1] له من حديث عَرْفَجة بن شريح[2] قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :(من أتاكم وأمركم جميعٌ على رجل واحد يريد أن يَشُقَّ عصاكم أو يفرِّق جماعتكم فاقتلوه) .

فلو عُقِدَت البيعةُ لاثنين معا لم تنعقد لواحد منهما ، فلو كانا فى إقليمين متباعدين ففيه وجهان لأصحابنا الشافعية : أصحهما ما عليه الجمهور بطلانُ بيعتهما ، والثانى ما ذهب إليه (١٤ ب) الأُستاذ أبو إسحاق الإسفراييني ، واختاره إمام الحرمين : صحةُ بيعتهما جميعاً ، لأنه قد تدعو الحاجة إلى ذلك ، وعلى ذلك كانت الخلافة الأموية بالأندلس ، والخلافة الفاطمية ببلاد المغرب والديار المصرية ، مع قيام الخلافة العباسية بالعراق وانسحابها على سائر الأقطار والبلدان . ونسبه الماوردى فى «الأحكام

---

(١) صحيح مسلم حـ ١٢ ص ٢٤٢ والإصابة ترجمة عرفجة بن شريح .

(٢) في الإصابة عرفجة بن شريح وقيل ابن صريح بالصاد المهملة أو المعجمة وقيل ابن شريك وقيل ابن شراحيل وقيل بن ذريح الأشجعى

السلطانية » إلى الشذوذ [1] ، وإن وقع العقد لهما على الترتيب فالأُولى صحيحة والثانية باطلة ، ولو سبق أحدهما وتَعيَّن ثم اشتُبه وقف الأَمر حتى يظهر ، فإن طالت المدة ولم يمكن الانتظار فقد قال الماوردى : [2] إنه تبطل البيعتان وتستأْنف لأَحدهما بيعة جَديدة . وفى جواز العدول إلى غيرهما خلاف قال النووى : الأَصح أَنه لا يجوز .

الحالة الثانية : أَن يتحد من اجتمع فيه شروط الإمامة ، وقد اختلف العلماء فيها إذا انفرد واحد بشروط الإمامة . هل تثبت إمامته بمجرد تفرده بها من غير عقد بيعة؟ على مذهبين :

أَحدهما انعقاد إمامته بذلك وإن لم يعقدها له أَهل الحل والعقد ، لأَن المقصود من الاختيار تمييز من يستحق الولاية ، وقد تميز هذا بصفته ، وهو ما نقله الماوردى [3] عن بعض علماء العراق .

والثانى أَنها لا تنعقد إلا بعقد أَهل الحل والعقد ، لأَن

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٦

(٢) المصدر السابق ص ٧

(٣) المصدر السابق ص ٦ : فذهب بعض فقهاء العراق إلى ثبوت ولايته . . . . . .

الإمامة عقد ، فلا يصح إلا بعاقد ، كما لو انفرد واحد باستجماع شرائط القضاء ، فإنه لا يصير قاضياً حتى يُوَلَّى ، وهو ما عليه جمهور الفقهاء ، وعليه اقتصر الرافعى والنووى المعتمد على ترجيحهما .

الطريق الثانى ، من الطرق التى تنعقد بها الإمامة : العهدُ وهو أن يعهد الخليفة المستقر إلى غيره ممن استجمع شرائط الخلافة بالخلافة بعده ، فإذا مات العاهد (١٥ ا) انتقلت الخلافة بعد موته إلى المعهود إليه ، ولا يحتاج مع ذلك إلى تجديد بيعة من أهل الحل والعقد ، ولذلك حالتان :

الحالة الأُولى أن يتحد المعهود إليه بأَن يعهد بالخلافة بعده إلى واحد فقط ، فيجب الاقتصار عليه ، والأَصل فى ذلك ما روى أَنه لمـا مرِض أبو بكر الصديق رضى الله عنه مَرَضه الذى مات فيه دعا عثمان بن عفان وهو يومئذ كاتبه ، فقال له : اكتب . قال : ما أَكتب ؟ قال : اكتب : هذا ما عهِد أَبو بكر خليفةُ رسول الله آخرَ عهده بالدنيا وأَوَّلَ عهده بالآخرة أَنى استخلفت عليكم . ثم رهِقَتْه عينُه فنام . فكتب : عمر بن الخَطاب . ثم استيقظ

أبو بــكر فقال : هل كتبت شيئا ؟ قلت : نعم ،كتبتُ عمر بن الخطـاب . فقــال : أَما إنك لو كتبتَ نفسك لــكنتَ لها أَهلا ، ولــكن اكتب : استخلفت عليــكم عمرَ بن الخطاب ، فإن برَّ وعدل فذلك ظنى به ، وإن بدَّل أَو غيرَّ فلا علم لى بالغيب ، والخيرَ أَردت بــكــم ، ولــكلِّ امرئٍ ما اكتسب من الإِثم ﴿وسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَب ينْقَلبُونَ﴾ [1] ثم دخل علــيه عمرُ فعرَّفه ذلك ، فأَبى أَن يقبل ، فتهدده أَبو بــكر رضى الله عنه وقال : هاتوا سيفى . فقَبِل ، ثم خرج عمر من عنده فدخل عليه طلحة ، فبكى ولامــه على توليته عمر ، فانتهره أَبو بكر وقال : والله إن عمر لخير لــكم . وأَنتم شرٌّ له . أَتيتَنى وقد وَكَفَتْ عينُك تريد أَن تصدّنى عن دينى ، وتردّنى عن رأْيى . قُمْ لا أَقام الله رِجلك .

واعلم أَنه لا بد لصحة الإِمامة بالعهد ـ والحالةُ هذه ـ من شرطين :

أَحدهما أَن يكون المعهود إليه مستجمعاً لشرائط الإِمامة

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٧ أما الجملة قبلها فهى مختصرة من الآية ١١ سورة النور « لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم » .

من وقت العهد ، حتى لو كان المعهود إليه صغيرا أو فاسقا عند العهد ، بالغا عدلا عند موت العاهد ، لم يصر بذلك العهد (١٥ ب) إماما ، بل لا بد من مبايعة أهل الحل والعقد له بالخلافة ، كما صرح به النووى فى « الروضة » وصوَّب الجزم به ، وإن توقّف فيه الرافعى .

الثانى أن يقبل المعهودُ إليه العهدَ ، قال المتولّى من أصحابنا : فلو امتنع المعهودُ إليه من القبولِ بُويع غيره وكأنه لا عهد .

واختلف فى وقت قبوله ، فقيل : بعد موت العاهد ، كما يقبل الوصى الوصية بعد موت المُوصى ، والأصح أن وقته ما بين عهد الخليفة وموته لتنتقل الإمامة عن العاهد إلى المعهود إليه مستقرّة بالقبول ، فلو أراد ولىُّ العهد أن يعهد بالخلافة إلى أحد قبل موت الخليفة العاهد لم يجز ، لأن الخلافة لا تستقر إلا بعد موت المستخلِف ، وفى معنى ذلك ما لو قال : جعلته ولىّ عهدى إذا أفضت الخلافة إلىَّ ، لأنه فى الحال ليس بخليفة ، فلم يصح عهده ، فلو عهد لاثنين فإن كان العهد قد وقع لهما معا فهو باطل ، وإن وقع الترتيب فالحق

للأسبق ، كما تقدم فى البيعة .

قلت : ولو قيل باعتبار الإشهاد على العهد لـكان له وجه ، وقد أشهد المأمون على عهده لعَلىٍّ الرِّضى ، عَلَى ما ستقف عليه فى نسخة عهده فى الـكلام على عهود الخلفاء فيما بعـد إن شاء الله تعالى .

ثم اعلم أن المعهود إليهم على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول أن يكون المعهود إليه ولدا أو والدا . وقد اختلف العلماء فى جواز انفراده بالعهد لولده أو والده على ثلاثة مذاهب :

أحدها : أنه ليس له الانفراد بذلك لواحد منهما ، بل لا بد أن يوافقه أهل الحل والعقد على صلاحية المعهود إليه لذلك ، لأن ذلك منه بمثابة التزكية ليجرى مَجرى الشهادة . وتقليدُه على الأُمة مَجرى الحُـكم ، وهو لا يجوز أن يحكم لوالد ولا ولد .

والثانى : له الانفراد (١٦ ا) بذلك لكل واحد منهما ، لأنه أمير الأُمـة ، نافذ الأمر لهم وعليهم ، فغلب حـكم

المنصب على حكم النسب . ولم يجعل للتهمة عليه فى ذلك طريقا .

والثالث : أن له الانفراد بذلك للوالد دون الولد ، لأن الطبع إلى الولد أميل منه إلى الوالد . ولذلك كان ما يقتنيه فى الأغلب مذخورا لولده دون والده .

الضرب الثانى ـ أن يكون المعهود إليه ليس بولد ولا والد ، بأن يكون أخا ، أو ابن أخ . أو عمّا . أو ابن عم ، أو أجنبيًّا ، فيجوز العهد بالخلافة إليه من غير استشارة أحد من أهل الحل والعقد فى ذلك . واختلف فى أنه هل يشترط فى لزوم ذلك للأمة ظهور الرّضى منهم بذلك أم لا ؟ على مذهبين :

أحدهما : الاشتراط ، لأن الإمامة حق يتعلق بالأمة ، فلم تلزمهم إلا برضى أهل الحل والعقد منهم .

والثانى وهو الأصح : عدم الاشتراط ، لأن الإمام أحّق بها ، فكان اختياره فيها أمضى وأنفذ ، ولذلك لم يتوقف عهد الصديق لعمرَ رضى الله عنهما عَلَى رِضَى بقية الصحابة .

الضرب الثالث : أن يكون المعهود إليه غائبا . ويختلف الحال فيه ، فإن كان مجهولَ الحياة لم يصحّ العهدُ إليه ، وإن كان معلوم الحياة صحّ وكان موقوفا على قدومه ، فإن مات العاهدُ وولىُّ العهدِ على غيبته استقدمه أَهل الحل والعقد ، فإن طالت غيبته ، وتأَخر المسلمون بتأْخير النظر فى أُمورهم ، استناب أَهلُ الحل والعقد عنه نائبا يبايعونه بالنيابة دون الخلافة ، ويَمضى أَمرُه فيما يمضى فيه أَمرُ الخليفة أَن لو كان حاضرا ، فإذا قدم الخليفة الغائب انعزل المستخلَف وكان نظره بعد قدومه مردودا .

الحالة الثانية : أَن يتعدد (١٦ ب) المعهود إليه بأَن يكون اثنين فأَكثر من أَهل الإمامة ، وهو على ضربين :

الضرب الأَول : أَن يجعلها الخليفة شُورى بينهم ، لم يقدم فيها أَحدا منهم على الآخر ، فيختار أَهل الحل والعقد بعد موت العاهد واحدا من المعهود إليهم أَو يُخرج الجميعُ أَنفسَهم من العهد ويبقى واحد منهم ، والأَصل فى ذلك ما رواه البخارىّ [1] فى صحيحه من رواية عمرو بن ميمون

(١) البخارى جـ ٥ ص ١٧

الأَودى . أَنه لما طُعِن أَميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل له : أَوصِ يا أَمير المؤمنين ، استخلفْ، قال : ما أَرى أَحدا [١] أَحقَّ بهــذا الأَمر من هؤلاء الرَّهْط الذين تُوفِّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فعَدَّ [٢] علياً وعثمانَ والزُبيرَ وطلحـــة وسَعْدًا وعبدَ الرحمن . وأَنه لما قُبِض وفُرِغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهطُ . فقال عبد الرحمن بن عوف : اجعلوا أَمركم إلى ثلاثة منكم . فقال الزبير : قد جعلتُ أَمرى إلى علىّ ، وقال طلحة : قد جعلت أَمرى إلى عثمان . وقال سعد : قد جعلت أَمرى إلى عبد الرحمن . فقال عبد الرحمن بن عوف : أَيكما تَبَرَّأَ من هــذا الأَمر فنجعله إليه ، واللهُ عليه والإسلامُ لينظرَنَّ أَفضَلهم فى نفسه ، فأَسْكتَ الشيخان ، فقال عبد الرحمن : أَفتجعلونه إلَىَّ ، واللهُ علَىَّ أَن لا آلُوَ عن أَفضلــكم ؟ قالا : نعم ، فأَخذ بيد أَحدهما وقال : لك من قرابة [٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم والقِــدم فى الإسلام ما قد علمت ، واللهُ عليك لئن أَمَّرتك لتعدِلَنَّ ، ولئن أَمَّرتُ عثمان لتسمعنَّ وتطيعنَّ ، ثم

(١) فى البخارى « ما أجد أحق » وفى رواية ما أحد أحق .

(٢) فى البخارى : فسمى عليا .

(٤) فى البخارى : لك قرابة ......

خلا بالآخر فقال له مثلَ ذلك . فلما أخذ الميثاقَ قالَ : ارفع يدك يا عثمان ، فبايَعَه وبايع له عليٌّ ، وولج أَهلُ الدار فبايعوه .

واعلم أَنه إذا عهد لاثنين فأَكثر لم يجز لأَهل الحل والعقد (١٧ ا) أَن يختاروا واحدا منهم فى حياته إلا بإذنه ، لأَنه بالإمامة أَحق ، فامتنعت مشاركته فيها ما دام رأْيه صحيحا ، ولو مات لم يجز لأَهل الحل والعقد أَن يختاروا واحدا غيرهم ، بل لو نَصَّ على أَهل الاختيار لم يصح الاختيار مِن غير مَنْ نصَّ عليه ، لأَن ذلك من حقوق خلافته ، وإذا تعيّنت الخلافة بالاختيار فى أَحد المعهود إليهم جاز له أَن يعهد بها إلى غيره .

الضرب الثانى : أَن يعهد إلى اثنين فأَكثر ويرتّب الخلافة فيهم بأَن يقول : الخليفة بعدى فلان ، فإذا مات فالخليفة بعده فلان ، فتنتقل الخلافة بعده على الترتيب الذى رتبه . واحتج لذلك بما ثبت فى « صحيح البخارى » [١] من رواية ابن عمر رضى الله عنهما أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمَّر على جيش مُؤْتَةَ زيدَ بنَ حارثة وقال : « إن قُتل فجعفر بن

(١) البخارى ج ٥ ص ١٤٣

أبي طالب ، فإن قُتِل فعبدُ الله بن رَوَاحة ، وفي رواية فإن قُتل فليرتض المسلمون رجلا » . فتقدم زيد فقُتِل ، فأَخذ الرايةَ جعفرٌ ، وتقدَّم فقتل ، فأَخذ الرايةَ عبدُ الله بن رواحة ، وتقدم فقتل ، فاختار المسلمون بعده خالدَ بنَ الوليد .

قال الماوردى [(١)] : وإذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فى الإمارة جاز مثله فى الخلافة . قال : وقد عمل بذلك فى الدولتين من لم ينكر عليه أحد من علماء العصر ، وقد عهد سليمان بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز بعده ثم إلى يزيد بن عبد الملك . قال : وفِعْلُ سليمانَ وإن لم يكن حجة فإقرار من عاصره من الناس ومن لا يأْخذه فى الله لومة لائم هو الحُجَّة . وكذلك رتبها الرشيد فى ثلاثة من بنيه ، فى الأَمين ثم المأْمون ثم المؤتمن ، على كثرة من عاصره من فضلاء العلماء .

إذا علمت ذلك فلا نزاع فى أن الخليفة العاهد باق على خلافته ما دام حيا (١٧ ب) أما بعد موته فله ثلاثة أحوال :

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٤٠ وإذ فعل .....

الحال الأَول : أَن يموت الأَول من المعهود إليهم فى حياة العاهد ، فتكون الخلافة بعده للثانى منهم .

الحال الثانى : أَن يموت الأَول والثانى من المعهود إليهم فى حياة العاهد ، فتكون الخلافة بعدهما للثالث .

الحال الثالث : أَن يموت العاهد ، والثلاثة المعهود إليهم أَحياء ، فالخلافة بعد موته للأَول منهم ، فلو أَراد الأَول الذى أَفضت الخلافة إليه أَن يعهد بها إلى غير الاثنين الباقيين من المعهود إليهم ممن يختاره لها ففيه مذهبان للعلماء .

أَحدهما : أَنه لا يجوز له ذلك إلا أَن يَستنزل عنها مُستحِقَّها من المعهود إليهم طوعا ، حملا على حكم الترتيب السابق ، فقد عهد السفاح إلى أَخيه المنصور ، وجعل العهد بعده لعيسى بن موسى ، فأَراد المنصور تقديمَ ابنه المهدىّ على عيسى ، فاستنزله عن العهد ، لحَقِّه فيه ، وفقهاءُ العصر حينئذ – على توفير وكثرة – لم يروا < له > فسحة فى صرفه عن ولاية العهد قهرا [١] .

(١) في الأحكام السلطانية ص ١١ قسرا

قال الماوردى [1] وظاهر مذهب الشافعى وعليه جمهور الفقهاء أنه يجوز أن يعهد بها إلى من يشاء ، ويصرفها عمن كان معه مرتبا فى العهد ، لأنه قد صار بإفضائها إليه عامَّ الولاية نافذ الأمر ، فكان حقه فيها أقوى ، وإنما استطاب المنصور نفس عيسى تألُّفاً لأهله ، لأنه كان فى صدر الدولة ، فعل ذلك سياسة ، وإن كان الحكم فى نفس الأمر سائغا .

الطريق الثالث ، من الطرق التى تنعقد بها الإمامة : القهر والاستيلاء ، فإذا مات الخليفة فتصدى للإمامة من جمع شرائطها من غير عهدٍ إليه من الخليفة المتقدم ، ولا بيعة من أهل الحل والعقد ، انعقدت إمامته ، لينتظم شمل الأُمة وتتفق (١٨ ا) كلمتهم ، وإن لم يكن جامعا لشرائط الخلافة بأن كان فاسقاً أو جاهلا فوجهان لأصحابنا الشافعية ، أصحهما : انعقاد إمامته أيضا ، لأنا لو قلنا لا تنعقد إمامته لم تنعقد أحكامه ، ويلزم من ذلك الإضرار بالناس ، من حيث إن من يلى بعده يحتاج أن يقيم الحدود ثانيا ، ويستوفى الزكاة ثانياً ، ويأخذ الجزية ثانيا .

---

(١) الأحكام السلطانية ١١

والثانى : لا تنعقد إمامته ، لأنه لا تنعقد له الإمامة بالبيعة إلا باستكمال الشروط ، فكذا بالقهر .

الفصل الرابع

فيما يلزم الخليفةَ للرعية

وقد ذكر الماوردى [1] أنه يلزمه لهم عشرة أشياء :

أحدها : حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأُمة ، فإن ظهر مبتدع ، أو زاغ ذو شبهة ، أوضح له الحُجَّة ، وبيَّن له الصواب ، وكفَّه عن ذلك بما يستحقه من الزجر ، ليكون الدين محروسا ، وحال الأُمة فيه مضبوطا .

الثانى : حماية بيضة الإسلام والذبُّ عن الحُرَم ، ليتصرف الناس فى معايشهم ، وينتشروا فى أسفارهم ، آمنين على أنفسهم وأموالهم .

الثالث : تحصين الثغور بالعُدَدِ ووفور العَدَدِ ، حتى لا يظفر العدو بِغِرَّة فينتهك فيها مَحرما ، أو يسفك فيها دم مسلم أو معاهَد .

---

(١) الأحكام السلطانية ص ١٢ - ١٣

الرابع : جهاد الكفرة المعاندين للإسلام حتى يُسْلموا أَو يدخلوا فى ذمة المسلمين ، قياما بحق الله تعالى فى ظهور دينه على الدين كلِّه .

الخامس : تنفيذ الأَحكام ، وقطع الخصومات ، حتى لا يتعدّى ظالم ولا يضعف مظلوم .

السادس : إقامة الحدود (١٨ ب) لِتُتَوقَّى المحارم وتُصان الأَنفس والأَموال .

السابع : اختيار الأُمناء والأَكْفَاء وتقليد الولايات للثِّقات النّصحاء ، لتنضبط الأَعمال بالكُفاة ، وتُحفظ الأَموال بالأُمناء .

الثامن : جباية أَموال الفَىْء والصدقات والخراج ، على ما أَوجبه الشرع نصًّا أَو اجتهادا ، من غير حَيْف ولا عَسْف .

التاسع : تقدير العطاء ، وما يستحقه كل واحد فى بيت المال ، من غير سَرَفٍ ولا تقتير ، ودفعه إليهم فى وقت معلوم لا تأْخير فيه ولا تقديم .

العاشر : مشارفة الأُمور العامة بنفسه ، غير معتمد على

وُلاته وعماله ، فقد يخون الأَمين ويغش الناصح ، وقد قال تعالى ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ (١) ، وفى الصحيحين (٢) من رواية ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول « كُلُّكُمْ رَاع وكُلُكُم مسئول عن رعيته . فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راعٍ ومسئول عن رعيته ، والمرأَة فى بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته . قال : فسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَحسبه قال : والرجل فى مال أَبيه راع ومسئول عن رعيته ،فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وأَخرج الترمذى (٣) من حديث عمرو بن مرة الجهنى قال لمعاوية : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (ما من إمام يُغلق بابه دون ذوى الحاجات والمَسْكَنة إلا أَغلق الله أَبوابَ السماء دون خَلَّته (٤) وحاجته ومسكنته) . فجعل

(١) سورة ص الآية ٢٦
(٢) البخارى حـ ٩ ص ٦٢ ومسلم حـ ١٢ ص ٢١٣
(٣) الترمذى حـ ٦ ص ٧٣
(٤) الخلة الحاجة والفقر.

معاويةُ رجلاً على مصالح الناس ، ولله < محمد بن > يزداد وزيرَ المأمون حيث يقول مخاطباً له :

مَن كان حارسَ دُنْيـا إنه قَمِـنٌ
أَنْ لا ينـامَ وكـلُّ النـاس نُـوَّامُ

(١٩ ا) وكيف تَرْقُدُ عَيْنَا من تضيَّفَـه[1]
هَمَّان من أمره نَقْضٌ وإبـرامُ

الفصل الخامس

فيما يلزم الرعية للخليفة ، وهو أمران :

الأَول : الطاعة ، قال الله تعالى ﴿أَطيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولى الْأَمْرِ منْكُمْ﴾ [2] فأَمرَ بطاعة أُولى الأَمر ، وهم ولاة الأُمور ، على ما ذهب إليه كثير من المفسرين ، والإمامُ هو أَعظم ولاة الأُمور ، لعموم ولايته ، فهو أَحق بالطاعة ، وأَجدر بالانقياد لأَوامره ونواهيه ، مالم يخالف

(١) في الأصل : تضيقه . والتصويب من الأحكام السلطانية ص ١٣ والمعنى يقتضيه . فتضيفه : أتاه ضيفا

(٢) سورة النساء الآية ٥٩ وفي الأصل وأطيعوا الله ......

أمر الشرع ، سواء كان عادلا أوجائرا ، ففى « الصحيحين »[1] من رواية ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (على المرءِ المسلمِ السمْع والطاعة فيما أحَبَّ أو كره إلاَّ أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) . وفى « صحيح مسلم »[2] من رواية وائل بن حُجْر[3] قال : سأل سلمة بن يزيد الجُعفىُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : يا نبيَّ الله ، أرأيت إن قامت علينا أُمراءُ يسألونَّا حقَّهم ويمنعونَّا حقَّنا ، فما تأْمرنا ؟ فأَعرض عنه ، ثم سأَله ، فأَعرض عنه ، ثم سأَله فى الثانية أَو فى الثالثة فجذَبه الأَشعثُ بنُ قَيْس وقال : اسمعوا وأَطيعوا ، فإنما عليهم ما حُمِّلُوا وعليكم ما حُمِّلْتم .

الثانى : المعاضدة والمناصرة فى أُمور الدين وجهاد العدو . قال تعالى ﴿ وتَعَاوَنُوا عَلَى البرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[4] ولا أَعلى من معاونة الإمام على إقامة الدين ونُصرته . وفى « صحيح

(١) البخارى ج ٩ ص ٦٣ ومسلم ج ١٢ ص ٢٢٦

(٢) مسلم ج ١٢ ص ٢٣٦ والترمذى ج ٥ ص ٥١ – ٥٢

(٣) الذى فى صحيح مسلم عن علقمة بن وائل عن أبيه قال سأل سلمة بن يزيد الجعفى .... أما فى الترمذى فإنه وائل بن حجر فيكون علقمة عن أبيه وائل بن حجر

(٤) سورة المائدة الآية ٢

مسلم [1] عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(من خرج من الطاعة ، أو [2] فارق الجماعة ، مات ميتَةً جاهليَّة ، ومن قاتل تحت راية عِمِّيَّةٍ : يغضب بعصبيَّة ، أو ينصر عصبية [3] ، فقُتل (١٩ ب) فقتْلةٌ [4] جاهليّة .) فذمَّ الخارج تحت راية عِمِّيَّة والداعيَ إلى العصبية . وهو مستلزم لنصرة الدين دون النصرة عليه .

الفصل السادس

فيما ينعزل به الخليفة من الخلافة أو ولى العهد من ولاية عهده ، وفيه مَهْيَعَان :

المَهيــع الأَول : فيما ينعزل به الخليفة ، وهو على خمسة أَضرب :

الضرب الأَول الخلع : وله حالتان :

---

(١) مسلم ج ١٢ ص ٢٣٨

(٢) في مسلم : وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية

(٣) في مسلم : يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة

(٤) كذلك أيضا في مسلم أما في النهاية لابن الأثير مادة عما جـ ٣ ص ١٣ فهى «فقتلته»

الحالة الأُولى : أَن يخلع الخليفة نفسه من الخلافة لعجز من القيام بأُمور الناس ، من هَرَمٍ أَو مرض ونحوهما ، فإذا خلع نفسه لذلك انخلع ، لأَن العزل [1] إذا تحقَّق وجب زوالُ ولايته لفوات المقصود منهما [2] .

أَما إذا عزل نفسه لغير عجز ولا ضعف ، بل آثر التَّرْك طلبا للتخفيف حتى لا تكثر أَشغالُه فى الدنيا ويتّسع حسابُه فى الآخرة ، ففيه لأَصحابنا الشافعية وجهان ، فى « التتمة » .

أَحدهما : الانعزال ، لأَنه كما لم تلزم الإجابة إلى المبايعة لا يلزمه الثبات .

والثانى : لا ينعزل ، لأَن الصِّدِّيق رضى الله عنه قال : أَقيلُونى . ولو كان عزْلُ نفسه مُؤَثِّرًا لما طلب منهم الإقالة .

ولو عهد الخليفةُ العاجز عن القيام بأُمور الخلافة – لمرض أَو هَرَم – إلى غيره قبل عزل نفسه صحَّ عهده إليه ، وانعقدت ولاية المعهود إليه ، ولو مضى على ما هو عليه من العجز ، فلم يعزل نفسه ، ولم يَعْهد إلى غيره ، بايع أَهْلُ الحلّ والعقد غيرَه ليقوم بأُمور المسلمين .

---

(١) لعلها « العجز »

(٢) لعلها « منها »

ولو عزل نفسه من غير عُذر من عجز أو طلب تخفيف ففيه ثلاثة أوجه :

أصحها : أنه لا ينعزل ، لأن الحق فى ذلك للمسلمين لا له .

والثانى : ينعزل ، لأن إلزامه الاستمرار قد يَضُرّ به فى آخرته ودنياه .

والثالث : (٢٠ ا) إن لم يُوَلِّ غيره أو وَلَّى من هو دونه لم ينعزل ، وإن ولَّى مثله أو أفضل منه ففى الانعزال وجهان :

الحالة الثانية : أن يخلعه أهل الحل والعقد .

قال المتولى : إن كان قد حدث فى حاله خلل فلهم عزله ،وإن كان مستقيم الحال فليس لهم ذلك ، لأنا لو جوَّزنا ذلك لأدَّى إلى الفساد ، لأن الآدَمىَّ ذُو بَدَرَات ، فلا بدَّ من تغير الأحوال فى كل وقت ،فيعزلون واحدًا ويُولُّون آخر ، وفى كثرة العزل والتولية زوالُ الهيبة وفَواتُ الغرض من انتظام الأمر .

الضرب الثانى : زوال العقل ، فينعزل بالجنون المُطبق ،

وهو الدائم الذى لا ينفكُّ ، لأَن الجنون يمتد فى العادة ، فلو لم يَنْصِبوا إماماً آخر لأَدَّى ذلك إلى اختلال الأُمور ، ولأَن المجنون يجب ثبـُوتُ الولاية عليه ، فكيف يكون وَلِيًّا لـكافَّة الأُمَّة .

قال النووى : فلو جُنَّ فبايعوا غيره ثم أَفاق لم تَعُدْ ولايتــه ، بل يبقى الثــانى على ولايته . لأَن مبايعته صحيحة ، فلا يجوز أَن يبطل بأَمرٍ يَحدث فى غيره ؛ ولو استُخلف خليفةٌ ثم جُنَّ بعد استخلافه انتقلت الخلافة إلى خليفته ، لأَنه إذا استُخلف ثم مات انتقلت من الميت [1] ففى الجنون أَوْلى ، ولو أَفاق بعد ذلك لم ينعزل خليفته ، ولم يعُدْ هو إلى الخلافة ، لأَنه لو جُنَّ ثم أَفاق لم تعد الإمامة إليه إلاَّ بمبايعة ثانية .

الضرب الثالث : ذهاب الحواسِّ المؤثرة فى الرأْى أَو العمل ، ويتعلق الأَمر من ذلك بثلاث نقائص .

الأُولى : العمى ، فإذا طرأَ على الإمام أَبطل إمامتــه كما تبطل به ولاية القضاء وتُرَدُّ به الشهادة ، أَما ضعف البصر.

(١) في الأصل إلى الميت . والسياق يقتضى ما أثبته

فقال الماوردى [1]: إن كان يعرف معه الأَشخاص التى يراها لم تبطل إمامته ، وإن لم يعرف معه الأَشخاص بطلت إمامته . واعلمْ أَنه قد تقدّم عن الماوردى [2] (٢٠ ب) أَن العَشَا وهو عدم الإِبصار ليلا لا يقدح فى ولاية الإمامة ابتداءً : فلأَن لا يقدح فى استدامتها أَوْلَى .

الثانى : الصمم ، وفى انعزاله بطُرُوئه عليه ثلاثة مذاهب حكاها الماوردى [3] أَصحها — وعليه اقتصر الرافعىُّ والنَّووى — أَنه ينعزل بذلك كما ينعزل بالعمى ، لتأْثيره فى التدبير والعمل .

والثانى لا ينعزل ، لقيام الإشارة مقام السمع ، والخروجُ من الإمامة لا يكون إلا بنقص كامل .

والثالث : إن كان يُحسن الكتابَة لم ينعزل ، وإن كان لا يحسنها انعزل ، لأَن الكتابة مفهومة ، والإشارة موهومة .

أَما ثقل السمع وهو الذى يُدْركَ معه الصوتُ العالى دون

---

(١) الأحكام السلطانية ص ١٥
(٢) الأحكام السلطانية ص ١٥
(٣) الأحكام السلطانية ص ١٥

غيره فإنه لا ينعزل به .

الثالث : الخرس ، وحكمه حكم الصممِ المتقدّمِ الذِّكر فى إجراء الخلاف فيه ، وكون الأَصح الانعزال .

أَمّا ما لا يؤثر ذهابه فى الرأى والعمل كالخَشَم فى الأَنف الذى يمنع إدراك الروائح ، وفقد الذوق الذى يعرف به الطعوم ، فإنهما لا يوجبان العزل ،بلا خلاف . وكذلك لا ينعزل بتمتمة اللسان ونحوِها .

الضرب الرابع : فقدُ الأَعضاء المُخلّ فقدُها بالعمل أَو النهوض ، كذهاب اليدين أَو الرجلين ، فإذا طرأَ عليه شىء من ذلك انعزل من الإمامة ، لعجزه عن كمال القيام بحقوق الأُمة .

أَما ما يؤثر فى بعض العمل أَو النهوض دون بعض ، كذهاب إحدى اليدين أَو إحدى الرجلين ففيه وجهان :

أَصحهما : أَنه لا يؤثّر ، وإن كان ذلك يمنع عقد الإمامة ابتداءً ، لأَن المعتبر فى عقدها كمالُ السلامة ، فيُعتبر فى الخروج منها كمالُ النقص .

والثانى : يؤثر ، لنقص الحركة. فلو كان ذلك لا يُؤثر فقده فى عمـل ولا نهوض ، كقطع الذَّكَر والأُنثيين ، وجدْع الأَنف ، وسَمْل إحدى العينين ، فإنه لا يؤثر .

الضرب الخامس : بطـلان تصرف الإمام (٢١ ا) للاستيلاء عليه وحجره ، ويدخل تحت ذلك صور :

إحداها : أَن يأْسر الكُفَّارُ الإمامَ ويقعَ اليأْسُ بذلك من خلاصه من أَيديهم ، فيخرج عن الإمامة ، ويستأْنف أَهل الحل والعقد ببيعة غيره ، فلو عهد بها فى حال الأَسر إلى غيره كان عهده باطلا ، لأَنه عَهِـد بها بعد خروجه من الإمامة .

الثانية : أَن يأْسره أَهل البَغْى حيث كانوا قد أَقاموا لهم إماماً ووقع اليأْس من خلاصه منهم ، فيخرج بذلك من الإمامة ، لأَنهم قد انحازوا بدارٍ انفرَدَ حُـكْمُها ، وخرجوا بها عن الطاعة ، فلم يبق لأَهل العدل بهم نُصْرة . أَما لو كان مَرْجُوَّ الخلاصِ من أَيدى الـكفار ، أَو أَيدى أَهل

البغى [1] فإنه يكون باقيا على إمامته ، وعلى كافة الأُمة استنقاذه من أَيديهم .

الثالثة : أن تكون الإمامة قد ثبتت له بالقهر والاستيلاء فيجىء آخر ويقهره ويستولى على الأَمر ، فينعزل الأَول ويصير الإمام هو الثانى ، حفظا لنظام الشريعة ، وتنفيذا لأَحكامها ، كما صرح به الرافعى والنووى وغيرهما من أئمة أَصحابنا الشافعية .

قلت : وبمقتضى ذلك وقع الفقهاء فى زماننا هذا مع الملوك فى الأَمر الخطر ، حيث لم يفهموا عنهم مقاصد الشريعة ، وذلك أَنهم إذا أَثبتوا ولاية الأَول بالاستيلاء بالقهر دعاهم ذلك إلى أَن يقولوا إن الخارج عليه باغٍ واجبُ القتالِ ، فإذا غلب الثانى حكموا ببطلان ولاية الأَول وصحة ولاية الثانى ، ودعاهم ذلك إلى عكس القضية الأُولى ، فقالوا : إن الخارج عليه باغٍ واجبُ القتال ، فيظن أُولئك أَن حكمهم بذلك إنما هو محاباة لصاحب الوقت القائم بالأَمر ، من غير فهم المقصد الذى أَلجأَهم لذلك .

---

(١) فى الاصل : العدل . وهو سهو ، وانظر الأحكام السلطانية ص ١٦ – ١٧ .

تنبيـــه : لو حُجرَ الإمامُ بغيره ، بأَن يستولى عليـــه من أَعوانه مَنْ يَستبدُّ بالتصرف فى الأُمور من غير تظاهـــر بمعصية ولا خروج (٢١ ب) عن طاعة ، فقد ذكر الماوردى[1] أَن ذلك لا يمنع إمامته ، ولا يقدح فى صحة ولايته ، وتكون الأَحكام الشرعية نافذة من المستبِـــدِّ بالأَمر ، كما لو استولى على نفس الإمامة بالقهر ، جمعا لشمل المسلمين وتنفيذًا لأَحكامهم .

الضرب السادس : الفسق ، وقد اختلف أَصحابنا الشافعية فى انعزال الإمام به على وجهين

أَصحهما عند الرافعى والنووى أَنه لا ينعزل به ، لمـــا فى عزله من إثارة الفتنة ، بخلاف غيره من سائر الولاة فإنهم ينعزلون به .

والثانى ـ وبه جزم الماوردى[2] فى « الأَحكام السلطانية » ـ أَنه ينعزل به ، كما لا يصح عقد إمامته مع الفسق ابتداءً حتى لو عادت عدالتُه لم يَعُد إلى الإمامة إلا بعقد جديد .

---

(١) الأحكام السلطانية ص ١٦

(٢) الأحكام السلطانية ص ١٤

قال الماوردى : وذهب بعض المتكلمين إلى جواز إمامته وعود عدالته ، لِلخوف والمشقة فى استئناف بيعته مع عموم ولايته .

المهيع الثانى : فيما ينعزل به ولى العهد من ولاية عهده ، وهو على ضربين :

الضرب الأَول : العزل الصادر من جهة العَاهِد ، وقد اختُلف فى أَنه هل يجوز للإمام عزل ولى عهده على وجهين :

أَحدهما : ما ذهب إليه المتولى من أَصحابنا ، الجواز .

والثانى ما ذهب إليه الماوردى ، وصححه النووى ، أَنه لا يجوز له عزله ما دام متصفاً بصفات الإمامة ، وإن جاز له عزل سائر نوابه فى غير ذلك من الأُمور ، لأَنه مُستخلفٌ لولى العهد فى حق المسلمين ، فلايكون له عزله ، كما ليس لأَهل الحل والعقد عزل من بايعوه ، بخلاف غيره من سائر نُوَّابه فإنه يستخلفه لهم فى حقِّ نفسه ، فجاز له عزله ، فلو عزل العاهدُ ولىَّ العهد ، وعَهد إلى ثانٍ لم يصحّ عهد الثانى ، ويبقى الأَول على عهده ، ولو خلع الأَول نفسه بعد العهد إلى الثانى فلا بد من استئناف العهد إليه . (١٢٢ ا)

الضرب الثانى : العزل الصادر من جهة ولىِّ العهد ، وقد صرح أَصحابنا الشافعية بأَنه لا يجوز لولى العهد أَن يستبد بعزل نفسه ، فلو استَعْفَى من عهده لم يَبْطُل عهده بمجرد الاستعفاء ، فلو أَعفاه الإمام نُظِر فإن وُجِدَ غيره ممن يقوم مَقامه صحَّ إعفاؤه حينئذ ، وإن لم يوجَدْ غيره لم يصحّ إعفاؤه .

الفصل السابع

فى ذكر الوظائف التى كانت تصدر عن الخليفة فى الزمن المتقدم ، وما يصدر عنه الآن من تفويض السلطنة إلى السلطان ، ويرجع المقصود من ذلك إلى عشر [1] وظائف.

الوظيفة الأُولى الوزارة ، وهى على ضربين .

الضرب الأَول : وزارة التفويض ، وهى أَن يستوزر الإمام من يُفَوِّض إليه تدبيرَ الأُمور برأْيه وإمضائه على اجتهاده ، وهى أَجلُّ الولايات بعد الخلافة ، قال الماوردى [2] : فهو ينظر فى كل ما ينظر فيه الخليفة .

(١) في الأصل : عشرة وظائف

(٢) انظر الأحكام السلطانية ص ١٨ – ٢١

الضرب الثانى : وزارة التنفيذ ، والنظر فيها مقصور على رأى الإمام وتدبيره ؛ والوزير فيها واسطة بينه وبين الرعايا والولاة ، يُؤدّى عنه ما أمر ، وينفذ ما ذكر ، ويُمضى ما حكم ، ويُجيز تقليد [1] الولاة . وتَجْهيز الجيوش ونحو ذلك ، وربما عبر عن هذا الوزير بالوساطة. وقد أَجاز الماوردى فى هذا الوزير أن يكون ذميًّا [2] وأنكره عليه إمام الحَرَمين [3] إنكارا شديدا .

الوظيفة الثانية : الإمارة ، وهى أيضا على ضربين .

الضرب الأَول : إمارة الاستكفاء ، وهى التى تنعقد على [4] اختيار من الإمام ، وتشتمل على عمل محدود ، ونظر معهود ، بأَن يفوض إليه الخليفة إمارة بلد أَو إقليم . ويوليه (٢٢ ب) على جميع أَهله . ويجعل إليه النظر فى المعهود من أَعماله .

الضرب الثانى : إمارة الاستيلاء ، وهى التى تنعقد

---

(١) في الأحكام السلطانية ص ٢١ ويخبر بتقليد الولاة

(٢) الأحكام السلطانية ص ٢٢

(٣) إمام الحرمين أبو المعالى عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجوينى (٤١٩ – ٤٧٨ هـ) ابن خلكان ترجمته

(٤) في الأحكام السلطانية ص ٢٤ عن اختيار

على [١] اضطرار ، بأن يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ، ويفوض إليه تدبيرها ، فيكون باستيلائه مستبدًّا بالتدبير والسياسة ، والخليفةُ بإذنه فى الأُمور منفذا [٢] لأحكام الدين ، ليخرج من الفساد إلى الصحة .

الوظيفة الثالثة : الإمارة على القتال ، وهى على أربعة أضرب :

الضرب الأول : الإمارة على قتال المشركين ، وهى تارة تكون مقصورة على سياسة الجيش وتدبير الحرب ، وتارة يُفَوَّض إليه جميع أحكامه ، من تدبير الجيش ، وسياسة الحرب وقسمة الغنائم وعقد الصلح . وغير ذلك ، حتى لا يخرج عنه شيء من أمرها .

الضرب الثانى : الإمارة على قتال أهل الردّة بأن يرتدّ قوم حُكم بإسلامهم إما بولادتهم على الإسلام وإما بإسلامهم عن كفر ، فيجهّز إليهم الإمام من يقاتلهم ، كما فعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين ارتدت العرب

---

(١) في الأحكام السلطانية ص ٢٤ : عن اضطرار

(٢) في الأحكام السلطانية ص٢٧ «والخليفة بإذنه منفذاً لأحكام الدين »وفي الأصل : بأذنه.

(٣) انظر الأحكام السلطانية ص ٢٩

بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

الضرب الثالث : الإمارة على قتال أهل البغى ، وهى أن تبغى طائفة من المسلمين ، ويخالفوا رأى الجماعة ، ويخرجوا عن طاعة الإمام بتأويل باطل ، فيجهز إليهم الإمام من يقاتلهم .

الضرب الرابع : الإمارة على قتال المحاربين ، وهم قُطَّاع الطريق ، بأن يجتمع طائفة من أهل الفساد على شَهْرِ السلاح وقطع الطريق وأخذ الأموال وقتل الأنفس ومنع السائل ، فيجهز إليهم الإمام من يقاتلهم حتى يرجعوا عن ذلك .

الوظيفة الرابعة : القضاء ، وهى القيام بالأحكام الشرعية وتنفيذها على أوامر الشرع وقطع المنازعات ، وقد كان (٢٣ ا) القضاء فى الزمن المتقدم قاصرا على قاض واحد من أى مذهب كان ، ببغداد التى هى قاعدة الخلافة حينئذ ، ويَنْصِبُ هو من يختاره من النُّوَّاب من أهل مذهبه أو غيرهم ، وربما جَعل بالجانب الشرقى من بغداد قاضيا ، وبالجانب الغربى منها قاضيا ، وربما وُلِّى القاضي بالبلاد

والنواحي من تحت يده ، وربما كان للناحية الواحدة قاض مستقل .

قلت : وعلى هذا النهج فى انفراد قاض كانت الديار المصرية فى الدولة الفاطمية ، حتى رأيت عهدا مكتوبا لابن النعمان فى خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمى قد كُتِبَ له بالديار المصرية وأجناد الشام وبلاد المغرب ، مضافاً إلى ذلك النظر فى الصلاة ودُور الضَّرْبِ ، ولم يزل الأَمر جاريا بالديار المصرية على قاض واحد من لدن ذلك وإلى الدولة الظاهرية : بيبرس البندقدارى فى سلطنته ، والقاضى بها يومئذ القاضى تاج الدين بن بنت الأَعز الشافعى ، فحدث فى أيامه ما أوجب نَصْبَ السلطان أربعةَ قضاةٍ ، من كل مذهب من المذاهب الأَربعة قاض . والأَمر على ذلك بالديار المصرية إلى الآن .

الوظيفة الخامسة : ولاية المظالم ، وهى قَوْدُ المتظالِمين [1] إلى التناصُف بالرهبة ، وزجْرُ المتنازعين عن التجاحد بالهيبة ، وهى ولاية دائرة بين سطوة الولاة وتثبت القضاة [2] ، وهى فى معنى حكم نائب السلطنة الآن بين

(١) انظر الأحكام السلطانية ص ٦٤

(٢) في الأحكام السلطانية ص ١٤ : سطوة الحماة وثبت القضاة

الخصوم بأحكام السياسة .

الوظيفة السادسة : النقابة على ذوى الأنساب ، كنقابة الطالبيين ومن فى معناهم ، على معنى نقابة الأشراف فى زماننا .

الوظيفة السابعة : النظر على إقامة الصلوات الخمس والجمعة ، والصلوات المندوبة كالتراويح ونحوها ، وقد كانت هذه الوظيفة فى الزمن المتقدم وظيفة جليلة لا يليها إلاَّ جليل القدر من أهل الدِّيانة .

الوظيفة الثامنة : الإمارة على الحج ، من تسيير الحَجِيج وتدبير أمرهم ، وإقامة الحج والقيام بمناسكه (٢٣ ب) وأحكامه .

الوظيفة التاسعة جِباية الصدقات . وهى الزَّكَوات الواجبة فى المواشى والنقود والزروع ، وتحصيلها من أربابها ، وحملها إلى بيت المال .

الوظيفة العاشرة : النظر فى الحسبة ، وهى الأمربالمعروف والنهى عن المنكر وما فى معنى ذلك مما ينخرط فى هذا السِّلك .

قلت : وقد كان فى الزمن المتقدم يُكتَب بكل ولاية من هذه الولايات عهد عن الخليفة بما يقع به التولية ، وتشملها علامة الخليفة على عادة الولايات فى ذلك ، ولم يزل ذلك مستمرًّا إلى حين انقراض الخلافة من بغداد . أما بعد انتقال الخلافة إلى الديار المصرية فقد صارت علامة الخليفة مقصورة على عهد السلطان بتفويض الأُمور العامة إليه ، وتفاصيل الأُمور يشملها خطُّ السلطان بحكم تفويض الخليفة ذلك إليه .

الباب الثانى

فى ذكر من ولى الخلافة من أول الإسلام وهلمَّ جرا إلى زماننا ، وتفصيل حال كل خليفة ، وترتيب أُمور الخلافة على ما كانت عليه فى الزمن القديم ، وذكر المشاهير ممن ادعى الخلافة فى بعض الأَقاليم وبطلان شبهة دعاويهم ، وفيه ثلاثة فصول .

الفصل الأَول

فيمن ولى الخلافة من صدر الإسلام وهلم جرا إلى زماننا وهم على أَربع طبقات :

الطبقة الأُولى الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم وهم خمسة خلفاء :

الأَول منهم

أَبو بكر الصديق رضى الله عنه ، بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو أَبو بكر بن أَبى قُحافة (٢٤ ا) عثمان بن

عامر بن عمرو بن كعب بن تَيْم بن مُرَّة جدِّ النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو والنبي صلى الله عليه وسلم فى عدد الآباء إلى مرّة سواء ، بين كلٍّ منهما وبينه ستة آباء ، ويقال : إنه كان اسمه فى الجاهلية عبدَ الكعبة ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله ، ولَقَبُه عَتِيق ، واختُلف فى سبب تلقيبه بذلك ، فقيل : لأَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :(أَنت عتيق من النار) . وقد جاء ذلك مُصرَّحا به فى « جامع الترمذى » من حديث عائشة رضى الله عنها . وقيل : تلقب بذلك لجمال وجهه . ولُقِّب بالصِّدِّيق لتصديقه خبر الإِسراء حين أَنكره المشركون [1]

وأُمه سَلْمى ، وتكنى أُمَّ الخَيْر بنت صَخْر ، وهى بنت عم أَبيه .

وكان رضى الله عنه آدم اللونِ طويلا خفيف العارضين غائر العينين ناتئ الجبهة أَجْنَأَ عارى الأَشاجع يخضب بالحناء والكَتَم [2]

---

(١) بهامش الأصل : فيه وجه آخر أحسن منه مذكور في كتب العقائد في وجه تلقيب أبي بكر رضى الله تعالى عنه تصديقه النبى عليه السلام في النبوة من غير تلعثم. نعم عدم تردده في المعراج (تصديق) آخر ، وحسن ما ذكرنا غير خفى فافهم

(٢) الأجنأ : الذى يشرف كاهله على صدره ، والأشاجع . هى أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف وهى عروق ظاهر الكف . واحدها أشجع . والكتّم نبت يخضب به الشعر ويصنع منه مداد للكتابة . وفي الأصل : أجنى عارى الأشاجع يخضب بالحنى ....

بويع له بالخلافة بالمدينة فى اليوم الذى تُوُفِّىَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأَول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وكان فى كفه خاتَمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ثبت أنه كان نقشه: محمد رسول الله. محمدٌ سطرٌ ، ورسولٌ سطرٌ ، والله سطرٌ ، وبقى حتى تُوفى فى ليلة الثلاثاء . وقيل يوم الجمعة لتسع ليال بقين من جُمادى الآخرة . سنة ثلاثَ عشرة من الهجرة ، واختُلف فى سبب موته ، فقيل سمَّته اليهود فمات بعد سنة ، وقيل اغتسل فى يوم بارد فحُمَّ ومات بعد خمسةَ عشرَ يوما ، وقيل مات بالسُّلِّ ، وعمره يومئذ ثلاث وستون سنة ، وغسلته زوجته أَسماء بنت عُمَيس ، وحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سرير عائشة ، وصلّى عليه عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه ، ودُفن فى حجرة عائشة عند النبى صلى الله وسلم ، ورأْسه قُبَالَةَ كَتِفَى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٤ ب) وكان له من الولد ثلاثة ذكور وهم: عبد الله ، من قُتيْلَة ، توفّى فى حياته . وعبد الرحمن ، من أُم رُومَان . ومحمد ، من أَسماء بنت عُمَيس . وبنتان ، وهما : عائشة

زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى شقيقة عبد الرحمن .
وأسماءُ وهى شقيقة عبد الله .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويع له بالخلافة كان أُسامة بن زيد مُبْرِزا فى جيش أَمَّره عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من جملتهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فكان أَول أَمر نفَّذه فى خلافته أَن خرج لتشييع أُسامة ماشياً ، فهمَّ أُسامة بالنزول ، فمنعه أَبو بكر رضى الله عنه ، واستأْذنه فى إقامة عمر رضى الله عنه ليُعينه فى أُمور المسلمين ، فأَذن له فى ذلك . وكانت قبائل العرب خلا قريشٍ وثقيفٍ قد ارتدّت عن الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فجهز إليهم الجيوش وقاتلهم حتى عادوا إلى الإسلام .

قال الطبرى : وفى أَول خلافته أَتى الخبر بقتل الأَسود العَنْسى الذى كان قد تنبَّأَ بصَنْعَاءَ ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أَتاه الوحى بقتله قبل وفاته ، وأَخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم بذلك أَصحابَه ، وقيل : إنما قُتل فى خلافة أَبى بكر رضى الله عنه .

وفى أَيامه قُتل مُسَيلَمَةُ الـكذَّاب ، وكان قد تنبأَ باليَمامة وتبعه خلق كثير ، فقتله وَحْشيٌّ قاتلُ حمزةَ عمِّ النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى أَيامه سار خالد بن الوليد رضى الله عنه بعد قتل مُسيلمة إلى العراق ، فصالحه أَهل الحِيرة على جزْية حَمَلها إلى المدينة ، فكانت أَوَّلَ جزية حُملت إليها .

وفى أَيامه فتح خالدُ بن الوليد الأَنبارَ وعَيْنَ التَّمر من العراق ، وبعث السَّبْىَ إلى المدينة ، وتوجه إلى دُومة الجندل فقتل ملكها أُكَيْدرَ الجَنْدَلِ وسبى ابنته [1] .

وفى أَيامه فُتحت بُصْرى من الشام ، وهى أَول مدينة فتحت بالشام .

وحج بالناس فى السنة الثانية من خلافته .

وهو أَول (٢٥ ا) من جمع القرآن بين دَفَّتَى المصحف حين أُصيب المسلمون باليمامة فى وقعة مُسيلمة ، والقرآنُ حينئذ فى صدور الرجال وفى الرقاع والعُسُب [2] فجمعه

---

(١) في الأصل : دومة الجبل فقتل ملكها أكيدر الجندل وسبى ابنه

(١) العسب جمع عسيب وهو جريدة من النخل كشط خوصها

وسماه مصحفاً ، فكان عنده إلى أن تُوفى ، فبقى عند حفصة أُمّ المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنه كُتبت المصاحف فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، وسُيِّرَت إلى الأَمصار ، على ما سيأْتى ذكره فى خلافة عثمان رضى الله عنه .

وكان رضى الله عنه يأْخذ من بيت المال فى كل يوم ثلاثة دراهم أَجْرَه ، فلما حضرته الوفاةُ قال لعائشة رضى الله عنها : انظروا ما زاد فى مال أَبى بكر مُذْ وَلِىَ الخلافة فَرُدِّيه على المسلمين ، فنظرت ، فإذا بَكْرٌ ، وَمَحَسَّةٌ ، وقَطيفةٌ لا تساوى خمسة دراهم ، فلما جاء ذلك عُمَرَ قال : رحم الله أَبا بكر ، لقد كلَّف من بعده تَعَباً .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم على مكة عَتَّاب ابن أَسِيد[1] < فأَقره أَبوبكر > وعلى صنعاءِ اليمنِ قيسُ بن

(١) في الأصل «عثمان بن أسيد» وكذلك في صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٦٥ وضبط أسيد بالتصغير وليس في الصحابة عثمان بن أسيد ويوجد عثمان بن أبي العاصي بن بشير الثقفى استعمله النبي على الطائف وأقره أبو بكر أما عتاب بن أسيد فهو الذى استعمله النبي على مكة لما سار إلى حنين واستمر وأقره أبو بكر على مكة .

عبد يغوث المرادى [١] ولاه النبي صلى الله عليه وسلم عليها ، فولى أبو بكر رضى الله عنه مكانه فيروز الديلمى ، ثم ولّى المهاجر بن أَبي أُمية وعكرمة بن أَبي جهل على قتال أَهل الردة . [ثم استقر اليمن فى ولاية يعلى بن مُنْيَة] .

الثانى من الخلفاء الراشدين
عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وهو أَبو حفص عمر بن الخطاب بن عبد العُزَّى بن قُرْط بن رزاح بن عَدىّ بن كعبٍ جدِّ النبي صلى الله عليه وسلم ، وبينه وبين كعب ثمانية آباء ، ولُقِّب بالفاروق لِفَرقِهِ بين الحق والباطل حين أَعلن بالإسلام . واختُلف فى أَول من لقبه بذلك ، فقيل : رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل : أَهلُ الكتاب . وقد جاء أَن اليهود قالوا له : إنا نجد فى كتبنا أَنك قرن قال : قَرْنُ مَهْ ، [٢] قالوا : قرنٌ من حديد ، وأُمه خَيثمه [٣] بنت هشام [٤] المخزومى .

---

(١) قيس بن عبد يغوث المرادى هو قيس بن مكشوح انظر ترجمته في الإصابة حرف القاف القسم الثالث

(٢) «مه» هنا هى ما وهاء السكت والمعنى : قرن أى شيء

(٣) كذا في الأصل . وفي الأصابة ترجمة عمر : حنتمة وكذلك نسب قريش ص ٣٤٧

(٤) في نسب قريش : هاشم بن المغيرة وفى الاصابة بنت هاشم .... ومن طريق ابن إسحاق أنها بنت هشام أخت أبي جهل

كان رضى الله عنه أبيض أَمْهَق [1] ، طُوَالاً كأَنه راكب (٢٥ ب) جمل ، أَصلعَ الرأس .

ولى الخلافة بعهد من أَبى بكر رضى الله عنه ، على ما تقدم ذكره فى الباب الأَول فى الكلام على عهود الخلفاء ، ويويع له بها بالمدينة يوم مات أَبو بكر رضى الله عنه ، لِتسْع بقين من جُمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

قال ابن حزم [2] فى « نقط العروس » وكان سنه حين ولى الخلافة دون الستين سنة ، وكان فى كفه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلقاه عن أَبى بكر رضى الله عنه بعد وفاته ، وقد تقدم ذكْر نقشه ، وبقى حتى توفِّى لأَربعٍ بقين من ذى الحجة ، وقيل : لليلتين بقيتا منه . سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، طعنه أَبو لُؤلؤة الفارسىّ غلامُ المُغيرة بن شُعبة ـ وكان مجوسيا وقيل نصرانيا ـ ثلاث طعنات ، إحداهن تحت سُرَّته ، فبقى ثلاثا ثم مات ، وصلَّى عليه صُهَيْبٌ الرومىُّ ، ودُفن بحجرة

---

(١) الأمهق : الشديد البياض و ليس لامعا

(٢) ابن حزم هو على بن أحمد توفي سنة ٤٥٦ انظر شذرات الذهب جـ ٣ ص ٢٦٩

عائشة رضى الله عنها ، عند صاحبيه النبى صلى الله عليه وسلم وأَبى بكر رضى الله عنه ، ووجهه قُبالة كَتِفَىْ أَبى بكر ، وعمره خمس وخمسون سنة [١] . ومدة خلافته عشر سنين .

وكان له خمسة أَولاد ذكور ، وهم: عبد الله من زوجته زينب ، وعبيدالله من زوجته مُلَيْكة ، وزيد من أُم كلثوم بنت على بن أَبى طالب ، وعبد الرحمن وكنيته أَبو شَحْمة . وبنتان ، وهما : حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى شقيقة عبد الله ، وفاطمة [٢] وهى شقيقة زيد [٣].

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة استكتب زيدَ بنَ ثابت وعبدَ الله بن خَلَف الخُزاعى . وجعل على بيت المال زيدَ بن أَرقم . واستقضى شُريح بن الحارث ، قال الدولابى [٤] : وبقى فى

---

(١) كذا في الأصل ولعلها خمس وستون سنة

(٢) في نسب قريش اسمها رقية

(٣) انظر نسب قريش ٣٤٨ – ٣٤٩ فان له من الذرية أكثرمما عد هنا وهم عبدالله وحفصة أمهما زينب بنت مظعون . وزيد ورقية وأمهما أم كلثوم بنت على. وزيد الأصغروعبيدالله أمهما أم كلثوم بنت جرول بن مالك، وعاصم بن عمر أمه جميله بنت ثابت وعبدالرحمن الاوسط أبو شحمة وعائشة أمهما أم ولد اسمها لهية وعبدالرحمن الأصغر أبو المجبر وزينب أمهما أم ولد وعياض أمه عاتكة بنت زيد بن عمرو وفاطمة أمها أم حكيم بنت الحارث بن هشام وعبدالله الأصغر أمه سعيدة بنت رافع

(٤) في شرح القاموس مادة دلب يوجد محمد بن الصباح الدولابى محدث

القضاء بعد ذلك ستين سنة حتى مات سنة سبع وثمانين فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، عن مائة وعشرين سنة ، وقيل : إنما بقى خمسا وسبعين سنة . تعطل منها ثلاث سنين (٢٦ ا) فى فتنة ابن الزبير .

وفى أيامه كانت فتوح الأَمصار .

ففتح من بلاد الشام دِمشقُ صلحاً على يد أَبى عُبيدة ابن الجرَّاح وخالد بن الوليد ، وفُتحت بَيْسان وَطَبَريَّة وقَيْسَاريَّة وفلَسْطين وَعسْقَلان ، وسار بنفسه ففتح بيت المَقْدِس صُلْحاً . ثم فتح بعد ذلك بَعْلَبَكّ وحمْص وحَلَب وقِنَّسْرين وأَنْطاكيَة والرَّقّة وحَرَّان والمَوْصِل والجَزيرة ونَصيبين وآمِد والرُّها .

وفُتح من العراق القادِسِيَّة والمدائن على يد سعد بن أَبى وقاص ، وانهزم ملك الفرس إلى فَرْغَانَة وبلاد التُّرك .

وفتحت كُوَرُ دجلة والأُبلة على يد عتبة بن غزوان .

وفُتحت كُوَرُ الأَهواز على يد أَبى موسى الأَشعرى .

وفتحت نَهاوند وإصْطَخر وأَصبهان وتُسْتَر والسُّوس

وأَذْرَبيجان وبعض أعمال خراسان .

وفى أيامه سُدَّت فروج الشام ورتِّبت دُرُوبها .

وفى أيامه غزا معاويةُ الروم حَتى بلغَ عمُّوريَة .

وفى خلافته بُنيت البصرة والـكوفة .

وفى خلافته فى ثمانَ عشرةَ كان عام الرَّمادة بالحجاز ، وهو الغلاء الشديد ،فاستسقى عمر رضى الله عنه بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فسُقوا ، وكتب عمر إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر يومئذ يشكو قحط الحجاز وما المسلمون فيه من الشدة ، فكتب إليه عمرو : لأُمدَّنَّك ببعِير طعامٍ أَوّله عندى وآخره عندك . ثم أَخذ فى حفر خليج القاهرة الذى فمه عند موردة الخلفاء بمصر ، فوصل به إلى بلْبيس ثم إلى السويس ساحل بحر القُلْزُم فى ثمانية أَشهر ، وجرى فيه ماء النيل ، وحُملت الغلال فيه إلى السُّوَيس ، ثم من السويس إلى الحجاز ، فى عامه .

وفى أيامه فى سنة ثمان عشرة كان طاعون عِمْواس . وهى بلدة بالشام نُسب الطاعون إليها . مات فيه خمسة وعشرون

أَلفا ، منهم أَبو عبيدة بن الجراح ومُعاذ بن جَبَل .

وقد تقدم فى أَلقاب الخلفاء أَنه أَول من لُقّب بأَمير المؤمنين .

وهو أَول من أَرخ بالهجرة ، وأَول من ختم الكتب بعد (٢٦ ب) النبى صلى الله عليه وسلم ، وأَول من جمع الناسَ على إمام واحد فى صلاة التراويح فى رمضان ، وأَول من اتخذ الدِّرَّة ليُعَزِّر [١] بها الجناةَ ، فكان لها عندهم من الهيبة ما لا فوقه ، حتى قال الشَّعبى : إن درَّة عمر لأَهيب من سيف الحجاج . على ما سيأْتى بيانه فى الباب السابع إن شاءَ الله تعالى .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر حين فتحها فى أَيامه عمرُو بن العاص رضى الله عنه بتولية منه ، وهو أَول من وليها فى الإسلام ، وهو الذى اختطَّ مدينة الفُسطاط على القُرب من قصر الشمع الذى كانت الفرس قد بنته حال ملكهم الديارَ المصرية ، وبنى الجامع العَتيق : ويقال : إنه وقف على إقامة

(١) عزره أدّبه . ضربه أشد الضرب .

محرابه ثمانون رجلا من الصحابة رضى الله عنهم .

وكان على الشام أبو عبيدة بن الجراح بولاية منه أيضا حين الفتح ، ثم صرفه عنه وولى مكانه معاوية بن أبى سفيان .

الثالث من الخلفاء الراشدين

عثمان بن عفان رضى الله عنه

وهو أبو عبد الله وقيل أبو عمرو[1] وقيل أبو ليلى عثمان ابن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف جد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكنيته ذو النُّورين. لأنه تزوج ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رُقَّية وأُم كلثوم

وأُمه أروى بنت كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف .

كان رضى الله عنه أسمر اللون معتدل القامة ، وقيل طُوَالا ، حسن الوجه ، بوجهه أثر جدرى ، عظيم اللِّحية ،

(١) في نسب قريش ص ١٠٥ وكان عثمان يكنى أبا عبدالله ويكنى أبا عامر(كذا وصوابه أبو عمرو) فعمرو أكبر أولاده الذين أعقبوا وجاء ذلك في شعر لنائلة بنت الفرافصة :

ومالى لا أبكى وتبكى قرابتى ... وقد ذهبت عنا فضول أبى عمرو

أَصلع ، يصفر لحيته ، وقيل : إنه كان يَشْبِك أَسنانه بالذهب .

بويع بالخلافة بعد موت عمر رضى الله عنه غرَّة المحرم سنة أَربع وعشرين من الهجرة ، وقد تقدم أَن أَمير المؤمنين عمر رضى الله عنه تركها شورى فى الستة المذكورين فى الباب الأَول ، وهم عثمان وعلىٌّ وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أَبى وقاص [وطلحة] ، فآل (٢٧ ا) الأَمر منهم إلى عثمان ، على ما تقدم ذكره هناك .

قال فى « نقط العروس » واختلف فى سنّه حين وليها ، فقيل : إنه ولى وله ما بين ثمان وخمسين إلى إحدى وخمسين [1] سنة وقيل أَقل من ذلك ، قال : والحق الذى لا شك فيه أَنه لم يكن بلغ ستين سنة . وكان فى كفه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكر نقشه ، فبقى فى يده نحوا من ست سنين من خلافته ، حتى سقط منه فى بئر أَريس من بئار المدينة ، فما قُدِر عليه ، فاتخذ

(١) لعلها ثمان وستين إلى إحدى وسبعين فقد قيل قتل وسنه اثنتان وثمانون سنة فيكون تولى الخلافة وسنه تسع وستون سنة وسيأتى ذلك فانظر إلى ما قيل في نقط العروس. ولعل النص: «فقيل إنه ولى وله ما بين ثمان وستين إلى إحدى وسبعين سنه وقيل ... إنه لم يكن بلغ سبعين سنة »

عثمان رضى الله عنه مكانه خاتما من فضة ، ونقش عليه فيما يقال : آمنت بالله الذى خلق فَسَوَّى ، وقيل : نقش عليه : لَتَصْبِرَنَّ أَو لَتَنْدَمَنَّ . وبقى حتى قُتل بداره يوم السبت ، وقيل يوم الجمعة ، لثمان بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، وقيل يوم الأَضحى من السنة المذكورة ، وسنه يومئذ اثنتان وثمانون سنة ، وقيل تسع وثمانون ، وقيل تسعون . ودفن يوم السبت ، وقيل الظهر ، وقيل دفن ليلا . وقبره بالبقيع خارج المدينة بأَرض يقال لها حَشّ كَوْكب كان عثمان اشتراها وزادها فيه ، [1] والحش : النبات .

وكانت مدة خلافته اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوماً [2] وقيل إلا ثمانية أَيام . وكان له من الأَولاد الذكور : عبد الله الأَكبر وعبد الله الأَصغر ، كلاهما [3] من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتا طفلين < وعَمْرٌو > وعُمَرُ وأَبان وخالد وسعيد والمغيرة [4] ، ومن الإِناث أُم سعيد وأُم أَبَان وعائشة وأُم عَمْرو وغير هؤلاء .

(١) في نسب قريش ١٠٢ والإصابة ترجمة عثمان : «كان عثمان اشتراه فوسع به البقيع».
(٢) في الأصل إلا اثنتا عشر يوما
(٣) في نسب قريش ١٠٤ عبدالله الأصغر أمه فاختة بنت غزوان
(٤) انظر نسب قريش ص ١٠٤ فلا يوجد المغيرة من أبنائه على كثرتهم

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى أيامه فتحت كرمان وسجستان ونيسابور وفارس وطبرستان وَهراة وباقى خراسان ، وفُتِحت أيضاً أرمينية ، وفُتِحت إفريقية وقبرص .

وقُتل يَزْدجِرد ملك الفرس بعد أن كان هرب إلى فرغانة وبلاد الترك .

وغزا معاوية القسطنطينية سنة (٢٧ ب) ثلاثين .

وفى أيامه توفى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم عن ثمان وثمانين سنة ، وكان من شأنه أنه إذا مرَّ به عُمَر وعثمان فى خلافتهما وهما راكبان ترجَّلا له إجلالا وتعظيما .

وتوفى أيضا عبد الرحمن بن عوف عن خمس وسبعين سنة ، وكان من أكثر الصحابة ثروة ، وأوصى لكلّ رجل من أهل بدر بأربع مائة دينار ، وهم حينئذ مائة رجل ، وقسمت تركته على ستة عشر سَهْما كلّ سهم مائة ألف دينار .

وفى أيامه وقع الاختلاف فى القراءات ، وقدِمَ حذيفةُ من غَزوة أرمينية فقال لعثمان : أدرك الناس لِئلا يختلفوا

فى القرآن اختلاف اليهود والنصارى فى كتابَيْهم ، قال : ولم ذاك ؛ قال : حضرت غزوة أرمينية ، فحضر أهل العراق وأهلُ الشام ، فكان كل فرقة منهم تُكَفِّر الأُخرى فى قراءتها. فأمر زيدا فكتب مصحفاً ،وعارضه بالمصحف الذى كان عند حفصة ، وهو الذى أُجمِع عليه فى زمن أبى بكر رضى الله عنه ، وأمر بكَتْب مصاحف على ذلك وأنفذها إلى الأمصار ، وحرق ما عداها من المصاحف ، وذلك بمحضر من الصحابة رضى الله عنهم .

ولايات الأمصار فى خلافته (١)

كان على مصر عمرو بن العاص فولاّها عثمانُ أخاه من

---

(١) يذكر المؤلف في بعض الأحيان أنه لم يعرف بعض ولاة البلدان ولهذا يراجع الولاة في كتاب « معجم الأنساب والأسرات الحاكمة » كما يأتى :

الولاية صفحة

١ آمد ١٥٤
٢ إفريقية ويراد بها غرب مصر إلى ساحل المحيط الأطلسى صفحة ٧٥
٣ الأندلس ٨٥
٤ بانياس ١٥٤
٥ البصرة ٦٢
٦ بصرى ١٥٥
٧ بعلبك ١٥٢

الرّضاعة عبدَالله بنَ أَبي سَرْح ، ثم حضر إلى عثمان فى آخر سنة خمس وثلاثين واستخلف عليهـا عُقبـة بن عامر الجُهَنى . فوثب عليه محمدُ بن أَبى حذيفة فى شوال منها ، فأَخرجه منها وخلع طاعة عثمان ، وتـأَمَّر علي مصر ، ثم عاد إليها ابن أَبى سرح ، فلم يمكنه من الدخول إليها ، فرجع إلى عسقلان ومات بها ، ولم يزل ابنُ أَبى حذيفة متـأَمِّراً عليها حتى قُتِل عثمان ، ولم يزل على ذلك حتى قدم معاوية

= الولاية صفحة

٨ بغداد (بعد الخلفاء العباسيين بها) ٦١
٩ حصن كيفا ١٥٤
١٠ حلب ٤٩ ، ١٥١
١١ حماة ١٥٢
١٢ حمص ١٥٣
١٣ دمشق ٤٣ ، ١٥١
١٤ الرى ٧٠
١٥ سبيبة ١٥٤
١٦ سنجار ١٥٢
١٧ فارس ٧٤
١٨ الكرك ١٥٣
١٩ الكوفة ٦٧
٢٠ المدينة ٣٥
٢١ مصر ٣٨ ، ١٤٣ ، ١٦٢ ، ١٦٣
٢٢ مكة ٢٧
٢٣ الموصل ٥٥
٢٤ ميافارقين ١٥٢
٢٥ نيسابور ٧٥
٢٦ اليمن ١٥٢ ، ١٧٥

مصر ، ويقال : إن عثمان ولّى عليها أَبَا يحيي [1] العامريّ .

وكان على الشام معاوية بن أَبي سفيان ، فأَمَّره عليها .

وكان على اليمن يعلى بن (١٢٨ ا) مُنْيَةَ [2] .

وكان على إفريقية وما معها من بلاد المغرب عبدُ الله بن أَبي سَرْح من حين فَتْحِها عَلَى يده ، على ما سيأْتى ذكره .

الرابع من الخلفاء الراشدين

علىٌّ بن أَبي طالب رضى الله عنه

وهو أَبو الحسن علىّ بن أَبي طالب ، واسمه عبد مناف ، ابن عبد المطلب جدّ النبي صلى الله عليه وسلم .

وأُمه فاطمة بنت أَسد بن هاشم ، أَسلمت وهاجرت .

ولقبه حَيْدَرَة ، وهو أَول خليفة - وَلِى - أَبواه هاشميان .

---

(١) في الأصل أبو يحيى . وهذا جائز فيمن يلزم الكنية الواو إذا اشتهر بها صاحبها مثل أبوطالب . لكن المؤلف جرى على إعرابها بالأحرف .

(٢) يعلى بن منية هو يعلى بن أمية التميمى الحنظلى ومنية أمه « بضم الميم وسكون النون » وقيل هى أم أبيه انظر ترجمته في الإصابة . وفي الأصل : منبه

كان رضى الله عنه شديد الأُدمة حسن الوجه عظيم العينين بَطِينا أَصلع عظيم اللّحية كثير شعر الصدر ، مائلا إلى القِصر، كثير التبسُّم ، بويع له بالخلافة بالمدينة بعد قتل عثمان ، لثمان بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ؛ وتأَخر قوم عن مبايعته .

قال فى «نقط العروس» وكان عمره يومئذ دون الستين ، وكان نقش خاتمه : المُلْك لله الواحد القهار . وبقى حتى ضربه عبدالرحمن بن مُلْجِم المُرادى ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أَربعين من الهجرة ، فمات بعد ثلاث ، وعمره ستون سنة . وقيل : سبع وخمسون ، وقيل ثمان وخمسون ، وصلى عليه ابنُه الحسن . ودُفن بالكوفة عند مسجد الجماعة فى قصر الإمارة . وغُيِّب قبره .

وقال الواقدى : دُفن ليلا ، ومدة خلافته خمسُ سنين إلا ثلاثة أَشهر .

وكان له من الولد [1] أَربعة عشر ذكراً منهم : الحسن والحسين ومحسن من فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه

(١) انظر نسب قريش ص ٤٠ — ٤٦

وسلم ، والعباس وجعفر وعبد الله وعثمان من أُم البنين الــكلابية ، وعبد الله وأَبو بــكر ومحمد الأَصغر ويحي من أَسماء بنت عُميس ، وعمر من الصهباء بنت ربيعة ، ومحمد الأَوسط من أُمامة بنت أَبي العاص من زينب [١] بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحمد بن الحنفية من خَوْلة بنت جعفر من بنى حنيفة ، وثمانى عشرة امرأَة ، النسل منهم < فى > خمسة ، وهم الحسن والحسين من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحمد بن الحنفية وعُمَر والعباس . والشرف (٢٨ ب) منهم للحسن والحسين لانتسابهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، من حيث إن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أَن ينسب إليه أَولاد بناته ، بخلاف غيره من الأُمة .

وكان نقش خاتمه : الملك لله الواحد القهار .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويع بالخلافة أَقام بالمدينة أَربعة أَشهر ، إلى أَن اجتمع على عائشة أُمِّ المؤمنين رضى الله عنها طلحةُ والزبير

(١) أمامة بنت أبي العاصي بن الربيع أمها زينب . انظر ترجمتها في الإصابة وقيل إن أمامة لم تلد لعلي أحدا

وغيرُهما ، وحملوها على جمل يقال له عسكر ، وساروا بها إلى البصرة من العراق لطلب ثأْر عثمان ، فخرج عليٌّ فى طلبهم فى سنة ست وثلاثين ، وانضم إليه أَهلُ الكُوفة ، فكان بينهم وقعة الجمل المشهورة ، قُتل فيها من أَصحاب عائشة ثمانية آلاف ، فيهم طلحة ، وفر الزبير فقتل بوادى السِّبَاع .

قال القضاعى : ويقال : إنه قتل منهم سبعة عشر أَلفا ، ويقال : إنه قُطِع على خِطام جملِ عائشة مِمن يقوده إلى الحرب سبعون يدًا ، كلهم من بنى ضَبَّة ، كلَّما قُطعت يدُ رجل تقدَّم آخرُ مكانه ، وقُتِل من أَصحاب عليٍّ نحو أَلف . ثم فى سنة سبع وثلاثين دعا معاويةُ بن أَبى سفيان بالأَمر لنفسه بالشام ، وسار من الشام ، إلى عليٍّ بالعراق ، وسار إليه عليٌّ ، فالتقيا بصِفّين على الفرات ، وكان عليٌّ فى تسعين أَلفا ، ومعاوية فى مائة أَلف . فقْتل من أَهل العراق خمسة وعشرون أَلفا ، منهم خمسة وعشرون بدْريًّا وكان فى جُملة من قُتل منهم عَمَّارُ بنُ ياسر . الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم [1] : (تَقْتُلُك الفئة الباغية) . وقتل من عسكر

---

(١) انظر صحيح مسلم حـ١٨ ص ٤٠ ، ٤١

معاوية خمسة وأربعون ألفا ، ثم تداعيا إلى الحُكومة ، فحكَّم عليٌّ وأهلُ الكوفة أبا موسى الأشعريَّ ، وحكَّم معاويةُ وأهلُ الشام عَمْرَو بنَ العاص ، واجتمع الحَكَمان بدُومَة الجَنْدل ، واتفقا على أن يخلعا عليًّا ومعاوية ويختارا للمسلمين خليفةً يرضونه ، لمكيدة كادها عمرو (٢٩ ا) ثم تقدما إلى الناس ، فبدأَ أَبو موسى فخلع عليًّا ، فقال عمرو : وأَنا قد أَثبت معاوية على الخلافة . فرضى أَهل الشام ، وامتنع أَهل العراق ، وخرجوا على عَلىٍّ فسُمُّوا الخوارج ، ثم عاد علىٌّ لقتالهم فى سنة تسع وثلاثين ، ثم لم يزل معهم فى حرب إلى أَن قتله ابنُ ملجم ، على ما تقدّم ذكره ، ولم يَحُجَّ علىٌّ رضى الله عنه فى شىء من خلافته ، لاشتغاله بالحرب .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر أَبو يحيي العامرى ، فتوفى سنة ست وثلاثين ، فولى مكانه قيس بن سعد بن عُبادة الخزرجيَّ ، ثم عزله وولى مالك بن الحارث الأَشتر ، وكتب له بذلك عهداً ، فسار حتى بلغ القُلْزم ، فسُمَّ فى عسل شَربه فمات ، فولاها

من بعده محمدَ بنَ أَبي بكر الصديق رضى الله عنه ، فولَّى عليها سَهْلَ بن حُنَيْف (1) .

وكان معاوية مستولياً على الشام .

ولم أَقف على من كان بمكّة والمدينة (2)

وولَّى على اليمن عبيد الله (3) بن عباس ثم أَخاه عبد الله .

وولَّى على البصرة عثمانَ بن حُنَيف .

وولى على الكوفة دار إقامته عمارَ بنَ حسان .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبد الله بن أَبي سَرْح .

---

(1) كذا في الأصل ، ولم يذكر ذلك في صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٢٣ وإنما الذى ذكر أن محمد بن أبي بكر ولى مصر سنة سبع وثلاثين فمكث دون السنة . ثم وليها عن معاوية عمرو ابن العاص . ولم يذكر سهل بن حنيف في معجم الأنساب والأسرات ص٣٨ . لكن الأصل في ذكره لولاة الحسن ذكر أيضا سهل بن حنيف كما سيأتى كما ذكره في الولايات في أيام معاوية

(2) في معجم الأنساب ص ٣٥ أن ولاة المدينة سهل بن حنيف وأبو أيوب وولاة مكة ص ٢٧ أبو قتادة الحارث بن ربعى الأنصارى وقثم بن العباس بن عبد المطلب وانظر ابن الأثير حـ ٣ ص ١٦٤

(3) في الأصل عبدالله هذا وفي كتاب معجم الأنسان ص ١٧٥ عن ابن الأثير جـ ٣ ص ٧٢ ولى أيضا على اليمن جارية بن قدامة السعدى .

الخامس من الخلفاء الراشدين

الحسن بن عليٍّ رضى الله عنهما

وهو أبو محمد الحسن بن عليّ بن أبي طالب المقدم ذكره.

وأُمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان رضى الله عنه أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم من رأْسه إلى سرته ، والحسين رضى الله عنه أَشبه به من سرته إلى قدمه ، وهو أَكبر من الحسين بسنة واحدة ، وكان رضى الله عنه مِطْلاقا ، تزوَّج كثيرا من النساء ، فصعدَ عليٌّ كرَّم الله وجهه (٢٩ ب) المنبرَ وقال : أَيها الناس أَلاَ لا يُزَوِّجَنَّ أَحدٌ منكم الحسنَ بنَ عليٍّ فإنه مِطلاقٌ ، فنهض رجل من هَمْـدان قبيلةٍ من اليمن وقال : والله لَنُزَوِّجَنَّه إنْ أَمْهرَ أَمهر كَثيفا ، وإن أَولد أَولدَ شريفا .
فقال عليٌّ رضى الله عنه عند ذلك :

[و] لو كنتُ بوَّاباً على باب جَنَّةٍ
لقلت لهمـدانَ ادْخُلى بسَـلام

بُويع بالخلافة يوم موت أَبيه عليٍّ رضى الله عنه ، لسبع

عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أَربعين من الهجرة . وأَوَّل من بايعه سعدُ بن عُبادة الأَنصارى ، وكانت يده شلاَّءُ ، فقيل : لا يتمُّ هذا الأَمر .

قال فى «نقط العروس» وكان عمره حينئذ ما بين ثلاثين سنة إلى الأَربعين .

وكان نقش خاتمه لا إلٰه إلاَّ الله الملك الحق المبين .

وبقى إلى أَن خَلَع نفسَه من الولاية وسلَّم الأَمرَ لمعاوية ابن أَبى سفيان ، كَفًّا للفتنة بين المسلمين ، فى ربيع الأَول ، وقيل فى جُمادى الأَولى ، سنة إحدى وأَربعين ، فكانت خلافته على القول الأَول خمسة أَشهر ونحو نصف شهر ، وعلى الثانى خمسة أَشهر وكسرا ، وعلى الثالث سبعة أَشهر وكسرا .

وتوفى بعد خلعه بالمدينة فى ربيع الأَول سنة تسع وأَربعين من الهجرة ، وقيل : توفى لثمان خلون من المحرم سنة خمسين ، وصلَّى عليه سعيدُ بن العاص ، ويقال : إن معاوية لما بلغه موته سجد شكرا .

وقد قيل : إن زوجته جَعْدَةَ بنتَ الأَشعث سمَّتهُ فمات ،

من حيث إن يزيد بن معاوية وعدها أن يتزوجها إن سَمَّته ، ففعلت ، ولم يُوف لها .

ودفن بالبقيع على القرب من قبر العباس بن عبد المطلب ، وقد بُنِى عليهما قُبَّةٌ عظيمة تُرى من خارج المدينة على بعد .

وكان له من الولد [1] حسن الأصغر وزيد (٣٠ ا) وعمرو [2] والحسين الأثرم . والقاسم وأبو بكر وطلحة وعبد الله وعبد الرحمن .

والعقب منهم لحسن وزيد دون سواهما ، والقاسم وأبو بكر قتلا مع عمهما الحسين ، وعبد الله قتل بالطَّفِّ .

وكان له بنات أيضاً .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويع بالخلافة أقام بالكوفة إلى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وقتل عبدَ الرحمن بنَ مُلْجم قاتلَ أبيه ، يقال إنه ضربه بالسيف فاتقاه بيده فندَرَت [3]

---

(١) انظر نسب قريش ص ٤٦

(٢) في الأصل « عمر » والتصويب من نسب قريش ص ٥٠

(٣) ندر الشيء من موضعه : زال . وندر الشيء أيضا : سقط من جوف شيء فظهر .

ثم قتله بعد ذلك . وكان عليٌّ رضى الله عنه قد جهَّز قبل موته أَربعين أَلفا لحرب معاوية ، فتجهز الحسن بعد مبايعته للخروج بذلك الجيش ، وسار من الكوفة للقاء معاوية ، واشترط عليه شروطا وقال : إن أَنت أَجبت إليها فأَنا سامع مطيع ، وكان مشروطه عليه أَن لا يَسُبَّ عليًّا ، وأَن يُعطيه ما ببيت مال الكوفة . فأَجابه معاوية إلى ذلك ، وسلَّم الأَمرَ إليه على ذلك ، ورجع إلى المدينة ، فبقى بها إلى أَن تُوفِّى ، على ما تقدم ذكره ، وكان فى خَلْعه نفسه وتسليمِ الأَمر لمعاوية ظهورُ مُعجزتين للنبى صلى الله عليه وسلم :

إحداهما أَن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حقه : (ابنى هذا سَيِّدٌ وسيُصلح اللهُ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) . فكان الأَمر كذلك .

والثانية أَنه حسب يوم تَسْلِيمه فكان تمام ثلاثين سنة ، وقد تقدم أَنه صلى الله عليه وسلم قال : (الخلافةُ بعدى ثلاثون سنة ثم تكون مُلْكاً) .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت عماله على الأَمصار عمال أَبيه المقدّم ذكرهم ، إذ لم يمض له من الزمن ما يسع فيه تغيير العمال مع اشتغاله بحرب معاوية .

فكان على مصر سَهْل بن حُنَيْف .

والشام بيد معاوية . وعلى اليمن عبد الله بن (٣٠ ب) عباس . وعلى البصرة عثمان بن حُنَيف . وعلى الكوفة عمّار بن حسَّان . وعلى إفريقية عبد الله بن أَبى سَرْح .

الطبقة الثانية من الخلفاء
خلفاء بنى أُمية

وهم أَربعة عشر خليفة ، وكانت مَقَرَّتُهم بالشام ، ومدة خلافتهم نيّف وتسعون سنة .

الأَول منهم معاوية بن أَبى سفيان

وهو أَبو عبد الرحمن معاوية بن أَبى سفيان واسمه صَخْر ابن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف جدِّ النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد قيل إنه كان لخلفاء بنى أُمية هؤلاء ألقاب تخصهم كألقاب بنى العباس . وإن لقب معاوية كان الناصر لحق الله .

وأُمه هند بنت عُتبة بن رَبيعة بن عبد شمس .

أَسلم هو وأَبوه يوم الفتح ، وذهبت إحدى عينى أَبيه يوم الطائف ، وذهبت الأُخرى يوم اليرموك .

وكان أَبيض طويلا ، إذا ضحك انقلبت شفته العليا ، وكان يَخضب بالحناء والكَتَم .

بويع بالخلافة البيعةَ العامَّة حين سلّم إليه الحسنُ الأَمرَ بالكوفة ، فى الخامس والعشرين من شهر ربيع الأَول ، سنة إحدى وأَربعين من الهجرة ، وقال الدُّولابى : فى ذى الحجة ببيت المقدس سنة أَربعين ، وكان قد بويع قبل ذلك يوم اجتماع الحَكَمَيْن بصِفّين .

قال فى « نقط العروس » : وكان سنه يومئذ دون الستين سنة ، وكان نقش خاتمه : لكل عمل ثواب . وقيل : كان نقشه : لا قوة إلا بالله .

وهو أَوّل من رتّب الخلافة وأَقام أُبَّهتَها وأَجراها على قاعدة المُلْك ، وهو أَول من عمل المقصورة فى الجامع من الخلفاء ليُصلِّىَ فيها يوم الجمعة . وأَول من رتَّب البريد فى الإسلام. على ما سيأْتى ذكره فى الباب السابع ، إن شاء الله تعالى ، وبقى حتى توفى بدمشق فى مستهل شهر رجب سنة ستين من الهجرة ، وقيل فى النصف من(٢١ ا) رجب ، وعمره ثمان وسبعون سنة ، وقيل خمس وسبعون ، وقيل سبعون .

واختلف فيمن صلّى عليه ، فقيل : ابنه يزيد ، وقيل إن يزيد كان غائبا وإن الذى صلى عليه الضحَّاك بن قيس ، ودُفن بدمشق ، بين باب الجابية وباب الصغير .

ومدة خلافته منذ اجتمع له الأَمر بتسليم الحسن إليه تسعَ عشرةَ سنةً وثلاثةُ أَشهرٍ وسبعةٌ وعشرون يوماً ، وقيل : وخمسةُ أَيام .

قال الدولابى : وأَقام على الشام أَربعين سنة واليا عليها ، فى خلافة عمر أَربع سنين ، وفى خلافة عثمان اثنتا عشرة سنة كذلك ، وخمس سنين يقاتل عليّا ، ومنذ خلص له الأَمر إلى أَن مات تسع عشرة سنة ، ولما مرض دخل عليه

أَصحابه ليعودوه فأَنشد[1] :

وتَجَلُّدى للشامتين أُريهِم
أَنِّى لِرَيْبِ الدهرِ لا أَتضعضعُ

وإِذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَها
أَلفيتَ كلَّ تَميمةٍ لا تَنفعُ

وكان له ثلاثة أَولاد ذكور ، وهم : عبد الرحمن ويزيد وعبد الملك ، وأَربع إِناث هن : هِند ورَمْلة وصَفيَّة وعائشة .

الحوادث والماجريات فى خلافته

استلحق زيادا وادّعى أُخُوَّته فى سنة أَربع وأَربعين ، فكان عَوْناً له فى خلافته لِحِذقه ودهائه ، والناس لا يُثْبتون نسبه من أَبى سفيان ، فتارة يقولون زيادُ[2] بن أَبيه ، وتارة يقولون زيادُ بن أُمه[3] ، وفى أَيامه فى سنة ثمان وأَربعين غزا ابنُه يزيدُ القُسطنطينيةَ فى جمع من الصحابة رضى الله عنهم ، منهم أَبو أَيوبَ الأَنصارى ، فتوفى أَبو أَيوبَ فى هذه الغَزاةِ

(١) الشعر لأبي ذؤيب الهذلي انظر كتاب شرح أشعار الهذليين تحقيقي حـ ١ ص ١٠٢٨

(٢) في نسب قريش . يزيد وعبدالله وهند ورملة وعائشة انظر ص ١٢٧ ، ١٢٨

(٣) يقال له وهو مشهور زياد بن سمية

فى سنة اثنتين وخمسين ، ودفن فى أصل سور القسطنطينية ، فلما دفن قالت الروم : لقد مات (٣١ ب) منكم عظيم ، فقال يزيد : قولوا : هذا رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أقدمهم إسلاما ، وقد قبرناه حيث رأيتم ، والله لئن نُبِش لا يُضْرَب ناقوسٌ بأرض العرب ما كانت لنا مملكة ، فكانوا إذا أمحلوا كَشَفوا عن قبره فسُقُوا ، وبَنَى الرومُ على قبره بِنَاءً وعلَّقوا عليه أربعة قناديل سُرُجاً .

وفى سنة أربع وخمسين عبر سعيد بن عثمان بن عفان نَهْرَ جَيْحون إلى سَمَرْقند والصُّغْد وهزم الكفار ، وقُتل فى هذه الغزاة قُثَم بن العباس ، ودفن بسمرقند ، ومات بقية إخوته بأقطار متباعدة ، فمات أخوه عبدالله بالطائف ، وأخوه الفضل بالشام ، وأخوه سعيد بإفريقية ، فيقال إنه لم يُرَ قُبورُ إخوةٍ أكثرَ تباعدا منهم .

وفى خلافته توفى سعيدُ بن زيد ، أحدُ العشرة المقطوع لهم بالجنة ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى سنة إحدى وخمسين .

وتوفى زيادُ بن أبيه فى سنة اثنتين وخمسين .

وتوفيت أُمُّ المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى سنة سبع وخمسين .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر سهـل بن حُنَيف ، فولَّى عليها عمرو بن العاص ، وهى ولايته الثانية ، وبقى حتى تُوفِّى ليلة الفطر سنة ثلاث وأَربعين ، ثم وليها عنه أَخوه عُتبة بن أَبى سفيان إلى أَن مات ، ثم وليها بعده عُقبة بن عامر الجُهَنى ، فبقى حتى صرَفه وولَّى عليها مَسلمةَ بنَ مُخَلَّدِ ـ بضم الميم وتشديد اللام ـ الخزرجىَّ سنة سبـع وأَربعين ، فمكث بها خمس عشرة سنة .

وولى على مـكة خالدَ بن العاص بن هشَام .

وعـلى المدينة مروان بن الحكم ، ثم عزله سنة أَربع وخمسين وولى مـكانه سعيد بن العاص . (١٣٢) وجمع له بين مكة والمدينة ، ثم ولاهما مروان بن الحـكم ، ثم عزله سنة تسع وخمسين ، وولى مكانه الوليدَ بنَ عُتبة بن أَبى سفيان .

وولّى عـلى صنعاءِ اليمن فيروزَ الديلميَّ ، فبقى حتى مات سنة ثلاث وخمسين ، وولى على إفريقية وما يليها من بلاد المغرب معاويةَ بن حُدَيج - بالحاء المهملة المضمومة - السَّـكُونىَّ ، سنة أَربع وثلاثين ، ثم ولّى عليها عُقبةَ بنَ نافع[1] بن عبد قيس الفِهرى ، سنة خمس وأَربعين ، فبقى عقبة بالقَيْرَوان ، وجعلها منزلا للجند ، وهى أَولُ مدينة بنيت بإِفريقية فى الإِسلام ، ثم استعمل على مصر وإِفريقية مسلمةَ بن مُخَلد فعزلَ مسلمةُ عقبةَ عن إِفريقية ، وولّى عليها مولاه أَبا المهاجر دينارًا ، سنة خمس وخمسين ، فغزا الغرب ، وبلغ تِلِمْسَان ، وهى الغربُ الأَوسط ، وكان الغربُ الأَقصى والأَندلسُ بعدُ لم يفتحا .

الثانى من خلفاء بنى أُمية

يَزيدُ بن معاوية بن أَبى سفيان

وهو أَبو خالدٍ يزيدُ بن معاوية بن أَبى سفيان ، ويقال إِنه كان تلقب : المستنصر على أَهل الزَّيغ ، وأُمه مَيْسون بنت بَحْدلٍ الـكلبيَّةُ ، وكان آدمَ اللونِ طويلا ، جَعْدَ

(١) في الأصل : مانع . والتصويب من كتب التاريخ ومما سيأتى بعد ذلك .

الشعر أَحور العينين ، بوجهه آثار جُدَرىّ ، حسنَ اللِّحية خفيفَها ، وكان قد أَقام مع أُمه ميسون فى قومها بنى كلب بالبادية ، فتعلم منهم الفصاحة ، وقال الشِّعر ، وكان السببُ فى ذلك أَن معاويةَ يوماً سمع أُمَّه وهى تنشد أَبياتا ، ظَهَر له بها رغبتُها عنه ، آخرُها :

وخِرْقٌ من بنى عمى فقيـــــــرٌ
أَحـــبُّ إلىَّ من عِلْجٍ عَلُــــــوف [1]

فقال : ما كفاك حتى جعلتنى علجا علوفا ؟ الْحَقِى بأَهلك ، فمضت إليهم ويزيدُ معها ، فكان من أَمره ما تقدم .

وَلِىَ الخلافةَ بعهد من أَبيه معاوية ، وبُويع له بها بعد موت أَبيه فى مُستهلِّ صفرسنة ستين ، وقيل : فى النصف منه ، وامتنع عن مبايعته عبد الله بن(٣٢ ب) الزُّبير ، والحسينُ ابن على رضى الله عنهما ، وقال ابن عمر رضى الله عنه : إن أَجمع الناس على بيعته بايعتُه . ومقتضى كلام ابن حزم فى « نقط العروس » أَنه وَلى وعمره ما بين العشرين

(١) الخرق : الكريم . والعلج : الضخم القوى ، ويطلق على الأعاجم .

والثلاثين سنة ، وكان نقشُ خاتمه : ربُّنا الله . وبقى حتى تُوفّى بحوارين من عمل حمص ، لأَربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأَول سنة أَربع وستين ، وهو ابنُ ثمان وثلاثين سنة ، وقيل : تسعٍ وثلاثين ، وحمل إلى دمشق ، ودفن فى مقبرة الباب الصغير ، وصلّى عليه ابنُه معاوية بن يزيد ، وكانت مدة خلافته ثلاثَ سنين وتسعة أَشهر ، وقيل : وستة أَشهر ، وكان له من الأَولاد الذكور مُعاوية وخالد وأَبو سفيان وعبد الله الأَكبر وعبد الله الأَصغر وعمر وعبد الرحمن وعتبة الأَعور ويزيد ومحمد وأَبو بكر وحرب والربيع وعبد الله الملقب أَصغر الأَصاغر وبنات [1] .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويع بالخلافة سار الحسينُ بن علىّ رضى الله عنهما ، بعد ذلك بقليل ، إلى الكوفة ، ونزل بمكان يقال له كَرْبَلاء ، ووقع الحرب بها بينه وبين جيش يزيد ، فوقعت الكسرة على الحسين رضى الله عنه ، فقُتل فى يوم عاشوراء

(١) لم يذكر في كتاب نسب قريش من أولاده عمر وحرب والربيع وعبدالله وعبدالله ، وذكر واحدا منهم فقط ويقال له : الأسوار . وذكر ولدا آخر اسمه عثمان . وانظر في نسب قريش أسماء بعض بناته ص ١٢٩ — ١٣٠ .

سنة إحدى وستين ، وعمرُه تسع وخمسون سنة ، وقيل : خمس وخمسون ، وقيل : ست وخمسون ، وقُتل معه من إخوته العباسُ وجعفرٌ وعبدُ الله وعثمانُ وعبيدُالله وأبو بكر ، وقتل معه أيضا القاسم وأبو بكر وَلَدَا أخيه الحسن وعدةٌ من أولاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأولاد عَقيل بن أبي طـالب ، واحْتُزَّت رأْسُ الحسين رضى الله عنه وحُملت إلى عبيدالله[1] بن زياد ، فجعل يقرع فم الحسين بقضيب ، فقال له زيد بن أرقم : ارفعْ هذا القضيبَ ، فوالذى لا إله غيرُه لقد رأيت شفتيْ رسول الله (١٣٣) صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين .

ثم حُمِلت الرأْس إلى يزيد بن معاوية ، فجهزها إلى المدينة النبوية مع نسائهم وأطفالهم ، فتلقاهم نساء بنى هاشم حاسرات ، وابنةُ عَقيل[2] بن أبي طالب تُنشد :

ماذا تقولون إنْ قال النبيُّ لكم
ماذا فعلتمْ وأنتم آخرُ الأُمَمِ

---

(١) في الأصل : عبدالله بن زياد وهو سهو

(٢) في أنساب الأشراف : زينب بنت عقيل ترثى قتلى أهل الطف وخرجت تنوح بالبقيع . وانظر عيون الأخبار حـ ١ ص ٢١٢

بِعِتْرَتِـى وبأَهلى بعد مُعْتَقَـدِى
منهم أُسارى وصرعى ضُرِّجُوا بِدَمِ [1]

ما كان هذا جزائى إِذْ نصحت لـكم
أَن تَخلفونى بسُوءٍ فى ذَوِى رَحِمِـى

وقد حكى صاحب «درر السِّمط فى خبر السِّبط» أَنه وُجد على حجر مكتوبٍ تاريخُه قبل البعث بأَلف سنة هذا البيت [2] :

أَترجو أُمَّة قتلت حُسينـا
شفـاعـة جَدِّه يـوم الحِسـاب

وقد اختُلف فى الموضع الذى دُفنت فيه هذه الرأْس [3] ، فقيل : بالمدينة عند أُمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل دفنت بباب الفراديس بدمشق ، وقيل : دفنت بِعَسقلان .

وقد حكى القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر فى

(١) في انساب الأشراف :
ذريتى وبنو عمى بمضيعة — منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم

(٢) في الاستيعاب على هامش الإصابة حـ ١ ص ٣٨١ في ترجمة الحسين : وهذا البيت زعموا قديما لا يدرى قائله

(٣) في الأصل : هذا الرأس

«خطط القاهرة» أن الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز الفاطمى بنى جامعه خارج بابى زويلة لتنقل إليه هذه الرأس فيدفنها به ، ويجعله مَشهدا لها ، فبلغ ذلك الفائزَ أَحدَ خلفاء الفاطميين فقال : الأَحقُّ أَنْ تكون هذه الرأْس عندنا داخل القصر ، فأَخلى لها قاعة من قاعات القصر ودفنها فيها وجعلها مشهدا ، وهو المشهد المعروف الآن بمشهد الحسين. ومما يؤيد صحة ذلك ما حكاه القاضى محيي الدين بن عبدالظاهر أَيضا : أَن السلطان صلاح الدين يوسف بن أَيوب حين استولى على قصر الفاطميين أَمسك خادماً من خدام القصر ، وعذبه بأَن حلق رأْسه وأَكفأَ عليها طاسا ، وجعل فيه خنافس (٣٣ ب) فأَقام ثلاثة أَيام لم يتأَثر بذلك ، فدعاه السلطان وسأَله عن شأْنه ، وهل معه طِلَّسْم وَقَاهُ ذلك : فقال : لا أَعلم شيئا ، غير أَنى حملت رأْس الحسين على رأْسى حين أُتى بها إلى المشهد . فخلَّى سبيله وأَحسن إليه .

ولم يَحجَّ يزيدُ فى مدة خلافته .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر مسلمة بن مُخَلَّد ، فولَّى عليها مكانه سعيدَ بنَ يزيدَ الأَزْدىَّ (١) فى سنة اثنين وستين [ثم وليها عبدالرحمن الفهرى] فبقى بها إلى ما بعد خلافة يزيد .

وكان على مكة والمدينة الوليدُ بن عُتبة (٢) فولى مكانه عَمْرَو بنَ سعيد الأَشدق ، ثم عزله سنة إحدى وستين ، وأعاد الوليد بن عتبة ، ورَجعَ عقبةَ بنَ نافع إلى إفريقية وما معها من بلاد المغرب ، فاستولى على ذلك بعد أَبى المهاجر دينارٍ .

الثالث من خلفاء بنى أُمية

معاوية بن يزيد

وهو أَبو ليلى معاوية بن يزيد بن معاوية بن أَبى سفيان بن حَرْب ، ويقال : إنه كان يُلَقَّب الراجعَ إلى الله . وأُمه أُمُّ هاشم ، ويقال : أُم خالد بنت أَبى هاشم بن عتبة بن ربيعة

(١) فى الأصل : « الأودى » والتصويب من صبح الأعشى ﺣ ٣ ص ٤٢٤ ومعجم الأنساب ص ٣٨ .

(٢) هو الوليد بن عتبة بن أبى سفيان

ابن عبد شمس . كان شابا دَيِّناً ، ولم أقف على شيء من حِلْيَتِه [1] .

بويع بالخلافة فى رابع عشَر ربيع الأَول سنة أربع وستين حين وفاة أَبيه ، وقيل : فى النصف من ربيع الآخر منها ؛ ومقتضى كلام ابن حزم أَنه ولى الخلافة وسنُّه ما بين العشرين والثلاثين سنة ، وكان نقش خاتمه : الدنيا غَرورة .وبقى حتى توفى بعد ثلاثة أَشهر من خلافته ، وقيل : بعد أَربعين يوما ، وقيل : بعد عشرين يوما ، وعمره إحدى وعشرون سنة ، وقيل : ثلاث وعشرون سنة ، وقيل : سبعَ عشرةَ سنة ، وصلى عليه أَخوه خالد . وقيل (٣٤ ا) صلى عليه الوليد بن عتبة بن أَبى سفيان ، فكبَّر عليه تكبيرتين ، ومات قبل أَن يقضى صلاته ، فصلّى عليه مروانُ بن الحكم . ودُفن بجنب قبر معاوية بن يزيد المذكور ، ولم أَقف له على عقب [2] ، غير أَنه كان يُكنى أَبا ليلى ، فيحتمل أَنه كان له بنت اسمها ليلى كنى بها ، ويحتمل أَنه كنى بذلك من غير ولادة .

---

(١) بهامش الأصل بخط مختلف ما يأتى :
يدل على صلاح حاله وفلاح أحواله ما قاله :
ياليت ما كان لى معاوية   أباً ولا الخبيث يزيد

(٢) لم يذكر له أيضا عقب في نسب قريش .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى خلال خلافته بويع لعبد الله بن الزبير [1] رضى الله عنهما بالخلافة بمكة ، فى رجب سنة أربع وستين ، واستولى على مكة والمدينة ، ودان له أهل الحجاز واليمن والعراق ، وبويع له أيضا بحِمص وقِنَّسرين من الشام ، وكاد أن يتم له الأَمرُ بِجُملته .

قال ابن حزم : وسنه حين بويع ما يزيد على ستين سنة ، وبايعه أهل العراق أيضا ، وهدم الكعبة وأدخل فيها الحجْر وجعل لها بابين مع الأَرض ، يُدْخَل من أحدهما ويُخْرَج من الآخر ، معتمدا فى ذلك على حديث بلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم . وخَلَّق [2] الكعبة داخلها وخارجها ، وهو أول من خَلَّقها ، وكساها القَبَاطِىَّ ، وهى ثياب بِيض من عمل مصر ، ولم يزل يُقيم الحج للناس من سنة أربع وستين إلى سنة اثنين وسبعين .

---

(١) بهامش الأصل بخط مختلف ما يأتى : «وقال الشيخ الإمام ختم « خاتم » المجتهدين السيوطى إن عبد الله بن الزبير من خلفاء « الخلفاء » الراشدين . فإن قلت : الخلفاء الراشدين « الراشدون » كم هم ! قلت : سبعة أولهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وحسن بن على وعبدالله بن الزبير وعمر بن عبدالعزيز .

(٢) خلق الكعبة : طيبها بالخلوق ، وهو الطيب .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر عبد الرحمن الفِهْرى فأَقرّه عليها فمكث فيها اثنتين وعشرين سنة ، ويقال إن ابن الزبير ولَّى عليها عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم .

وكانت مكة بيد عبد الله بن الزبير ، وكان على المدينة من جهة عبد الله بن الزبير أَخوه مصعب بن الزبير ، ولاه عليها سنة خمس وستين ، ثم نقله إلى البَصرة ، وولى مكانه جابر بن الأَسود بن عوف الزُّهرى ، ثم ولَّى مكانه على المدينة طَلْحةَ (٣٤ ب) بن عبد الله بن عوف ، وولى عبدَ الله بنَ مُطيع الكوفةَ . وكان على إفريقية وما معها من المغرب عقبة بن نافع ، فأَقرّه عليها .

الرابع من خلفاء بنى أُمية

مروان بن الحَكَم

وهو أَبو الحكم ، وقيل : أَبو عبد الملك ، مروان بن الحكم بن أَبى العاص بن أُمية بن عبد شمس ، ويقال : إنه كان يلقب المُؤتمن بالله ، وأُمه أُميّة بنتُ عَلقمة بن

صفوان ، كان قصيرا دقيقا أَوْقَص [1] ، بويع له بالخلافة بالجابيــة من الشام ، فى رجب سنة أَربع وستين ، ثم جُدِّدت له البيعة فى ذى القعدة من هذه السنة .

قال ابن حزم فى «نقط العروس» وكان سنه يوم ولى الخلافة إحدى وستين [2] سنة ، وكان نقش خاتمه : الله ثقتى ورجائى ، وبقى حتى تُوفِّى بالطاعون ، لثلاث خلوْنَ من رمضان سنة خمس وستين ، وعمره ثلاث وستون سنة ، ويقال : إن زوجته أُمَّ خالدِ بن يزيد بن معاوية خنقتْه ثم صاحت وقالت : مات فجأَةً ، ودُفن بمقبرة دمشق ، وكانت مدة خــلافته سبعة أَشهر وثمـانية عشر يوما ، وكان له من الأَولاد : عبد الملك ، ومعاوية ، وعبيد الله وعبد الله وأبان وداود وعبد العزيز وعبــد الرحمن وبشر ومحمــد وبنات [3]

الحوادث والماجريات فى خلافته

كان سلطانه بالشام خاصّة ، وباقى الأَمْصار فى طاعة

---

(١) الأوقص : القصير العنق خلقة

(٢) في الأصل : إحدى وستون

(٣) ذكر في نسب قريش من أولاده أيضا أيوب وعثمان وعمر . ولم يذكر عبدالرحمن وانظر بناته في نسب قريش ص ١٦٠ — ١٦١

عبد الله بن الزبير ، والضحّاك بن قيس بالشام فى جماعة يحاربون لمبايعة ابن الزبير ، ثم كانت الوقعة بين الفريقين بمرْج راهِط بغُوطة دمشق ، فقُتِل الضحاكُ وانهزم من معه ، ثم سار مروان إلى مصر فى سنة خمس وستين فبايعه أهلها .

ولايات الأَمصار فى خلافته

(١٣٥) كان على مصر من جهة ابن الزبير عبد الرحمن ابن جَحدم ، فطرده مروان عنهـا وولى مكانه ابنه عبد العزيز .

وكان على المدينة واليمن والعراق عمال ابن الزبير ، على ما تقدم ذكره فى ترجمة معاوية بن يزيد .

الخامس من خلفاء بنى أُمية

عبد الملك بن مروان

وهو أَبو الحكم ، وقيل أَبو مروان ابن الحكم بن أَبى العاص بن أُميـة بن عبـد شمس ، وهو أَول من سُمِّى عبد الملك فى الإِسلام ، ويقال : إنه كان يلقب المُوثِّق لأَمر الله ، وأُمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أَبى العاص ،

كان أَفوه مفتوح الفم ، مُشبَّك الأَسنان بالذهب ، حازما فى أَمره ، لا يَكل أَمَره إلى غيره ، ويقال : إنه كان فقيهاً عالمـا ، فلما ولى الخلافة استهوته الدنيا فتغير عن ذلك .

ومما يحكى أَنه لما أَتته الخلافة كان قاعدا يقرأ فى المصحف ، فأَطبقه وقال : هذا آخر العهد بك ، وكان فى غايةٍ من الشُّحِّ ، حتى كان يقال له : رَشْحُ الحَجَر ، لبخله ، لأَن الحجر لا يرشح الماءَ إلاَّ نادرا .

يقال إن بعض أَخصَّائه سمعه يقول : أَجِعْ كَلبك يَتْبَعْك . فقال له : يا أَمير المؤمنين ، أَمَا تخشى أَن يُلوِّح له غيرُك بِكِسْرة فيتركَكَ ويتبعَه ؟

وكان مع شحه أَبْخَر ظاهرَ البَخَر ، وكان إذا مرَّ الذباب على فمه سقط لشدَّة بَخَره ، ومن أَجل ذلك كان يلقب أَبا ذُباب .

بويع بالخلافة بعد موت أَبيه مروان فى ثالث رمضان سنة خمس وستين ، واستقرّ له الأَمر بمصر والشام خاصَّة . والعراق والحجازِ واليمن مع ابن الزبير .

قال ابن حزم : وكان عمره حين ولى الخلافة ما بين الثلاثين سنة والأَربعين سنة ، وكان نقش خاتمه : آمنت بالله مُخلصا . وبقى حتى توفى فى النصف من شوال سنة (٣٥ ب) ست وثمانين ، وعمره ستون سنة ، ودفن بدمشق ، وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً ، منها سبع سنين وسبعة أَشهر وسبعة عشر يوما قبل قتل ابن الزبير ، وباقيها بعد قتله .

وكان له من الأَولاد : الوليد ، وسليمان ، ومروان الأَكبر ، ويزيد ، ومروان الأَصغر ، ومعاوية ، وهشام ، وبكار ، والحكم ، وعبد الله ، ومسلمة ، والمنذر ، وعنبسة ، ومحمد ، وسعيد ، والحجاج [1] ، ويقال إن عبد الملك رأى فى منامه كأَنه بال فى المحراب أَربعَ مرات ، فغمَّه ذلك ، فوجَّه إلى سعيد بن المسيِّب من سأَله عن ذلك فقال : يملك من ولده لصلبه أَربعة . فكان كذلك ، فولى منهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام .

---

(١) لم يذكر في نسب قريش من أولاده مروان الأصغر ولا معاوية ولا محمداً ، انظر ص ١٦١ — ١٦٥

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة منع الناس من الحج من حيث إن ابن الزبير كان يأْخذ البيعة لنفسه على الناس فى الموسم ، فضجَّ الناس من منع الحج ، فبنى عبدُ الملك قُبَّة الصخرةِ ببيت المقدس ، وكان الناس يحضرونها يوم عرفة ويقفون عندها ، فيقال : إن ذلك سبب التعريف [1] ببيت المقدس ومساجدِ الأَمصار .

وذكر الجاحظ فى كتاب « نظم القرآن » أَن أَوَّلَ من سنَّ التعريف فى مساجد الأَمصار عبدُ الله بن عباس ، وأَنكر العلماءُ عليه هذا النقل ، وذكر أَبو عمر الكندى أَن عبد العزيز بن مروان أَول من سنَّ التعريف بالمسجد الجامع بمصر بعد العصر .

قال أَبو هلال العسكرى فى كتابه « الأَوائل » : وعبد الملك أَول من ضرب الدراهم فى الإسلام ، وفى سنة تسع وستين سار عبد الملك بنفسه إلى العراق ، فلقيه مصعب ابن الزبير فى جيش ، فقُتل مصعبُ ، فدخل عبد الملك الكوفةَ بعد مقتل مصعب فبايعه (١٣٦) الناس . وفى

(١) التعريف أن يوقف بها كما يوقف بعرفة يوم عرفة وهو التاسع من ذى الحجة .

سنة ثلاث وسبعين ولَّى الحجاجَ بنَ يوسف الثقفىَّ على مكة ، فسار الحجاجُ إلى مكة ، وحارب ابنَ الزبير ، وقبض عليه بعد حصار طويل ، وقتله وصلبه لثلاث عشرة ليلة بقيت من جُمادى الأُولى ، سنة ثلاث وسبعين ، وقيل : فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين . وفى سنة أَربع وسبعين هدم الحجاجُ الكعبةَ من جانب الحِجْر وأَخرج الحجْر منها . وجعله على الهيئة التى كان عليه فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، ورفع داخلها عن الأَرض ، وسدَّ الباب الغربى ،وجعل الباب الشرقى يُصْعَد إليه على دَرَجٍ ،والأَمر على ذلك إلى الآن .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر أَخوه عبد العزيز بن مروان فأَقره عليها ، فبنى بالفُسطاط الدار المُذهبة المعروفة بالمدينة ونزلها ، وهى دار عظيمة تُجاوز الوصف ، ثم صارت بعده منزلا لمن يلى إمارة مصر ، ثم صارت مساكن للعامة بعد ذلك .

قال القُضاعى فى « خططه » كان يُسكَبُ فيها فى كل يوم مائةُ راويةٍ ماءً ، وفيها عدة مساجد ، وعدة أَفران للخبز ، وأَقام على مصر عشرين سنة وعشرة أَشهر وأَياما ، وهو

الذى بنى القنطرة التى على خليـــج القاهرة عند السد الذى يســكسر عند وفاء النيل .

ويقال : إنه ولى عليها عبد الله بن عبد الملك [1] ، فمكث فيها خمس سنين ، ثم ولى عليها بعده قُرَّةَ بن شَرِيك فى سنة تسعين ، فبقى عليها إلى أن مات عبد الملك ، وهو أول من وضع اللوح الأَخضر على [2] الأُسطوانة الوسطى بالجامع العتيق بالفسطاط .

واستولى الحجاج بن يوسف على مكة بعد قتل ابن الزبير .

وولى عبدُ الملك على المدينة طارقَ بنَ عُمر ، فانتزعها منه صالحُ بنُ عبد الله ، ثم ولّى عبدُ الملك على مكة والمدينة وسائر أعمال الحجاز (٣٦ ب) واليمن الحجاجَ بنَ يوسف ، وعزل طارقا عن المدينة وجعله من جملة جند الحجاج ، ثم ولَّى على مكة والمدينة سنة سبع وسبعين أبانَ بنَ

(١) في الأصل : «عبدالله بن عبدالله بن عبدالملك » والتصويب من صبح الأعشى ﺣ ٣ ص ٤٢٤ .

(٢) في الأصل : « علو» هذا وفي صبح الأعشى ﺣ ٣ ص ٣٤٢ أن قرة بن شريك جعل في المسجد المحراب المجوف وأحدث فيه المقصورة . وأن أول من نصب اللوح الأخضر فيه هو عبد الله بن طاهر وهو أمير مصر في سنة اثنتى عشرة ومائتين .

عثمانَ بنِ عفّان ، ثم عزله فى سنة اثنتين وثمانين وولى مكانه هِشام بن إسماعيل المخزومى .

وولى على العِراقين وخراسان الحجاجَ بن يوسف ، ففتك بأهله وأبادهم ، وقتل جمعا من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم على ما سيأتى ذكره عند وفاة الحجاج فيما بعد إن شاء الله تعالى . وكان على إفريقية وما معها من المغرب عقبةُ بن نافع ، فقُتل ، فولّى عبدُ الملك مكانه حسانَ بن النعمان الغسانى ، فسار حتى دخل القَيروان ، وافتتح قُرْطَاجَنَّة قاعدة إفريقية قبل الإسلام ، وكان الغرب الأقصى والأندلس لم يفتحا بعد .

السادس من خلفاء بنى أمية
الوليد بن عبد الملك

وهو أبو العباس الوليدُ بن عبد الملك بن مروان ، المقدم ذكره ، ويقال إنه كان يلقب : المنتقم لله ، وأمه ولادة بنت العباس [1] ، كان أسمر جميلا أقنى الأنف ، ويقال : سائل الأنف جدا ، بوجهه أثر جُدَرِىّ ، له سطوة شديدة ،

(١) كنيتها أم الوليد بنت العباس بن جزءابن الحارث بن زهير من بنى عبس . انظر نسب قريش ص ١٦٢

لا يتوقف إذا غضب ، وكان كثير النكاح والطلاق ، يقال إنـه تزوج ثلاثا وستين امرأة ، وكـان ضعيف البصر بالعربية بحيث يغلب عليه اللَّحْن ، دخل عليه أعرابى يشكو صِهْرًا له ، فقال له الوليد : ما شانَك – بفتح النون – وهو يريد أن يسأله عن شأنه ، فقال له الأعرابى : أعوذ بالله من الشين ، فقال أخوه سليمان : إن أمير المؤمنين يقول لك ما شأنُك – وضم النون – فقال الأعرابى : خَتَنى ظلمنى ، يعنى صِهْرَه ، فقال له الوليد : من خَتَنَك – بالفتح – فقال الأعرابى : إنما ختننى الحَجَّام ، ولست أريد ذا (٣٧ ا) فقال سليمان : أمير المؤمنين يقول لك : من خَتَنُك ؛ فقال : هذا . وأشار إلى خَصْمه .

ولى الخلافة بعهد من أبيه عبد الملك ، ثم بُويع له بها بعد وفاته يوم الخميس منتصف شوال سنة ست وثمانين .

قال ابن حزم : وكان سنه حين ولى ما بين الثلاثين والأربعين سنة ، وكان نقش خاتمه : يا وليد إنك ميت ومحاسب ، وبقى فى الخلافة حتى توفى بدير مُرّان من الشام ، يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة ست

وتسعين ، وعمره ثمانٍ وأَربعون سنة وأَشهر ، وكانت مدة خلافته تسعَ سنين وسبعة أَشهر ، وقيل : وثمانية أَشهر ، وكان له من الأَولاد ثمانية عشر ذكرا ، وقيل : أَربعة عشر ذكرا ، منهم يزيد وإبراهيم ، ولى كل منهما الخلافة ، والعباس ، وكان فارس بنى مروان ، وعمر فحل بنى مروان ، كان يركب فى ستين من صلبه ، وعمر وعبد الكريم وبشر وغيرهم وبنات [1] .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى خلافته غزا أَخوه مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم وعاد ، وفى خلافته فتحت طُلَيطلة دار مُلْكِ الأَندلس على يد طارقٍ مولى موسى بن نُصير مُتولِّى إفريقية ، وحمل إليه منها مائدة سليمان بن داود عليه السلام ، وكانت من خليطين ذهب وفضة ، عليها ثلاثةُ أَطواقِ لؤلؤٍ ، وكان من غريب الأَمر فى فتحها أَنه كان بدار المُلك بها بيتٌ مُغلق عليه أَقفال من حديد ، كلما وليها ملك جديد زادها قُفلا ، إلى أَن كان آخرهم ملك اسمه لُذَرِيق ، أَراد فتح

(١) انظر أولاده في نسب قريش ص ١٦٥ ولم يذكر من بينهم عبدالكريم بل ذكرعبدالرحمن وذكر من اسمه عمر واحدا فقط

ذلك البيت والاطلاع على ما فيه ، فنهاه كهنتهم عن فتحه ، فأبى إلا ذلك ، ففتحه ، فوجد داخله صندوقا مُقفلا ، ففتح ذلك الصندوق ، فإذا فيه سَفَطٌ من حرير فيه صور العرب راكبين الجمال ، وفيه مكتوب : (١٧٧ ب) إذا فُتح هذا البيت وأُخرج هذا السَّفَط ، وفُتِح ، مَلَكَ أصحابُ هذه الصور هذه البلادَ . فكان الأَمر كذلك .

وفى خلافته فُتحت عدَّةٌ من بلاد السند وما وراء النهر . وتغلغل الحجاج فى بلاد التُّرك . وتغلغل مسلمةُ بن عبد الملك فى بلاد الروم ففتح وسبى ، وفتح محمد بن القاسم الثقفىُّ بلادا من بلاد الهند .

وكان الوليد مع كثرة اعتنائه بالغزو وفتح البلاد مُغرما بالبناءِ ، وهو الذى بنى المسجد الجامع بدمشق ، ومن ثَمَّ نُسب إلى بنى أُمية وأَدخل فيه كَنيسة النصارى ، وأَتى فيه من حُسن الصنعة وزينة الزخرفة بما يدهش النظر ، ويحار فى وصفه الفكر ؛ إلاَّ أَنه قد تغيرت معالمه بما طرأَ عليه من الحريق مرة بعد أُخرى ، لا سيما ما عَرَاه من

تَمُرْلَنْك حين استيلائه على دمشق ، وزاد فى مسجد النبيِّ صلى الله عليه وسلم وزخرفَه ونمَّقه ورصَّعه بالفُسيفساء ، وهى الفصُّ المُذهب ، وأدخل فيه حُجَر أزواج النبيِّ صلى الله عليه وسلم وسائر المنازل التى حوله ، وكان القائم بذلك له عمر بن عبد العزيز ، وهو يومئذ أميرٌ له على المدينة .

وهو أَول من اتخذ البيمارستان للمرضى ، وأَوّل من اتخذ دار الضيافة ، وأَول من بنى الأَميال فى الطرقات ، على ما سيأْتى ذكره فى الباب السابع إن شاء الله تعالى .

وأنفذ إلى خالد بن عبد الله القَسْرىِّ عامله بمكة ثلاثين أَلف دينار صفَّح بها باب الكعبة والميزاب والأَساطين ، وجدَّد بناءَ المسجد الأَقصى وزخرفه . وفى أَيامه كان الطاعون الجارف [1] بالبصرة ، يقال : إنه مات فيه فى ثلاثة أَيام ثلاثمائة أَلف إنسان ، وفى أَيامه مات حبْرُ الأُمة عبدُ الله ابن عباس رضى الله عنهما فى سنة ثمان وستين ، وهو جد الخلفاء العباسيين ، وفى سنة خمس وتسعين أَخرج الوليدُ علىَّ بنَ عبد الله بن عباس من دمشق ، وأَنزله الحُمَيمة

(١) في هامش الأصل ما يأتى : « هذا الجارف لما ذكره العينى في تاريخه المسمى بعقد الجمان: كان ذكر الطاعون الجارف في زمن عبد الملك بن مروان في سنة سبعين وبالله التوفيق » .

من أَرض الشام ، فوُلد له بها نيِّفٌ [1] وعشرون ولدا ذكرا (١٣٨) ولم يزل بها إلى أَن بطلت دولة بنى أُمية .

وفى أَيامه كانت زلازل عظيمة أَقامت أَربعين يوما .

وفى أَيامه قتل الحجاجُ بنُ يوسف سعيدَ بنَ جُبير التابعىَّ الإِمام الكبير فاختلط عقلُ الحجاج لوقته ، وبقى قليلا ثم مات فى رمضان سنة خمس وتسعين ، عن ثلاث وخمسين سنة ، وقيل : عن أَربع وخمسين ، وكان مدة ولايته العراق عشرين سنة ، وكان عدَّةُ من قتله فيها صَبْرًا مائة أَلف وعشرين أَلفا ، ومات فى محبسه خمسون أَلف رجل ، وثلاثون أَلف امرأَة . وما ربك بغافل عما يفعل الظالمون .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر قُرَّة بن شَرِيك ، فأَقره عليها فمكث سبع سنين .

وولَّى على مكة عمرَ بن عبد العزيز ، ثم ولَّى عليها بعده خالدَ بنَ عبد الله القَسْرىَّ .

---

(١) فى هامش الأصل ما يأتى : « النيف يجوز فيه التخفيف والتشديد يعنى الزيادة » .

وولّى على خراسان بعد الحجاج بن يوسف المهلَّبَ بن أَبي صُفْرة .

وكان على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومى ، فعزله وولى عليها عثمان بن حَيَّان [1] .

وولى على إفريقية وما معها من بلاد المغرب موسى بن نُصير – بضم النون – فقَدم القَيْرَوانَ وبها صالح بن حسّان فعزله عنها ، ثم رجع موسى بن نصير إلى المشرق واستخلف على إفريقية ابنه عبدَ الله بنَ موسى بن نصير ، واستقرَّ طارقُ بن زياد مولى موسى بن نصير على الأَندلس من حين فتحها ، ثم قدم موسى بن نصير إلى الأَندلس ونزل طُلَيطِلة ، وأَقام بها سنتين واستخلف عليها ابنَه عبد العزيز بن موسى ، ثم توجَّه إلى الوليد بن عبد الملك بما معه من الغنيمة والسبي .

السابع من خلفاء بنى أُمية

سليمان بن عبد الملك

وهو أَبو أَيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان ، المقدم

(1) في الأصل « حياه » والتصويب من نسب قريش ص ٢٨٦ عثمان بن حيان المرى

ذكره (٣٨ ب) ويقال : إنه كان تلقب : المهدىَّ بالله الداعى إلى الله . وأمه ولاَّدة أُمُّ أَخيه الوليد ، وكان أَبيض اللون جميلا طويل القامة ، فصيحا لَسنا أَديبا ، معجبا بنفسه ، مُتوقِّفا عن سفك الدماء ، ويقال : إنه كان كثير النكاح شَرِها فى الأَكل ، يأْكل فى كل يوم نحوا من مائة رطل .

ولى الخلافة بعهد من أَبيه عبد الملك بن مروان ، وذلك أن عبد الملك رتَّب خلافته فى العهد على خلافة أَخيه الوليد المقدَّم ذِكْره ، فقال : الخليفةُ بعدى الوليدُ ، ثم بعد الوليدِ سليمانُ ، وبويع له بها بعد موت أَخيه الوليد يوم السبت النصفَ من جُمادى الآخرة سنة ست وتسعين .

قال ابن حزم : وكان عمره حين ولى ما بين الثلاثين والأَربعين ، وكان سليمان حين موت أَخيه بالرمْلَة من عمل لدّ . فبلغه الخبر بعد سبعة أَيام ، فسار إلى دمشق ودخلها .

وكان نقش خاتمه : آمنت بالله مخلصا . وبقى حتى توفى بدابق من أَرض قِنَّسْرين ، لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين ، وعمره خمس وأَربعون سنة ، بعد أَن عهد

بالخلافة بعده لعمر بن عبد العزيز ، ثم من بعد عمر ليزيد ابن عبد الملك ، وصلى عليه عمرُ بن عبد العزيز ، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام ، وكان له أربعة عشر ولدا ذكرا [١] .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى سنة تسع وتسعين خرج بنفسه لغزو القُسْطَنْطينيَّة حتى نزل بدابق ، وبعث أخاه مسلمة إلى القسطنطينية ، فنزل عليها وحاصرها ، وفتح مدينة الصقالبة ، وبعث المهلَّب ابن أبي صفرة< إلى > خراسان ، ففتح جُرجان. وطبرستان ، وقد ذكر فى «مسالك الأبصار» أنه هو الذى بنى مدينة الرَّملة ، ولعل ذلك قبل خلافته.

(٣٩ ا) ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر قُرَّة بن شريك ، فولّى مكانه عبدَ الملك ابن رفاعة ، فى سنة سبع وتسعين ، فمكث فيها ثلاث سنين وكَسْراً .

---

(١) انظر أولاده في نسب قريش ص ١٦٥

وكان على مكة خالد بن عبد الله القسرى ، فأقره عليها .

وكان على المدينة عثمان بن حيَّان [1] فولَّى مكانه أبا بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم . وكان على إفريقية عبد الله بن موسى بن نصير خليفةً بها عن أبيه موسى المذكور ، فبقى عليها ، وكان على الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير المذكور فاستقرَّ بها .

الثامن من خلفاء بنى أُمية

عمر بن عبد العزيز

وهو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، ويقال إنه كان يلقب : المعصوم بالله ، وأُمه أُمُّ عاصم بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . كان أسمر نحيفا حسن الوجه ، فى وجهه شَجَّةٌ [2] من رَمْح [3] دابة وهو غلام ، ولذلك يعرف بأَشج بنى أُمية [4] ، وقد رُوى أن عمر بن

---

(١) في الأصل « حياة » وانظر ما سبق من تصويبه ص ١٣٨ .

(٢) في هامش الأصل : رجل أشج بين الشجج في جسده أثر شجة : قاموس .

(٣) تحت كلمة « رمح » بخط صغير مخالف ما يأتى : الرمح بالفتح : الضرب .

(٤) بهامش الأصل بخط مختلف ما يأتى : قال الإمام « إمام » المحدثين شيخ المفسرين جلال الدين السيوطى رحمه الله : إن عمر بن عبد العزيز من خلفاء الراشدين على التحقيق سمعته من الثقة .

الخطاب رضى الله عنه كان يقول : إن من ولدى رجلا بوجهه شَيْنٌ [1] يملأُ الأَرض عَدْلا .

ولى الخلافة بالعهد من سليمان بن عبد الملك ، وبويع له بها بعد وفاة سليمان بدابق يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين .

قال ابن حزم : وكان سنه حين ولى الخلافة ما بين الثلاثين سنة والأَربعين ، وكان نقش خاتمه : عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله ، وبقى فى الخلافة حتى توفى فى يوم الجمعة لخمس ، وقيل : لست بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وعمره تسع وثلاثون سنة ، ودفن بأَرض دير سَمْعان من عَمَل حِمْص ، وقيل : توفى بدير سمعان ودفن به . قال(٣٩ ب) صاحب حَمَاة : الظاهر أَن دير سمعان هو المعروف الآن بدير البَقرة من عمل مَعَرَّة النّعْمَان ، قال : وكان موته بالسم من بنى أُمية ، عِلْماً منهم أَنه إن امتدت أَيامه أَخرج الأَمر عنهم ، وأَنه لا يغهد بعده إلا لمن يصلح للأَمر ، فعاجلوه .

---

(١) فوق كلمة شين بخط دقيق مختلف : يعنى العيب.

قلت : وفيما قاله نظر ، فإن عهد سليمان بن عبد الملك كـان متضمنا العهـد بعد عمر بن عبد العزيز ليزيد بن عبد الملك ، فلم يـكن لعمر أن يعهد لغيره .

وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً ، وقيل : خمسة أشهر فقط ، وقد قال العلماءُ فى قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله يبعث لأُمَّتى على رأْس كل مائة من يجدد لها دينها) : إنه كان على رأْس المائة الأُولى عمر بن عبد العزيز .

وكان له من الأَولاد أَربعة عشر ذكرا ، منهم عبد الملك وكان ناسكا ، ومات فى حياته عن تسع عشرة سنة ونصف ، وعبد الله وكان شجاعا [1]

الحوادث والماجريات فى خلافته

بنى مسجد الجُحْفة ميقات الإحرام لحُجَّاج مصر ، واشترى ملطيَّة من الروم بمائة أَلف أَسير ، وبناها ، وكان قبله خلفاءُ بنى أُمية يَسبُّون أَمير المؤمنين علىَّ بن أَبى طالب رضى الله عنه على المنابر من حين خَلَع الحسنُ نفسه فى سنة

(١) لم يذكر نسب قريش ولده .

إحدى وأَربعين إلى أَن وَلِيَ عمر بن عبد العزيز ، فأَبطل ذلك وكتب إلى نوابه بإبطاله ، وجعل بدله قوله تعالى ﴿ إنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بالْعَدْل وَالإِحْسَان﴾ [1] الآية . فاستمر الخطباءُ على ذلك إلى الآن ، ومدحه كُثَيِّرٌ [2] الشاعرُ بقوله :

وَلِيت فلم تشتُمْ عليًّا ولم تُخِفْ
بَرِيًّا ولم تَتْبَعْ سَجيَّةَ مُجْرِم

وقُلْتَ فصدَّقْتَ الذى قُلْتَ بالذى
فعلتَ فأَضحى راضيا كُلُّ مُسلِم

(١٤٠) ولايات الأَمصار فى خلافته

ولَّى على مصر بعد عبد الملك بن رفاعة أَيوبَ بنَ شُرَحْبيل الأَصبحيّ ، آخرَ سنةٍ تسع وتسعين ، فمكث فيها سنتين وستة أَشهر .

وكان على مكة عبدُ العزيز بن خالد بن أَسيد عن سليمان

(١) سورة النحل الآية ٩٠

(٢) ديوانه جـ ٢ ص ١٢٢–١٢٣ وبين البيتين بيتان

ابن عبد الملك ، فأَقَرَّهُ عليها .

وولَّى على المدينة عبدَ العزيز بن أَرطاة ، فأَقام إلى أَيام يزيد بن عبد الملك .

وولى على إفريقية بعد محمد بن يزيد إسماعيلَ بن عُبيد الله بن أَبى المُهاجر ، فأَسلم على يديه جميعُ البَربر ، وأَقام إلى أَيام يزيد بن عبد الملك .

وكان على الأَندلس الحسنُ بن عبد الرحمن ، ثم السَّمْح ابن مالك الخَوْلانى ، فأَقام بها سنتين وتسعة أَشهر .

التاسع من خلفاء بنى أُمية
يزيد بن عبد الملك

وهو أَبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وأُمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أَبى سفيان ، ويقال : إنه كان يلقب القادر بصنع الله ، كان أَبيض جسيما مُدَوَّر الوجه ، شديد الكِبْر عاجزا ، وكان صاحب لهو ولَذَّة ، وهو صاحب حَبابة [1] وسلاَّمة ، وهما جاريتان كان مشغوفا

(١) ضبطها الأصل حبابة بضم الحاء . وفي نهاية الأرب حـ ٥ ص ٥٨ بفتح الحاء وهى بالفتح أيضا في الأغانى انظر مثلا حـ ٥ ص ٨٤ طبع دار الكتب والجزء الخامس عشر نشر بيروت تحقيق عبد الستار فراج ترجمتها و (ترجمة سلامة القس في الجزء الثامن طبع دار الكتب).

بهما ، وماتت حَبّابة فمات بعدها بيسير ، قيل بسبعة عشر يوما ، أَسفاً عليها ، وكان قد تركها أياما لم يدفنها ، لعدم استطاعته فراقها ، فعوتب على ذلك فدفنها ، ويقال : إنه نبشها بعد الدفن حتى شاهدها .

قلت : وأين مقام هذا من مقام الذى كان يهوى سَلاَّمة جاريَته الثانيةَ ، وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عمار [1] وذلك أنه مرَّ يوما بمنزل سيدها ، فسمع غناءها فهَويها ثم هويته (٤٠ ب) هى أيضا ، واجتمعا بعد ذلك فقالت له سلامة : إننى أُحبُّك ، فقال : وأنا أيضا أُحبك ، فقالت : وأنا أَشتهى أَن أُقبلك ، فقال : وأنا أيضا ، قالت : فما يمنعك ؛ قال : تقوى الله ، ثم قام وانصرف وتركها [2] . وكان عبد الرحمن هذا يعرف بالقَسّ لعبادته ، ولذلك عُرفت سلاَّمة هذه بسلامة القَسّ .

ولى الخلافة بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك له بها بعد عمر بن عبد العزيز ، على ما سيأْتى ذكره فى الكلام على عهود الخلفاء للخلفاء ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) في الأغاني ح ٨ ترجمة سلامة القس اسمه عبدالرحمن بن أبي عمار الجشمى

(٢) انظر القصة في ترجمة سلامة في الأغاني الجزء الثامن طبع دار الكتب

وقيل : إن أباه عبد الملك كان أدخله مع إخوته فى العهد إليهم ، فسلَّم لعمر بن عبد العزيز . وبويع له بالخلافة بعد موت عمر بن عبد العزيز فى يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة .

قال ابن حزم : وكان عمره يومئذ ما بين الثلاثين والأَربعين . وكان نقش خاتمه : قِنِى السيئاتِ يا عزيز. وبقى حتى توفى بحَوْران من الشام ، لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وعمره تسع وعشرون سنة ، فيما ذكره القُضاعى فى «عيون المعارف» .

وقال المُؤَيَّد صاحب حماة فى «تاريخه» : كان عمره أربعين سنة ، وعليه ينطبق كلام ابن حزم ، حيث جعل ولايته فى ما بين الثلاثين والأَربعين ، وكان له من الأَولاد ثمانية ذكور ، منهم[1] عبد الله بن يزيد ، وَلَدَه سبعةُ خلفاء ، على ما سيأْتى ذكره فى الباب السابع ، إن شاء الله تعالى ، ومنهم الوليد بن يزيد الآتى ذكره فى جملة الخلفاء .

---

(١) انظر أولاده في نسب قريش ص ١٦٦

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى أيامه خرج يزيد بن المهلَّب بن أَبى صفرة ، فبعث إليه أخاه (٤١ ا) فقاتله ، فقُتل يزيدُ بنُ المهلَّب وجميعُ آل المهلب ، وكانوا قوما كراما ، وفيهم يقول الشاعر [١]

نزلْتُ على آل المُهَلَّبِ شاتِياً
غريباً عن الأَوطان فى زَمَنِ المَحْلِ

فما زال بى إحسانهمْ وافتقادهمْ
وبِرُّهُمُ حتى حسبتُهمُ أَهلى

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر من قِبَله بشرُ بن صفوان ، وقيل . صفوان نفسه ، ثم وليها عنه حنظلةُ أَخو صفوان .

وعزل عن مكة عبدَ العزيز بنَ خالد بن أَسِيد فى سنة ثلاث ومائة ، وأَضافها مع المدينة إلى عبد الرحمن بن

(١) في ابن خلكان ترجمة المهلب بن أبي صفرة : وللمهلب عقب كثير بخراسان يقال لهم المهالبة وفيهم يقول بعض شعراء الحماسة :

نزلت على آل المهلب شاتيا بعيدا عن الأوطان في الزمن المحل

الضحّاك ، ثم عزله عن مكة والمدينة ، لثلاث سنين من ولايته ، وولّى مكانه عبدَ الواحد البصرى ، فبقى عليهما إلى أيام هشام بن عبد الملك . ولم أقف على عامله باليمن[1] .

وولى على العراقين عبدَ الله بن عمر بن عبد العزيز . وولى على إفريقية بعد إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر المقدّم ذِكرُه يزيدَ بن أبى مُسلم مولى الحجّاج ، فقدِمَها سنةَ إحدى ومائة ، فقتله البَرْبَرُ وأقاموا محمد بن يزيد الذى كان عليهم أوّلا ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك بذلك ، فأقرّه عليهم ، ثم ولّى عليها بعده بِشْر بن صَفوان الكلبىّ ، فقدمها سنة ثلاث ومائة ، ومات بها سنة تسع ومائة .

وكان على الأندلس عُقبة الكلبىّ ، فأقام بها إلى أيام مروان بن محمد الآتى ذكره .

---

(١) عمال اليمن نقلا عن معجم الأنساب ص ١٧٥ من الرسول إلى آخر بنى أمية : معاذ بن جبل بعثه الرسول ثم سار الأسود العنسى سنة ١٢ هـ وولى المهاجر بن أبى أمية سنة ١٣ • ويعلى بن أمية (٣٥) وعبيد الله بن العباس ٣٦ وعبد الله بن العباس سنة ٤٠ وجارية بن قدامة السعدى سنة ٤٠ وفيروز الديلمى (٤١) والحجاج بن يوسف (٧٣) ومحمد بن يوسف (٨٠) ويوسف بن عمر (١٠٦) والصلت بن يوسف (١٢٠) والقاسم بن عمر (١٢٨) وعبد الواحد بن سليمان .

العاشر من خلفاء بنى أُمية

هشام بن عبد الملك

وهو أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان ، وقيل : إنه (٤١ ب) يلقب المنصور بالله ، وأُمه أُم هشام فاطمة بنت هشام المخزومى [١] ، كان أبيض رَبْعَةً جميلا سمينا منقلباً [٢] ، له سياسة حسنة وتيقُّظٌ فى أمره ، مع مباشرته الأمور بنفسه .

ولى الخلافة بعهد من أخيه يزيد المقدَّم ذكْره ، وبويع له بالخلافة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وعمره يومئذ أربع وثلاثون سنة وأشهر ، وكان حين مات أخوه يزيد بن عبد الملك مقيما بالرّصافة من بلاد الشام فى دار له صغيرة ، فجاءته الخلافة على البريد ، فركب من الرصافة ، إلى دمشق ، فكانت بيعته ، ولما ولى الخلافة اختار الرصافة منزلا ، لطيب هوائها وبعدها من الوَباء ، وابتنى بها قصرين ونزلهما ، ومن هنالك نُسبت إليه فقيل

(١) فى الأصل : «وأمه أم هاشم فاطمة بنت هاشم المخزومى» والتصويب من نسب قريش ص ١٦٤

(٢) فى الأصل : منقلب

رصافة هشام ، وكان له من السُّتور والكِسْوة والطُّرُز مالم يكن لمن قبله من الخلفاء ، وكان نقش خاتمه : الحُكْم للحَكَمِ الحكيم .

قال ابن حزم : وكان عمره حين ولى الخلافة ما بين الخمسين والستين [1] ، وبقى فى الخلافة حتى توفى بالرصافة لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وعمره ثلاث وخمسون سنة ، وقيل أربع وخمسون وشهور ، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوماً : وقيل وتسعة أشهر .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى أيامه فى سنة ثمانَ عشرةَ ومائة غزا أَسدُ بنُ عبد الله القسرى بلادَ التُّرك ، وقتل خاقان ملكَهم فى جماعة كثيرة من قومه ، وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة ، وفى سنة إحدى وعشرين (١٤٢) ومائة غزا مروان بن محمد ـ وهو على الجزيرة وأرمينية ـ بلاد صاحب السَّرير ، فأجاب

(١) هذا اختلاف كبير ، فعمره حين ولى بين الثلاثين والأربعين ، وحين توفي بين الخمسين والستين ، ومكث في الخلافة عشرين عاما تقريبا

إلى الجزية فى كلّ سنة سبعين ألف رأس يؤديها ، وغزا مسلمةُ بن عبد الملك بلاد الروم ، فافتتح حصونا وغَنمَ. وغزا نصر بن سيَّار بلادَ ما وراء النهر ، وقتل مَلك التُّرك ، ثم مضى إلى فَرْغانة من بلاد الترك فسبى سبيا كثيرا .

وفى خلافته خرج زيد بن علىٍّ بالكوفة ، ودعا إلى نفسه ، وبايعه جمع كثير ، فقتله يوسفُ بنُ عُمر الثقفىُّ وصلبه ، وبعث برأسه إلى هشام بن عبد الملك ، فنصبها بدمشق ، ولم تزل منصوبة حتى مات هشام ، ويقال : إن هذه الرأس حملت بعد ذلك إلى مصر ، ودفنت بين مصر والقاهرة ، فى المشهد الذى بين الكيمان الآن المعروف بمشهد الرأس . وإلى زيد هذا تُنسب طائفة الزَّيدية ، وهم فرقة من الشيعة .

وفى خلافته تُوفى الحسنُ البَصرى ومحمدُ بن سيرين ، وتوفى محمدٌ الباقرُ بن زين العابدين فى سنة إحدى عشرة[1] ، وتوفى نافع مولى عمر بن الخطاب فى سنة سبعَ عشرةَ ومائةٍ ، وتوفى الزُّهْرىُّ فى سنة اثنتين وعشرين ومائة .

---

(١) كذا بالأصل ولعلها « إحدى عشرة ومائة »

ولايات الأَمصار فى خلافته

فى أَيامه كان على مصر حَنظلةُ أَخو صفوان ، فَوَلَّى عليها عِوَضَه أَخاه[1] محمدَ بن عبد الملك فى سنة خمس ومائة ، فمكث فيها أَشهرا ، ثم استعفى فولاَّها حفصَ بن الوليد الحضرمىَّ ، ثم صرفه وولاها عبدَ الملك بن رفاعة ، فبقى بها حتى توفى .

قلت : وقد حكى القُضاعى فى «خطط مصر» فى الكلام على دار الإمام اللَّيث بن سعْد أَنه كان لليث دارٌ ببلدتنا قَلْقَشَنْدة . فهدمها (٤٢ ب) عبدُ الملك بن رفاعة هذا عنادا له ، فعمَّرها الليثُ ، فهدمها عبدُ الملك ، فعمَّرها ، فهدمها ، فلما كان فى الثالثة بينما الليث نائمٌ إذا بهاتف يهتف به : قم يا ليث ﴿ ونُرِيدُ أَنْ نمُنَّ عَلَى الَّذينَ اسْتُضْعِفُوا فى الأَرْض ونَجْعَلَهُمْ أَئمَّةً ونَجْعَلَهُمُ الْوَارِثين﴾ [2] فأَصبح ابنُ رفاعة وقد أَصابه فالجٌ[3] فأَوصى إلى الليث وبقى ثلاثا ثم مات ، ويؤيد ذلك ما حكاه ابنُ يونس مؤرخ مصر فى « تاريخه » أَن الليث وُلد بقلقشندة ، وأَنه لا عبرة بما يقال : إنه منسوب إلى فارس .

(١) فى الأصل : أخوه
(٢) سورة القصص الآية ٥
(٣) الفالج : داء يحدث فى أحد شقى البدن فيبطل إحساسه وحركته

ثم تولاها بعد عبد الملك بن رفاعة أَخوه الوليد بن رفاعة ، ثم توفى ، فتولاها عبد الرحمن بن خالد ، ثم صرفه وولاها حنظلةَ بنَ صفوان ، ثم صيره إلى إفريقية وولاها حفصَ بن الوليد ، وقيل ، وليها بعد محمد بن عبد الملك عبدُ الله بنُ يوسف الثقفى ، ثم عبدُ الملك بن رفاعة ، ثم أَخوه الوليد ، ثم عبد الرحمن الفهرى [1] ، ثم حنظلة فى سنة عشرين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين وكَسْرًا إلى زمن الوليد بن يزيد بعده .

وكان على مكة والمدينة عبدُ الواحد البَصرى ، فعزله وولى عليهما إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، ثم عزله سنة أَربع عشرة ومائة ، وولى مكانه على مكة والطائف دون المدينة محمدَ بن هشام المخزومى .

وأَما المدينة فولَّى عليها بعد إبراهيم بن هشام خالدَ بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ، ثم عزله سنة ثمان عشرة ومائة ، وولى مكانه محمد بن هشام بن إسماعيل . ولم أَقف على عماله على اليمن .

---

(١) في معجم الأنساب : الفهمى . أما في صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٢٤ فكالأصل .

[1] وكان على إفريقية بشرُ بن صفوان ، فعزله وولى عليها عبيدة بن عبد الرحمن السُّلَمى ، فقدمها سنة عشر ومائة ، ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن الحتحات ، فقدمها سنة أَربع عشرة ومائة ، وبنى جامع تُونس ، واتخذ بها دارًا لعمل المراكب البَحْرِيّة ، ثم عزله وولى مكانه كُلثوم بن عِياض ، فقدمها سنة ثلاث وعشرين ومائة ، ثم (٤٣ ا) بعث إليها حنظلة بن صفوان الكلبى ، فقدمها سنة أَربع وعشرين ومائة ، ثم خرج عليه عبد الرحمن بن حَبيب سنة ست وعشرين ومائة ، فطرده عنها واستقلَّ بإمارتها ، وأقام إلى أيام الوليد بن يزيد الآتى ذكره .

وكان على الأَندلس عُقبة الكلبىُّ ، فأَقام عليها أَربع سنين وخمسة أَشهر ، ثم وليها يحيى بن مَسلمة سنتين وستة أَشهر ، ثم وليها حُذيفة بن الأَحوص القَيْسى سنة واحدة ، ثم وليها عثمان بن سعد الخثعمى خمسة أَشهر ، ثم وليها الهيثم بن عُبيد خمسة أَشهر ، ثم وليها

(١) في صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٦ أن يوسف بن عمرو « عمر » كان على اليمن سنة ثمان ومائة .

عبد الرحمن بن عبد الله الغَافقى سنتين وثمانية أَشهر ، ثم وليها عبد الملك بن قطار أَربع سنين ، ثم وليها عُقبة بن الحجاج خمس سنين ، ثم وليها بَلْخُ بن بِشر القيسى ، ثم وليها حُسام بن ضِرار الكلبىّ ، فأَقام بها إلى أَيام الوليد بن يزيد .

الحادى عشر من خلفاء بنى أُمية

الوليد بن يزيد

وهو أَبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، ويقال : إنه كان يلقب المكتفى بالله . وأُمه أُمُّ الحجَّاج بنت محمَّد بن يوسف أَخى الحجاج بن يوسف ، وكان أَبيض اللون رَبْعَة القَدِّ ، قد وَخَطه الشيبُ ، شاعرا فصيحا ، وكان مصروف الهمة إلى اللهو والأَكل والشرب وسماع الغناء ، وكان من ظُرفاء بنى أُمية ، بويع له بالخلافة يوم الأَربعاء لثلاث خلون من ربيع الأَول سنة خمس وعشرين ومائة ، ولم يل الخلافةَ من بنى عبد الملك أَسنّ منه ، لأَنه وليها بعد مجاوزة الأَربعين ، وكان نقش خاتمه : يا وليد احْذَر الموتَ . وبقى فى الخلافة حتى توفى قتيلا فى يوم

الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة عند قصر النعمان بن بشير ، وذلك أن ابن عمه يزيد ابن الوليد بن عبد الملك أحس منه كثرة تجرٍّ ولهو [1] بعد أن رُمى بالكفر وغِشْيان (٤٣ ب) أُمهات أَولاد أبيه ، فسار إليه وقتله هناك ، وعمره يومئذ اثنتان وأربعون سنة . وقيل غير ذلك . وكانت مدة خلافته سنة واحدة وثلاثة أشهر ، وكان له من الأولاد ثلاثة عشر ذكرًا وعدة بنات [2] ، وكان قد عهد بالخلافة لولديه عثمانَ والحَكَم ، فلما قتله يزيد حبسهما ، فبقيا فى الحبس حتى ولى مروان بن محمد الخلافَة فقتلهما .

الحوادث والماجريات فى خلافته

كان فى خلافة هشام مقيما بالبَرِّيَّة فى نفر من قومه فى أسوأ حال ، فلما ولى الخلافة أقبل على لذّاته من شرب الخمر وسماع الغناء ومعاشرة النساء . وزاد فى العطايا حتى خرج فى العطاء عن الحد ، وفى أيامه تحرك أمر الدولة العباسية ، ووصل إلى محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس هدايا من

(١) ضبطت في الأصل «تجر» بكسرتين تحت الراء

(٢) انظر أولاده في نسب قريش ص ١٦٧

خراسان ، وقدم عليه أبو مسلم الخراسانى داعى بنى العباس ، ثم مات محمد بن على فى آخر سنة خمس وعشرين ومائة بعد أن أوصى أن الأمر فى ولده لإبراهيم الإمام ، فإن قتل فابن الحارثيَّة يعنى السَّفَّاحَ .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر حنظلة بن صفوان ، وقال القضاعى : كان عليها حفص ، ثم صرفه عن الخراج .

وكان على مكة خالد بن عبد الملك ، وعلى المدينة محمد ابن هشام ، فولّى عليها وعلى سائر أعمال الحجاز خالَه يوسفَ بن محمد بن يوسف الثقفى ، فى سنة أربع وعشرين ومائة ، فأقام إلى زمن مروانَ بن محمد آخر خلفائهم . ولم أقف على عامله على اليمن .

وكان على الأندلس حسام بن ضرار ، فأقره عليها .

(١٤٤) الثانى عشر من خلفاء بنى أمية

يزيد بن الوليد

وهو أبو خالد يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن

مروان ، وأُمه شاهفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهران .
يقال : إنه كان يلقب الشاكر لأَنعم الله ، كان أَسمر نحيف البدن مربوعاً ، وقيل : طويلا ، صغير الرأْس جميل الوجه خَفيف العارضين شديد العُجْب بنفسه ، بويع له بالخلافة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة بعد قتل الوليد بن يزيد .

ومقتضى كلام ابن حزم أَن عمره حين ولى الخلافة فيما بين العشرين والثلاثين ، وكان نقش خاتمه : يا يزيد قُمْ بالحق ، وبقى فى الخلافة حتى توفى بدمشق لعشرين بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، وعمره يومئذ أَربعون سنة ، وقيل : ست وأَربعون ، وقيل : ثلاثون ، وكانت مدة خلافته خمسة أَشهر واثنين وعشرين يوما .

قال القضاعى : وكان له عقب كثير ، ولم يذكر اسم أَحد منهم .[1]

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة أَظهر حسن السيرة ، إلا أَنه نقص ماكان زاده الوليد فى العطايا ، وردّها إلى ما كانت عليه فى

(١) لم يذكر عقب له أيضا في نسب قريش

زمن هشام بن عبد الملك ، فلقبوه لذلك الناقص ، وكان قد امتنع عن بيعته والدخول فى طاعته أَهلُ حمص وأَهلُ فلسطين ، فقاتلهم حتى أَذعنوا ودخلوا تحت الطاعة .

ولايات الأَمصـــار فى خلافته

كان على مصر حنظلة بن صفوان ، فأَقرّه عليها .

وكان على مــكة (٤٤ ب) والمدينة وسائر الحجاز يوسُف بن محمد بن يوسف الثقفى ، فأَقرَّه عليها . ولم أَقف على عماله على اليمن .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبد الرحمن بن حبيب ، فأَقره عليها .

وكان على الأَندلس حُسام بن ضرار ، فأَقره عليها ، فوليها بعده ثَوابة الجُذامى ، فأَقام فيها سنة واحدة

الثالث عشر من خلفاء بنى أُمية

إبراهيم بن الوليد

وهو أَبو إسحاق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن

مروان ، ويقال : إنه كان يلقب المقتدر بالله ، وأمه أم ولد اسمها نعمة ، وقيل خِشْف ، كان خفيف العارضين ، له ضفيرتان [1] من شعر ، ويقال : إنه كان عاجزا ضعيف الرأى . بويع له بالخلافة فى ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة .

قال ابن حزم : وسنه يومئذ ما بين الثلاثين والأربعين ، ولم يتمّ له الأمر لعجزه ، حتى كان أتباعه تارة يُسلّمون عليه بالخلافة ، وتارة بالإمارة ، وتارة بغير ذلك ، وكان نقش خاتمه : توكلت على الحىّ القيوم ، وبقى فى الخلافة حتى خَلع نفسه وسلَّم الأمر إلى مروان بن محمد ، الآتى ذكره ، فى صفر سنة سبع وعشرين ومائة ، وبقى حتى قتله أَبوعون يوم الزَّاب . وقيل : غرق . وقيل : قتله مروان وصلبه ، ولم يقع لى ذكر أولاده [2] .

الحوادث والماجريات فى خلافته

كان بينه وبين مروان بن محمد قتال كثير ، كان آخر الأمر فيه انهزام إبراهيم المذكور وخلع نفسه ، كما تقدم .

(١) في الأصل . ظفيرتان

(٢) ولم يذكر له عقب في نسب قريش

ولايات الأَمصار فى خلافته

(٤٥ ا) كان على مصر حنظلة بن صفوان ، فأَقرّه عليها .

وكان على مكة والمدينة وسائر الحجاز يوسف بن محمد بن يوسف الثقفى ، فأَقرّه على ذلك . ولم أَقف على عماله على اليمن .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبد الرحمن بن حبيب ، فأَقره عليها .

وكان على الأَندلس ثوابة الجُذامى ، فأَقرّه عليها .

الرابع عشر من خلفاء بنى أُمية

مروان بن محمد

وهو أَبو عبد الملك مروانُ بن محمد بن مروان بن الحكم ، ويقال : إنه كان يلقب القائم بحقّ الله ، وأُمه لبابة جارية إبراهيم [بن] الأَشتر ، وكانت كُردية ، ويعرف بالجَعْدىّ ، لأَنه أَخذ عن الجعد بن دِرْهم مذهبه فى الكلام فى القول بخلق القرآن والقَدَر ، ويعرف أَيضا بحمار

الجزيرة ، لأنه كان واليا بها من جهة الوليد بن يزيد ، وهو آخر خلفائهم ، وكان أبيض أشهل ضخم القامة كَثَّ اللِّحية أبيضها ، شجاعاً حازماً صابرا على التعب ، وكان يُغرى بين القبائل ، وكان مع ذلك بليغا له رسائل .

ومقتضى[1] كلام ابن حزم أنه كان سنه ما بين الثلاثين والعشرين ، وكان نقش خاتمه : اذْكر اللهَ يا غافل ، وبقى فى الخلافة حتى توفى قتيلا بالديار المصرية ، بقرية يقال لها بُوصير ، لثلاث بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة ، وكان له من الأَولاد[2] ذكران ، وهما : عبد الله وعبيد الله ، فهربا بعد قتله .

فأَما عبيد الله فهرب إلى الحبشة فقُتل بها ، وأَما عبد الله فيقال إنه قُبض عليه وحُبس إلى أيام الرشيد فأُخرج ضريرا ومات ببغداد .

الحوادث والماجريات فى خلافته

(٤٥ ب) لما بويع له بالخلافة قصد يزيدَ بن الوليد لطلب

---

(١) في الأصل وتقضيه

(٢) لم يذكر أولاده في نسب قريش

دم الوليد بن يزيد وخلاص الحَكَم وعثمانَ ــ ولدَىْ الوليد بن يزيدَ اللَّذَيْن كان قد جعلهما أبوهما المذكور وليَّىْ عهده ــ من السجن ، فوجد يزيد بن الوليد قد مات ، وأخاه إبراهيم قد قُتل ، والحكم وعثمان ولدى الوليد فى السجن ، فحضر إليه أبو محمد السُّفيانى ، وكان معهما فى السجن ، فسلَّم عليه بالخلافة ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : إنهما قد جعلاها لك يا أمير المؤمنين ، وأنشده بيتا كان قد قاله الحكم فى السجن وهو :

فإنْ أُقْتَلْ أَنا وَوَلِىٌّ عهدى فمروانٌ أميرُ المؤمنينَا

ولما صارت إليه الخلافة عصى عليه أهل حمص وأهل غُوطة دمشق ، وأهلُ فلسطين ، فبعث من قاتلهم حتى انقادوا ودخلوا فى طاعته ، ولم يحجّ فى شىء من خلافته ، ولم يزل أمره مضطربا حتى ظهر أبو مسلم الخراسانى داعيةُ بنى العباس بخراسان ، فأخذ أمرُه فى الاضمحلال ، وجهز له أبو العباس السفاحُ عبدَ الله بنَ علىٍّ بن عبد الله بن عباس فى جيش ، وخرج مروان لملاقاته ، فالتقيا فى زَاب الموصل ، فانهزم مروانُ ــ وعبْدُ الله فى

أثـــره — إلى نهر أبي فُطْرُس من فلسطين ، فالْتقيا ، فقتل خلق كثير من بنى أُمية ممن كان مع مروان ، وهرب مروان حينئذ إلى مصر ، وقد تلاشى حاله ، وتبعه صالح بن على بن عبد الله بن عباس ، حتى أدركه ببُوصير من صعيد مصر ، وقد اختبأ فى كنيسة هناك ، فاحتزَّ رأسه وجهَّزها إلى السفاح ، فلما انتهت إليه خرَّ ساجدًا لله تعالى .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر حنظلة بن صفوان ، فعزله وولّى عليها عُتَابة [1] التُّجيبِى سنة سبـــع وعشرين ومائة ، فمكث فيها خمس سنين أو دونها ، ثم وليها (٤٦ ا) عنه حفصُ ابن الوليد سنة ثمان وعشرين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين وستة أشهر ، ثم وليها عنه الفزارى [2] سنة إحـــدى وثلاثين ومائة . فمكث فيها سنة واحدة ، ثم وليها عنـــه

---

(١) هذا هو ضبط الأصل وفي صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٢٥ بدون ضبط . ويفهم من معجم الأنساب أنه عتاهية إذ عد من الولاة بعد حفص بن الوليد : حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن التجيبى ولم يذكر عتابة. وسيأتى في الأصل أيضا في (٤٦ ا) حسان بن عتاهية ولم يذكر في النجوم الزاهرة عتابة من الولاة ولا عتاهية من الولاة وكذلك لايوجد في كتاب الولاة والقضاة وإنما الذى تولى في سنة ١٢٧ هو حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن بن حسان بن عتاهية التجيبي . انظر كتاب الولاة والقضاة صـ ٨٥ فيكون صواب الأصل (وولى عليها حسان بن عتاهية التجيبى) .

(٢) الفزارى هو المغيرة بن عبيد الله « انظر النجوم الزاهرة » حـ ١ ص ٣١٤

عبد الملك بن مروان مولى لخم ، سنة إحدى وثلاثين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ، وهو آخر عمالهم عليها .

وقال فى «عيون المعارف» : وليها بعد حفصٍ حسانُ بن عَتاهية ، ثم حفص بن الوليد ، ثم حوثرة بن سُهَيْل العجلانى [1] ، ثم المغيرة بن عبيد الله ، ثم عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير [2] إلى آخر أَيام مروان .

وكان على مكة والمدينة والحجاز يوسف بن محمد بن يوسف الثقفى ، فولّى مكانه على ذلك عبدَ العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، ثم عزله فى سنة تسع وعشرين ومائة ، وولى مكانه عبد الواحد ، وهو آخر عمالهم بالحجاز .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبد الرحمن بن حبيب ، فأَقره عليها ، وكتب إليه بولايتها ، وهو آخر عمالهم عليها .

وكان على الأَندلس ثوابة الجذامى ، فولَّى عليها يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، فاستقرّ إلى أَن زالت دولتهم .

---

(١) في الأصل جويرية وفي كتاب الولاة والقضاة ص ٨٨ حوثرة بن سهيل وكذلك في النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٣٠٥ حوثرة بن سهيل أخو عجلان الباهلى

(٢) في الأصل ثم موسى بن نصير لكن في النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٣١٦ عبد الملك بن مروان ابن موسى بن نصير وكذلك الولاة والقضاة ص ٩٣ عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير مولى لخم. هذا وفي صبح الأعشى جـ٣ ص ٣٤٢ جاء ما يأتى « وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة أمر موسى بن نصير اللخمى وهو أمير مصر باتخاذ المنابر في جميع جوامع قرى مصر » ولا شك أن في الأصل وفي صبح الأعشى تحريفاً ونقصاً .

تذنيب

كانت مدة خلفاء بنى أُمية منذ خلص الأَمر لمعاوية وإلى أَن قتل مروان إحدى وتسعين سنة وتسعة أَشهر وخمسة أيام وهى أَلف شهر تقريبا .

قيل : إنه لما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل فقال له : يا مُسَوِّدَ وجوهِ المؤمنين . فقال : لا تعذِلنى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه أَن بنى أُمية ينزون على منبره واحدًا فواحدا ، فساءه ذلك ، فأَنزل الله تعالى عليه ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [1] يعنى أَلف شهر يملكها بنو أُمية .

ولما قُتل مروان بن محمد آخرُ خلفائهم قَتَلَ السَّفَّاحُ سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقتل عَمُّهُ (٤٦ ب) علىُّ ابن عبد الله بن علىٍّ نحوَ تسعين رجلا من بنى أُمية ، كانوا قد اجتمعوا إليه ، أمر بضربهم بالعُمُدِ حتى ألقوا إلى الأَرض ، وكان ذلك وقت حضور الطعام ، فأَمر أَن تبسط عليهم الأَنطاع ويُمَدَّ عليهم الخِوان ، وأَكل الناس وهم

(١) سورة القدر الآيات من ١ — ٣

يسمعون أنينهم حتى ماتوا جميعا ، وأمر عبدُ الله بنبش قبور بنى أُمية بدمشق ، فنُبش قبرُ معاوية بن أبى سفيان ، وقبرُ يزيد ابنه ، وقبرُ عبد الملك بن مروان ، وقبرُ هشام بن عبد الملك فوُجد صحيحاً ، فأمر به فضرب مائة وعشرين سوطا ، وصُلب ثم أحرقه بالنار وذرّاه فى الهواء ، وتتبع بنى أُمية من أولاد الخلفاء فقتلهم ، وكذلك قتل سليمانُ ابنُ علىّ بن عبد الله بن عباس بالبصرة جماعةً من بنى أُمية ، وألقاهم على الطريق ، فأكلتهم الكلاب ، وتشتت من بقى من بنى أُمية هربا فى البلاد ، وهرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك إلى الأندلس ، فبايعه أهلها على ما سيأتى فى الكلام على المدّعين [1] للخلافة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثالثة من الخلفاء

خلفاء بنى العباس بالعراق

اعلم أن الخلافة فى بنى العباس بالنصّ ، فقد رُوىَ أن العباس رضى الله عنه حين امتدح النبى صلى الله عليه وسلم بقوله :

(١) فى الأصل : المدعيين .

مِن قَبلِها طِبْـــتَ فى الظِّـــلال وفى

مُسْتَوْدعٍ حيث يُخصَـــفُ الـــوَرَقُ

ثم هَبطْـــتَ البـــلاد لا بَشَــــرٌ

أَنـــت ولا مُضغـــةٌ ولا عَلَـــقُ

بـــل نطفـــةٌ تـــركب السَّفيـــنَ وقد

أَلْجـــم نَسْرًا وأَهْــلَه الغَــرَقُ

تُنْقَـــلُ من صالـــبٍ إِلى رَحـــمٍ

إِذَا مضى عَالَمٌ بَـــدَا طَبَـــقُ

حـــتى احتوى بَيْتَـــك المُهَيْمِـــنُ من

خِنْدِف عليـــا تحتُّهـــا النُّطُـــق

وأَنت لمـــا وُلِدْتَ أَشـــرقـــت الْـ

ـأَرض وضاءت بنورك الأُفُـــقُ

(١٤٧) فنحن فى ذلك الضياء وفى النو

رِ وسُبْل الرَّشـادِ نَخْـــتَرِقُ

أَسرَّ إليــه النبي صلى الله عليه وسلم أَن قال : (أَلا أُبشرك يا عمّ ؟ بي خُتمت النبوة ، وبولدك تُختم الخلافة) . وقد رأينا ذلك عِيانا ، وهو أَنه مُذ آل الأَمر إليهم من بعــد بنى أُمية وهو مستمر فيهم إلى يومنا هذا ، ولم يبرح عنهم ولم يتحول ، وهى معجزة من معجزاته التى أَخبر فيهــا بما سيــكون ، وليست بأَول معجزاته .

وجملة من كان بخلفائهم بالعراق سبعةٌ وثلاثون خليفة .

الأَول من خلفاء بنى العباس بالعراق

السفاح

وهو أَبو العباس عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب .

واختلف فى لقبه المتعلّق بالخلافة ، فقيل : القائم ، وقيل : المهتدِى ، وقيل : المُرْتَضى ، وغلب عليه السفّاح ، لــكثرة ماسفح من دماءِ بنى أُمية ، يعنى : أَسالَ .

وأُمه ريطةُ بنت [1] عبيد الله بن عبد الله بن عبد المَدَان

(١) في تاريخ الخلفاء ص ١٠٠ رائطة

الحارثيّ . كان أَبيض اللون طويلا ، أَقْنَى الأنفِ حَسَنَ الوجهِ واللِّحية ،له وَفْرَةُ شَعَرٍ ، سديدَ الرأى كريمَ الأَخلاقِ ، وافِر الجُودِ ، حتى يقال : إنه وصل عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه بأَلفى أَلف درهم ، وهو أَول خليفة وصل بهذه الجملة .

كان قد بويع له بالكوفة يوم الجمعة لثلاثَ عشرة ليلةً خلت من شهر ربيع الأَول سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، قبل قتل مروانَ بنِ محمد آخرِ خلفاء بنى أُمية بثمانية أَشهر .

قال ابن حزم : كان سنه حين ولى ما بين الثلاثين والأَربعين ، وفيه نظر ، لأَنه سيأْتى أَنه توفى سنة ست وثلاثين ومائة ، وأَن خلافته أَربع سنين . وكان نقشُ خاتمه : اللهُ ثِقَةُ عبد الله وبه يُؤمن (٤٧ ب). وبقى فى الخلافة حتى توفى بالجُدَرِىّ ، وقال ابن أَزهر : سَمُّوه بالمدينة الهاشمية التى بناها بالعراق يوم الأَحد لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة ونصف ، فيما ذكره القُضاعى ، وقال صاحب حماة : ثلاثٌ وثلاثون سنة ، وصلّى عليه

عمه عيسى بن على بن عبد الله بن عباس ، ودُفن بالأَنبار العتيقة ، وكانت مدة خلافته أربعَ سنين . وقد تقدم أنه كان قد بويع له قبل قتل مروان بثمانية أشهر ، فتكون جميع مدته أَربع سنين وثمانية أَشهر ، وكان له ولد يُسمى محمدا مات صغيرا ، وابنةٌ اسمها رَيْطة تزوجها المهدىّ .

الحوادث والماجريات فى خلافته

سار بعد مبايعته بالخلافة من الكوفة إلى الحيرة من العراق فأَقام بها ، ثم سار منها إلى الأَنبار من العراق أَيضا سنة أَربع وثلاثين ومائة ، وبنى بها مدينة سماها الهاشميّة ونزلها ، واستوزر أَبا سلمةَ حَفْصَ بن سليمان الخلاَّل ، وهو أَول من لُقِّب بالوزارة فى الإِسلام ، وكانوا قبل ذلك يقولون كاتباً ، ثم قتله ، واستوزر خالد بن بَرْمك ، وهو جدُّ البرامكة المعروفين بالجود ، واستقضى فى أَول خلافته ابنَ أَبى ليلى ، ثم استقضى غيره ، ولما بُويع خلع طاعتَه أَبو الوَرْد بن الكوثر بِقِنَّسْرين ، فسار إليه عبد الله ابن على بن عبد الله بن عباس فى جيش ، فهزمه وقتل أَبا الورد ، ثم عاد إلى دمشق وقد خرج أَهلها عن الطاعة ، فهربوا منه ، ثم آمنهم ، فدخلوا فى الطاعة .

ولايات الأَمصار فى خلافته

(١٤٨) كان على مصر أيام مروان بنِ محمدآخرِ خلفاء بنى أُمية عبدُ الملك بنُ مروان اللخمىُّ ، فعزله عنها وولّى عليها صالح بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فمكث فيها أَشهرا قلائل ثم سار عنها ، فوليها عنه أَبو عون عبد الملك مولى بنى أَسد آخر سنةَ ثلاث وثلاثين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين ، ثم وليها عنه صالح بن على ثانيا فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، فأَقام فيها إلى أَيام أَبى جعفر المنصور الآتى ذكره .

وولىَ على الشام عمُّه عبدُ الله بن على بن عبد الله بن عباس فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فبقى إلى أَيام المنصور .

وَولِىَ على خراسان والجبال أَبو مسلم الخراسانى .

وكان على مكة والمدينة وسائر الحجاز يوسف بن محمد ابن يوسف الثقفى ، فعزله وولى على ذلك عمه داود بن على ، وتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فولى مكانه فى جميع ذلك زياد بن عبد الله بن عبد الدار الحارثى ، ثم

ولى على مكة السرىّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس ، فبقى فيها إلى أيام أبى جعفر المنصور .

وولى على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسرى ، ثم عزله وولى مكانه رياح بن عثمان المُرّى ، ثم قتل فولى مكانه عبد الله بن الربيـع الحارثى ، فبقى فيها إلى أيام أبى جعفر المنصور .

وولى على اليمن عمه داود ، ثم توفى فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فولى مكانه عمر بن زيد بن عبد الله بن عبد المَدَان [1] ، فتوفى فى سنة أربع وثلاثين ومائة ، فولى مكانه علىّ بن الربيـع بن عبيد الله [2] .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب يوسف بن عبد الرحمن الفِهرى ، فبعث إلى السفاح بطاعته ؛ فأَقرَّه عليها ، ثم قُتل سنة سبع وثلاثين ومائة ، ثم غلب عليها عبد الملك بن

---

(١) في معجم الأنساب ص ١٧٦ « محمد بن زياد بن عبيدالله بن عبدالمدان الحارثى » وأحال المترجم على الطبرى حـ ٢ ص ١٢٥٢ طبعة أوروبا .

(٢) هوكذلك في صبح الأعشى أيضاً حـ ٥ ص٢٧ وفي معجم الانساب : عبدالله. هذا ونسوق الولاة من معجم الأنساب لتصل ما مضى وتربط ما سيأتى نقلا عن معجم الأنساب ص ١٧٦ : معن بن زائدة بن عبدالله ١٤٠ ويزيد بن المنصور (وناب عنه رجاء بن روح) وعلى بن سليمان الربعي ومنصور بن يزيد (١٦٤) وعبدالله بن سليمان مرة ثانية (١٦٦) وسليمان بن يزيد الحارثى ١٦٧ وإبراهيم بن سلم بن قتيبة ١٦٩

أبى الجعد وأساءَ السيرةَ ، ثم غلب عليها عبد الأعلى بن السمح .

وكان على الأندلس (٤٨ ب) يوسف بن عبد الرحمن الفهرى من زمن مروان بن محمد آخرِ خلفاء بنى أُمية ، فأقام بها أيامه ، وأول أيام أبى جعفر المنصور بعده ، حتى استولى عليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان فى خلافة أبى جعفر المذكور ، واستمرت بعده بيد بنى أُمية بالأندلُس إلى حين انقراض دولتهم .

الثانى من خلفاء بنى العباس بالعراق

المنصور

وهو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وهو أخو السفاح المقدم ذكره ، وأُمه سلامه بنت بشير . وُلد بالحُميمة من أرض الشَّراة ، وكان أسمر نحيفاً خفيف العارضين ، يخضِب بالسواد ، قال فى « عيون المعارف » : يقال : إنه كان يُغَبِّر شيبَه بألْف مثقال مسك فى كل شهر ، وكان حازم الرأى ، قد عَركته الأيام ، على غاية من الحزم وصواب التدبير ، وكان أخوه أبو العباس

السفاح قد عهد إليه بالخلافة ثم من بعده إلى ابن أخيه عيسى ابن موسى ، وجعل العهد فى ثوب وختم عليه ودفعه إلى عيسى ابن موسى ، فاستنزل عيسى عن عهده ، وعهد بها لابنه المهدى ، وبويع له بها بعد موت أخيه السفاح فى اليوم الذى مات فيه لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وهو يومئذ بمكة ، وقام عمه عيسى ابن على ببيعته ، وأتته الخلافة تزهو بطريق مكة بالصُّفيَّة فقال : صفا أَمرُنا إن شاءَ الله تعالى ، وكان نَقْشَ خاتمه . . (1)

قال ابن حزم : وكان سنه حين ولى ما بين الأربعين والخمسين ، وبقى فى الخلافة حتى توفى وهو محرم بالحج ببئر ميمون على أميال من مكة ، فى السادس من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة (١٤٩) وعمره ثلاث وستون سنة وقيل : أربع وستون . وصلَّى عليه إبراهيم بن يحي بن محمد بن على بن عباس ، ودفن بالحَجون ، وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة وثلاثة أشهر ، ويقال ثنتين وعشرين سنة إلا سبعة أيام .

ويقال : إنه ولد فى ذى الحجة ، وكان يتوقع أن يموت فى ذى الحجة ، فكان كذلك ، وكان له من الأولاد تسعة

(١) بياض بالأصل ولم نعثر على نقش خاتمه كما أنه لم يذكره في صبح الأعشى حـ ٦ ص ٣٥٤

ذكور وهم : محمد المهدى الآتى ذكره ، وجعفر وبه كان يكنى ، وصالح وسليمان وعيسى ويعقوب والقاسم وعبد العزيز وعباس ، وبنت واحدة اسمها العالية [١] .

وهو أول من مُشِي بين يديه بالسيوف المُصلتة والقِسِيّ والنُّشّاب ، وهو أول من لعب بالصّولجان فى الإسلام ، على ما سيأتى ذكره فى الباب السابع .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى أيامه فتحت المُلْتان والقُنْدُهار من أرض السند [٢] وهدم البُدُّ وبُنِيَ موضعه مسجدٌ .

وفى سنة سبع وثلاثين قتل أبا مسلم الخراسانى صاحب

---

(١) في جمهرة أنساب العرب زاد من أبنائه عليا وجعفرا المعروف بابن الكردية وهو غير جعفر الأكبر .

(٢) في فتوح البلدان ص ٤٣٩ – ٤٤٠ « أن الملتان فتحها محمد بن القاسم في أيام الوليد بن عبد الملك » . ثم كفر أهل هذه البلاد ففتحت في أيام المنصور انظر فتوح البلدان ص ٤٤٥ والبد: بيت فيه أصنام وتصاوير .وكان البد في الملتان تهدى إليه الأموال وتنذر له النذور ويحج إليه السند فيطوفون به ويحلقون رءوسهم ولحاهم عنده ويزعمون أن صنما فيه هو أيوب النبي صلى الله عليه وسلم

دعوتهم ، لأُمور اتهمه فيها[١] ، وكان أبو مسلم قد قتل في دولتـــه ستمائة ألف صبرا .

وفى أيامه خرج قسطنطين ملك الروم إلى بلاد الإسلام وأخذ مَلَطيَّة عَنْوَة وهدم سورها ، فبعث المنصور عبدَ الوهاب ابن أخيه إبراهيم الإمام فى سبعين ألف مقاتل لعمارتها فعمرها فى ستة أشهر .

وفى سنة تسع وثلاثين ومائة أمر المنصور بالزيادة فى المسجد الحرام من جهة باب النّدوة ، وبنى مسجد الخَيْف .

وفى سنة إحدى وأربعين ومائة خرجت عليه الرَّاوَنْدِيّة ، وهم قوم من أهل خُراسان يقولون بالتناسخ ، ويزعمون أن

(١) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتى : «وقال المأمون وقد ذكر أبو مسلم عنده : أجل ملوك الأرض ثلاثة وهم الذين قاموا بنقل الدول : الاسكندر وأردشير وأبو مسلم الخراسانى «< ابن > خلكان» وقال الزمخشرى في كتاب « ربيع الأبرار » إن أبا مسلم نهض وهو ابن ثمانى عشرة سنة وقيل وهو ابن ثلاث وثلاثين «تاريخ <ابن >خلكان» . وكان أبو مسلم قد حج ولما عاد نزل الحيرة التى عند الكوفة وكان بها نصرانى عمره مائتا سنة يخبر عن الكوائن فأحضره وسمع كلامه . وكان في جملة كلامه أنه يقتل وقال : إن صرت إلى خراسان سلمت فعزم على الرجوع إليها فلم يزل المنصور يتخدعه بالرسائل حتى أحضره إليه وقتله ، وكان أبو مسلم ينظر في كتب الملاحم ويجد خبره فيها وأنه مميت دولة ومحيى دولة وأنه يقتل ببلاد الروم وكان المنصور يومئذ برومية المدائن التى بناها كسرى ولم يخطر بقلب أبو «أبى» مسلم أنها موضع قتله بل راح وهمه إلى بلاد الروم . «تاريخ<ابن> خلكان» إلى هنا انتهى ما بهامش الأصل . وفي ابن خلكان ترجمة أبى مسلم عبدالرحمن بن مسلم نجد النص الأول والأخير ولا تجد نص ربيع الأبرار ولا نص النصرانى .

رُوح آدم حلَّت فى عثمان بن نُهيك ، وأن أَبا جعفر المنصور هو ربُّهم الذى يُطعمهم ويسقيهم . فظفر بهم وقتلهم عن آخرهم .

وفى سنة خمس وأَربعين ومائة خرج عليه محمد بن عبد الله (٤٩ ب) بن الحسن بن الحسن[1] بن على بن أَبى طالب ، واستولى على المدينة ، وجرى بينه وبين المنصور مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها ، فجهز إليه المنصور جيشا فقتله هو وجماعته ، فخرج عليه أَخوه إبراهيم[2] عقب ذلك ، فجهز إليه من قتله فى سنته .

وفى سنة خمس وأَربعين ومائة بنى مدينة بغداد ، وانتقل إليهـا من مدينة الهاشميـة التى بناها أَخوه أَبو العباس السفاح ، وبنى الرُّصافة فى الجانب الغربى من بغداد لابنه المهدى .

وفى سنة ثمان وأَربعين ومائة توفى الإمـام جعفر الصادق ابن زين العابدين .

---

(١) في الأصل : «الحسين» . والتصويب من كتب التاريخ وانظر نسب قريش ص ٥٣ و ٤٢٨

(٢) في الأصل : «محمد» والتصويب من كتب التاريخ ومن نسب قريش ص٥٣ فقتله بالمدينة واخاه إبراهيم ، خرج بعده بالبصرة . . . .

وفى سنة خمسين ومائة توفى الإمام أبو حنيفة رحمه الله. وفيها توفى الإمام الشافعى رضى الله عنه [1] وفيها توفى مقاتل بن سليمان المُفسّر .

وفى سنة ثلاث وخمسين ومائة توفى أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة .

وفى سنة خمس وخمسين ومائة فتح يزيدُ بن حاتم بن المُهلَّب إفريقيَّة من بلاد المغرب .

وفى سنة ست وخمسين تُوفى حَمزةُ بن حَبيب الزَّيَّاتُ أَحدُ القراء السبعة أيضاً .

وفى سنة خمس وخمسين توفى الأَوزاعى إمام أَهل الشام فى الفقه وغيره .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر فى أيام السفاح صالح بن على بن عبد الله

(١) في هامش الأصل ما يأتى: « وهذا غير صحيح فإن الشافعى رحمه الله توفي بعد الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله بأربعة وخمسين سنة هذا هو الصحيح . حاشية اتفق المؤرخين «المؤرخون» رحمهم الله أن أبا حنيفة توفي ببغداد على رأس مائة وخمسين سنة من الهجرة ثم توفي مالك بعده بتسع وعشرين سنة ثم الشافعى بعده بخمس وعشرين سنة ثم الإمام أحمد بعده بسبع وثلاثين سنة ثم البخارى بعده بخمس عشرة سنة ثم مسلم بعده بخمس ثم أبو داود بتسع سنين ثم النسائي بعده بتسع سنين وحمل إلى مكة مريضا ومات بها . قاله الدارقطنى رحمه الله تعالى »

ابن عباس ، فولى عليها بعده عبد الملك مولى بنى أَسْد [1] [ثم وليها صالح بن على ثانيا ثم عبد الملك] سنة تسع وثلاثين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين ، ثم وليها عنه النقيب[2] التميمى سنة إحدى وأربعين ومائة ، فمكث فيها سنتين ، ثم وليها عنه حُميد الطائى سنة ثلاث وأربعين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ، ثم وليها عنه : يزيد المهلَّبى سنة أربع وأربعين ومائة ، فمكث فيها تسع سنين ، ثم وليها عنه عبد الله بن عبد الرحمن [3] بن معاوية ، سنة اثنتين وخمسين ومائة ، فمكث فيها سنتين وستة أشهر ، ثم وليها عنه محمد بن عبد الرحمن (٥٠ ا) بن معاوية سنة أربع وخمسين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ، ثم وليها عنه موسى بن علىٍّ اللّخمى فى سنة خمس وخمسين ومائة ، فمكث فيها سنتين وستة أشهر .

وكان على الشام عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس ،

(١) عبدالملك هو عبدالملك بن يزيد مولى الأزد انظر الولاة والقضاة ص ١٠١ والنجوم الزاهرة وكنيته أبو عون .

(٢) النقيب التميمى هو موسى بن كعب انظر النجوم الزاهرة حـ١ ص ٣٤٢ والولاة والقضاة ص ١٠٦

(٣) في الأصل عبد الرحمن بن عبد الرحمن والتصويب من صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٢٥ والولاة والقضاة ص ١١٧ والنجوم الزاهرة حـ ٢ ص ١٧

فصرفه وولى أبا مسلم الخراسانى الشام فى سنة سبع وثلاثين ومائة ، ثم قتله المنصور فى السنة المذكورة .

وكان على مكة والمدينة وسائر الحجاز السَّرِىُّ بن عبد الله ابن الحارث بن العباس ، فعزله فى سنة ست وأربعين ومائة ، وولّى على مكة محمدَ بنَ إبراهيم الإمام ، ثم عزله وولى مكانه إبراهيم ابن أخيه ، ثم ولّى مكانه جعفر بن سليمان .

وكان على المدينة عبد الله بن الرَّبيع الحارثى ، فعزله سنة أربعين ومائة وولى مكانه جعفر بن سليمان ، ثم عزله وولى بعده عمَّه عبدَ الصمد بن على .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبدُ الأعلى بن السَّمح ، فولى مكانه محمد بن الأشعث الخُزاعى ، فقَدمها سنة خمس وأربعين ومائة ، ودخل القَيْرَوان وبنى عليها سورا ، ثم ثاروا عليه وأخرجوه منها وولوا عليهم عيسى بن موسى الخراسانى ، ثم ولّى عليها أبو جعفر المنصور الأغلبَ بن سالم بن عقال التميمى ، فسار إليها ودخل القيروان فخرجوا عليه فقتلوه فى سنة خمسين ومائة ، فولى عليها

عمرو بن حفص بن قَبيصة بن المهلَّب بن أَبى صفرة العَتَكىّ [1] فقدّمها سنة إحدى وخمسين ومائة ، فنازعه البربر [2] وضعف أَمره عنهم ، فولّى عليها يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، فقدمها منتصف سنة خمس وخمسين ومائة ، فأَقام فيها إلى أَن مات فى خلافة الرشيد فى سنة سبعين ومائة .

وكان على الأَندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهرى المقدّم ذكره ، فسار إليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان واستولى عليها فى سنة تسع وثلاثين ومائة ، وبقى بها حتى (٥٠ ب) توفى سنة إحدى وسبعين ومائة ، وكان قاعدة ملكهم مدينة قُرْطُبة

الثالث من خلفاء بنى العباس بالعراق

المهدى

وهو أَبو عبد الله محمد بن أَبى جعفر المنصور المقدم ذكره ، وأُمه أُم موسى بنت منصور بن عبد الله الحِميرى ، وكان أَسمر طويلا حسن الوجه ، بعينه اليمنى بياضٌ ، جوادا حازما وَصُولا لرحمه ، يباشر الأُمور بنفسه ، ولى الخلافة

(١) فى الأصل : « التميمى » وانظر ترجمة المهلب فى ابن خلكان

(٢) فى الأصل : الزبير

بعهد من أبيه المنصور ، بعد استنزال ابن أخيه عيسى بن موسى عن عهد السفاح بها إليه بعد المنصور ، ولما خرج أبوه المنصور إلى الحج ، فى السنة التى مات فيها خرج معه ابنه المهدى ، فقال له : إن نفسى تحدثنى بالموت فى هذه السنة ، وذلك هو الذى دعانى إلى الحج ، فاتّق الله تعالى فيما عهدتُ به إليك من أُمور المسلمين ، ثم بويع له بعد موت أَبيه يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة . ووصل الخبر إلى بغداد بموت أَبيه والبيعة له فى منتصف ذى الحجة ، وكان نقش خاتمه : حسبى الله .

قال ابن حزم : وكان سنه حين ولى ما بين الثلاثين والأَربعين ، ثم بقى حتى توفى بماسَبَذَان [1] لثمان بقين من المحرم سنة ثمان [2] وستين ومائة وعمره اثنتان وأَربعون سنة ونصف ، وصلى عليه ابنه الرشيد ، ودفن بقرية يقال لها السرف ، ومدّة خلافته عشر سنين وشهر ، وقيل : وشهر ونصف ، وكان له من الأَولاد هارون الرشيد وموسى

(١) في الأصل : بما سندان والتصويب من صبح الأعشى ﺣ ٣ ص ٢٥٨

(٢) في صبح الأعشى ٣ — ٢٥٨ سنة تسع وستين ومائة في المحرم

وعليّ وعبدالله ومنصور ويعقوب وإسحاق وإبراهيم [1]
ومن الإناث البانوقة [2] وعُلَيَّة وعبّاسة وسليمة .

الحوادث والماجريات فى خلافته

كان عادلا فى خلافته حتى يقال : إنه كان فى بنى العباس كعمر بن عبد العزيز فى بنى أُمية ، وكان إذا جلس للمظالم يقول : أَدخِلوا عليَّ القضاةَ ، فلو لم يكن رَدِّى المظالم إلاَّ للحياء منهم [3] (١٥١) .

ولما ولى الخلافة ردّ كثيراً مما أخذه أَبوه من الأَموال ، وأَطلق من كان فى السجون ، وزاد فى المسجد الحرام ، وبنى العَلَمين اللذين يُسعَى بينهما .

وردَّ نسب زياد بن أَبيه الذى كان قد استلحقه معاوية ابن أَبى سفيان إلى عُبَيد الرومى ، وأَخرجه من قريش .

وحجّ بالناس فى سنة تسع وخمسين ومائة وفرق فى الناس أَموالاً عظيمة ، ووسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) زاد في جمهرة أنساب العرب ص ١٩ وعبيد الله .

(٢) في الأصل البانوبه « بدون نقط » وعالية . هذا وانظر ترجمة علية بنت المهدى في الأغاني جـ ١٠ ص ١٦٢ طبعة دار الكتب .

(٣) كذا .

وفى سنة إحدى وستين ومائة أمر باتخاذ المصانع [1] بطريق مكة ، وتحديد الأَميال ، وتقصير المنابر وجعلها بمقدارِ منبرِ النبي صلى الله عليه وسلم .

وفى سنة ثلاث وستين ومائة غزا هارون الرشيد بلاد الروم فتغلغل فيها وبلغ القُسطنطينية وفتح فتوحا كثيرة .

واستوزر فى خلافته عدة وزراء ، منهم أَبو أَيوب الموريانى . ثم خالد بن بَرْمَك مدة يسيرة .

وفى خلافته تُوفى سفيانُ الثَّوْرى ، وإبراهيم بن أَدهم الزاهد فى سنة إحدى وستين ومائة ، وفى أَيامه قُتل المُقَنَّع الخُراسانى ، وهو رجل ساحر خَيَّل للناس صورة قمر يَطْلُع ويراه الناس من مسافة شهرين ، وكان مُشَوَّه الصورة أَعور قصيرا ، فاتَّخذ وجها من ذهب وتقنَّع به ، فسمى المُقَنَّع ، وادعى مع ذلك الرُّبوبية ، وأَطاعه خلق كثير ، وكان له قلعة ، فحصروه بها حتى قتلوه .

وفى أَيامه هرب إدريس بن عبد الله بن إدريس بن

---

(١) المصانع جمع مصنع أو مصنعة وهو ما يجمع فيه ماء المطر كالحوض والمصانع أيضا: القرى والحصون والقصور .

عبد الله بن الحسن [1] بن الحسن بن على بن أَبى طالب إلى الغرب الأَقصى ، ودعا هناك لنفسه .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر فى أيام أَبيه المنصور ، موسى بنُ علىٍّ اللخمىُّ ، فصرفه عنها وولاها عيسى الجمحى [2] سنة إحدى وستين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ، ثم وليها عنه واضح [3] مولى المنصور ، وقيل : منصور بن يزيد (٥١ ب) الرُّعَينى فى سنة اثنتين وستين ومائة ، ثم وليها عنه زيد بن منصور الحمْيرى فى وسط السنة المذكورة ، ثم وليها عنه يحيى أَبو صالح فى ذى الحجة منها ، ثم وليها عنه سالم بن سوادة التميمى سنة أَربع وستين ومائة ، ثم وليها عنه إبراهيم بن صالح بن على العباسى فى سنة خمس وستين ومائة ، ثم وليها عنه موسى بن مُصعب [4] فى سنة

---

(١) في الأصل «إدريس بن عبدالله بن إدريس بن عبدالله بن الحسين بن الحسن» والتصويب من جمهرة أنساب العرب ص ٤٣ ونسب قريش ص ٥٤

(٢) في الأصل: الحمى . وفي صبح الأعشى : اللخمى . وبهامشه عن المقريزى: الجمحى ،وهي كذلك في معجم الأنساب

(٣) في صبح الأعشى: أصبح . وصحح بالهامش عن المقريزى« واضح ». وهو كذلك في معجم الأنساب

(٤) في صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٢٦ «معين الدين ختهم» أما معجم الأنساب فكالأصل

ست وستين ومائة ، ثم قُتل فقام عنه خليفةً أُسامــةُ بنُ عمرو العامرى [1] فى سنة ثمان وستين ومائة .

وولى على الشام عبد الصمد بن على .

وكان على مــكة جعفر بن سليمان . ولم أقف على من بعده .

وكان على المدينة عبد الصمد بن على ، فعزله فى سنــة تسع وخمسين ومائة ، وولى عليها محمد بن عبد الله الكبيرى ، ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان ، ثم عزله وولى مكانه زفر بن عاصم .

وكان على اليمن يزيد بن منصور ، فعزله وولى مكانه رجاء بن رَوْح ، ثم ولى بعده على بن سليمان ، ثم عزله سنة اثنتين وستين ومائة ، وولى مكانه عبد الله بن سليمان ، ثم عزله سنة ثلاث وستين ومائة وولى مكانه منصور بن يزيد ثانيا [2] ، ثم عزله فى سنة ست وستين ومائة وولى

(1) كذا في الأصل وصبح الأعشى ج ٣ ص ٤٢٦ وفي معجم الأنساب: عسامة بن عمرو المعافرى وانظر النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٥٧

(2) كذا في الأصل وكذلك في صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٧ ولكنه لم يذكر كلمة «ثانيا» فلعل منصور بن يزيد هذا هو ابن يزيد بن منصور السابق وأقحمت كلمة «ثانيا» ويؤيد ذلك أن معجم الأنساب ذكره فقال : منصور بن يزيد بن المنصور (عباسى) ووضع هامش : انظر ابن الأثير ج ٦ ص ٤٩

مكانه عبد الله بن سليمان الرَّبَعى ، ثم ولى سليمان بن يزيد ثانياً [1] . فأَقام بها إلى أَيام الهادى .

وكان على إفريقية والغرب يزيد بن حاتم بن قَبيصة المهلَّبي ، فأَقام بها إلى أَيام الهادى .

وكان المستولى على الأَندلس عبد الرحمن الداخل الأَموى ، فأَقام بها إلى أَيام الهادى وبعده .

الرابع من خلفاء بنى العباس بالعراق

الهادى

(١٥٢) وهو أَبو محمد موسى بن محمد المهدى بن أَبى جعفر المنصور المقدم ذكره .

وأُمه الخَيْزران مولَّدة ، وهى بنت عطاء، مولاة أَبيه ، وهى أُم الخلفاء .

كان طويلا جسيما أفوه ، بشفته العليا تَقَلُّص ، شجاعا بطلا أَديبا جوادا صعب المَرَام . بويع له بالخلافة ببغداد

(١) سليمان بن يزيد لم يتقدم له ذكر وكذلك جاء هذا النص في صبح الأعشى ، أما في معجم الأنساب فقد ذكر أنه « سليمان بن يزيد الحارثى » ولم يتقدم له سبق ولاية .

يوم موت أَبيه ، [1] لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وستين ، وقيل : تسع وستين ومائة ، وهو يومئذ غائب بِجُرجان يحارب أَهل طبرستان . وقام ببيعته أَخوه الرشيد ، وكتب إلى الآفاق بموت المهدى وأَخذ البيعة للهادى ، ولما بلغ الخبرُ الهادىَ نادى بالرحيل ، وسار على البريد مُجدًّا حتى دخل بغداد فى عشرين يوماً .

وقَضيَّةُ كلام [2] ابن حزم أَن سنه حين ولى كانت ما بين العشرين والثلاثين ، وكان نقش خاتمه : الله ربى ، وبقى فى الخلافة حتى توفى ببغداد ليلة الجمعة لأَربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأَول سنة سبعين ومائة ، وعمره أَربع وعشرون سنة ، وقيل : خمس وعشرون ، وقيل : ست وعشرون ، ويقال إن أُمه الخيزران قتلته بأَن أَمرت الجوارى فَغَمَمْن وجهه وهو مريض فمات ، وصلى عليه أَخوه هارون الرشيد ، ومدة خلافته سنة واحدة وشهر واحد وأَربعة عشر يوماً ، وكان له من الأَولاد [3] ستة ذكور وهم : عيسى وإسحاق وجعفر وإسحاق الثانى وموسى ، وكان موسى أَعمى ،

(١) فى الأصل : مات أبيه .

(٢) سبق أنه يستعمل كلمة «ومقتضى» .

(٣) فى جمهرة أنساب العرب : ذكر أولاده الذكور ص٢٠ : جعفر وإسماعيل وعبدالله وموسى الأعمى وسليمان . هذا ولم يذكر إلا خمسة

وكان له عدة بنات ، منهن أُم عيسى التى تزوجها المأمون .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى أيامه خرج الحسين بن على بن الحسن [بن الحسن ابن الحسن] بن على بن أبى طالب بالمدينة ودعا لنفسه ، وجرى بينه وبين عامل الهادى حرب ، قتل فيها الحسين وانهزمت جماعته ، وهرب إدريس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب إلى بلاد المغرب حتى وصل طَنْجة (٥٢ ب) واستولى على المغرب الأقصى ، وبقى إلى خلافة الرشيد ، ومن عقبه الأدارسة القائمون [١] ببلاد المغرب على ما يأتى ذكره .

وفى أيامه توفى نافع أحد القراء السبعة إمام أهل المدينة فى القراءة . ولم يحجّ فى شىء من خلافته .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر أُسامة بن عمرو العامرى [٢] ، فولى

(١) فى الأصل : القائمين .
(٢) انظر ما تقدم عند ولايات سابقه .

مكانه الفضل بن صالح العبّاسى فى سنة تسع وستين ومائة ، ثم وليها عنه [علـى بن] سليمان العباسى فى آخر السنة المذكورة .

وكان على مكة والمدينة واليمن جعفر بن سليمان .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلَّبى ، فأَقَرَّه عليها وبقى إلى أَيام الرشيد كما تقدم.

وكان المستولى على الأَندلس عبدالرحمن الداخل الأَموى ، فأَقام بها إلى آخر أَيام الهادى .

الخامس من خلفاء بنى العباس بالعراق

الرشيد

وهو أَبو محمد وقيل أَبو جعفر هارون بن محمد المهدى ابن أَبى جعفر المنصور .

وأُمه الخيزران أُمُّ أَخيه الهادى المتقدمةُ الذِّكر .

كان أَبيض اللون جميل الوجه طويلا سمينا ، قد وَخَطه الشيبُ ، سَمْحاً شجاعاً كثير الحج والغزو والصدقة

والصلاة ، حتى يقال : إنه كان يصلى فى كل يوم مائة ركعة ، وكان محبًّا للعلماء مقرِّباً لهم ؛ بويع له بالخلافة فى الليلة التى مات فيها أخوه [1] الهادى فى منتصف ربيــع الأَول سنة سبعين ومائة .

ومقتضى كلام ابن حزم أَنه ولى وعمره ما بين العشرين إلى الثلاثين ، وكان نقش خاتمه : العظمة والقدرة لله . وقيل : كن مع الله على حذر . وبقى فى الخلافة (٥٣ ا) حتى توفى ليــلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنــة ثلاث وتسعين ومائة ، وعمره خمس وأَربعون سنة وخمسة أَشهر ، وقيل : أَربع وأَربعون وأَربعة أَشهر ، وقيل : ثمان وأَربعون . وكانت وفاته بطُوس من بلاد المشرق ، وصلَّى عليه ابنُه صــالح ، ودُفِن بطوس . ومــدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهر وتسعة عشر يوما . ولما حضرته الوفاة غُشى عليه ثم أَفاق ، فرأَى الفضل بن الربيــع فقال : يا فضل :

أَحين دنــا ما كنــت أَخشى دُنُــوَّه
رمتــْنى عيــونُ الناس من كلِّ جانب

---

(١) فى الأصل : أبوه .

وأَصبحتُ مرحوما وكنت مُحَمَّداً
فصبراً على مَكروه مَرِّ العواقب

سأَبكى على الوصل الذى كان بيننا
وأَندُب أَيَّام السرورِ الذَّواهب

ثم مات بعد ذلك .

الحوادث والماجريات فى خلافته

كانت خلافته فى غاية من العظمة والفخامة ، حتى يُحكى أَنه كان يستلقى على قفاه وينظر إلى السحابة الحاملة للمطر ويقول : اذهبى إلى حيث شئت يأْتينى خراجك .

واستوزر يحيي بن خالد بن برمك وابنيه جعفراً [1] والفضل ، فكان لدولته بكَرمهم وحسنِ تدبيرهم أَكملُ المفاخر .

وفى أَيامه ظهر يحيي بن عبد الله بن حسن بن الحسن ابن على بن أَبى طالب بالدَّيلم ، ودعا إلى نفسه ، فبعث إليه

---

(١) فى الأصل : وابناه جعفر والفضل .

الرشيد الفضلَ بن يحيي فى جيش عظيم فى سنة ست وستين ومائة ، فطلب الأَمان ، فكتب له به ، وكتب الرشيد خطَّه عليه ، فحضر إلى بغداد ، فأَكرمه الرشيد وأَعطاهُ مالا جزيلا ، ثم قبض عليه بعد ذلك وسجنه حتى مات فى السجن .

وفى سنة إحدى وثمانين (٥٣ ب) ومائة غزا أَرض الروم ، وفتح حصن الصَّفْصَاف ، وكان من أَعظم حصونهم .

وفى سنة تسعين ومائة كان على الروم ملكةٌ ، فخلعوها وملَّكوا عليهم ملكا اسمه نقفور [1] فكتب إلى الرشيد كتابا فيه : من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب ،

أَما بعد ، فإن الملكة التى كانت قبلى أَقامتك مقام الرُّخِّ وأَقامت نفسها مقام البَيْدَق ، فحملتْ إليك من مالها ما كنت حقيقاً أَن تحمل أَضعافه إليها ، ولكن ذلك من ضعف النساء وحُمقهن ، فإذا قرأْت كتابى هذا ارددْ إلىّ ما وصل إليك منها ، وإلا السيفُ بيننا وبينك .

(١) فى الأصل : « تنفور » فى هذا الموضع وما بعده وصوبنا من صبح الأعشى ح ٥ ص ٣٩٩

فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزّه الغضب ، وكتب فى جوابه :

من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ،

أما بعد ، فقد قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجوابُ ما ترى لا ما تسمع ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّار ﴾ [1] وفى سنة تسعين ومائة سار بنفسه فى مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا من المُرتزقة سوى من لم يرد الديوان [2] من الأتباع والمتطوعة ، حتى نزل هِرَقْلَة من بلاد الروم وحَصَرها ثلاثين يوما ، ثم فتحها ، وبثّ عساكره فى أرض الروم ففتحوا وخرّبوا ، وبعث ملكُ الروم بالجزية عن رَعيّته إليه .

ونقض أهل قُبرص العهدَ فأغزاهم من سواحل مصر والشام ، فسبى وغنم ، وغزا فى خلافته ثمانىَ غزوات ، وحج ثمانَ حجّات .

---

(١) هى قراءة سبعية في قولهتعالى « وسيعلم الكفارلمن عقبى الدار » سورة الرعد الآية ٤٢ قرأ بها بالإفراد نافع وابن كثير وأبو عمرو وهم من من السبعة انظر اتحاف فضلاء البشر ص ١٦٤ سورة الرعد

(٢) في الأصل الدير ان .

وعهد بالخلافة إلى ابنه الأَمين ، وجعل لابنـــه المأْمون خراسانَ ، وجعله ولىَّ عهده بعد الأَمين ، وكتب بينهما بذلك شرطاً وحَلَّفهما عليه ، وحجَّ بهما فى سنة ست وثمانين ومائة ، وعلّق الـكتاب فى الـكعبة .

ثم فى سنة تسعين ومائة عزل الرشيدُ الثغورَ كلَّهـا من الجزيرة وقِنَّسْرين وجعلها حَيِّزًا واحدا ، وسماها العواصمَ ، وأمر ببناية طَرَسُوس ، فبُنيت .

وفى أَيامـه توفى الإمـام مالكُ بن أَنس بمـدينة النبى صلى الله عليه (١٥٤) وسلم فى سنة ثمان وسبعين ومائة .

وتوفيت أُمه الخيزرانُ سنة ثلاث وسبعين ومائة ، فمشى فى جنازتها .

وأخباره كلها مشـكورة .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر علىُّ بن سليمان العباسىّ ، فوليها عنه بعده موسى بن عيسى العباسى فى سنـة اثنتين وسبعين

ومائة ، ثم وليها عنه محمد بن زُهير الأَزدى سنة ثلاث وسبعين ومائة ، ثم وليها عنه داود بن يزيد المُهلَّبى سنة أَربع وسبعين ومائة ، ثم وليها عنه موسى بن عيسى العباسى سنة خمس وسبعين ومائة ، فمات بها ، ثم وليها عنه عبد الله الضَّبّىّ فى أوّل سنة سبع وسبعين ومائة ، ثم وليها عنه هَرْثَمة بن أَعْين سنة ثمان وسبعين ومائة ، ثم وليها عنه عبد الملك العباسى فى سَلْخ ذى الحجة من السنة المذكورة ، ثم وليها عنه عبيد[1] الله بن المهدى العباسى فى سنة تسع وسبعين ومائة ، ثم وليها عنه موسى بن عيسى التنوخى فى آخر سنة ثمانين ومائة ، ثم وليها عنه عبيد الله ابن المهدى ثانيا سنة إحدى وثمانين ومائة ، ثم وليها عنه إسماعيل بن صالح فى آخر السنة المذكورة ، ثم وليها عنه سُمَيَّةُ بن [2] عيسى بن إسماعيل سنة اثنتين وثمانين ومائة ، ثم وليها عنه اللَّيث البيوَرْدىّ فى آخر السنة المذكورة ، ثم وليها عنه أَحمد بن إسماعيل فى آخر سنة تسع وثمانين ومائة ، ثم وليها عنه عبد الله بن محمد

(١) في الأصل : عبدالله وانظر صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٢٦

(٢) في صبح الأعشى بهامشه : « إسماعيل بن عيسى » نقلا عن المقريزى. وفي معجم الأنساب إسماعيل بن عيسى بن موسى

العباسى المعروف بابن زينب ، فى سنة تسعين ومائة ، ثم وليها عنه مالك بن دَلْهم[1] الكلبيّ سنة اثنتين وتسعين ومائة ، ثم وليها عنه الحسين بن الحجاج سنة ثلاث وتسعين ومائة ، فأَقام بها إلى أَيام ابنه[2] الأَمين .

وذكر فى « عيون المعارف » ما يخالف ذلك .

وكان على (٥٤ ب) الشام عبد الصمد بن علىّ ، فعزله وولى مكانه إبراهيم بن صالح بن على ، ثم توالت عليها عماله ، ولم أَقف على أَسمائهم .

وكان على مكة جعفر بن سليمان ، فولّى عليها وعلى اليمن حمّادا اليزيدى[3] سنة أَربع وثمانين ومائة ، فبقى إلى

---

(١) في الأصل : « عبد الله بن دلهمة » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٢٧ ومعجم الأنساب .

(٢) في الأصل : أيام أخيه .

(٣) في معجم الأنساب ص ١٧٦ : حماد البربرى . وكان قبله إبراهيم بن سلم بن قتيبة كان من سنة ١٦٩ نقلا عن ابن الأثير حـ ٦ ص٤٩ . هذا وننقل تسلسل الولاة عن معجم الأنساب لأنه أهمل ذكرهم : سليمان بن يزيد الحارثى وإبراهيم بن سلم بن قتيبة سنة ١٦٩ وحماد البربرى سنة ١٨٤ ويزيد بن جرير سنة ١٩٦ والحسن بن سهل سنة ١٩٨ وإسحاق ابن موسى سنة ٢٠٠ وإبراهيم بن موسى سنة ٢٠٠ ثم بنو زياد .

أَيام الأَمين ، ولم أَقف على عامله بالمدينة [1] . وفى سنة اثنتين وثمانين ومائة ولَّى الرشيدُ على السِّند داود بن يزيد المهــلَّبى ، وعلى الجبل يحيي الجرشىّ ، وعــلى طبرستان مَهْدَوَيْه الرازى ، وكان على الموصل وأَعمالها يزيد بن مزْيد الشيبانى [و] هو ابن أَخى مَعْن بن زائدة .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب يزيد بن حاتم بن قَبيصة المهلَّبى ، فتوفى وقام بـأَمره بعده ابنه داود ، ولمــا بلغ الرشيدَ وفاةُ يزيد ولّى على إفريقية رَوْح بن حاتم أَخا يزيد [2] المذكور ، فقَدِمَها منتصفَ سنة إحدى وسبعين ومائة ،

---

(١) عمال المدينة نقلا عن معجم الأنساب في العهد العباسى ص ٣٦ : داود بن على سنة ١٣٢ وزياد بن عبيدالله سنة ١٣٣ والعباس بن عبدالله سنة ١٣٧ وزياد بن عبيدالله مرة ثانيةسنة ١٤١ ومحمد بن خالد القسرى سنة ١٤٤ وعبدالله بن ربيعة الحارثى (١٤٥) وجعفر بن سليمان ١٤٦ والحسن بن زيد ١٥٠ وعبدالصمد بن على١٥٥ومحمد بن عبدالله الكثيرى١٥٩ ومحمد بن عبيد الله بن محمد ١٥٩ ومحمد بن عبد الله الكثيرى مرة ثانية سنة(١٦٠) وزفر ابن عاصم الهلالى (١٦٠) وجعفر بن سليمان بن على مرة ثانية١٦١وابراهيم بن يحيى ١٦٦ وإسحاق بن عيسى ١٦٧ وعمر بن عبدالعزيز بن عبدالله ١٦٩ وإسحاق بن سليمان ١٧٠ وعبدالملك بن صالح ومحمد بن عبدالله بن عبيدالله وموسى بن عيسى بن محمد وإبراهيم بن محمد ابن إبراهيم (١٨٣) وعلى بن عيسى بن موسى ومحمد بن إبراهيم وعبدالله بن مصعب وبكار ابن عبدالله بن مصعب ومحمد بن على وأبوالبخترى وهب بن منبه وداود بن عيسى بن موسي ابن محمد ١٩٣ (ناب عنه ولده سليمان) والحسن بن سهل (١٩٨) وهارون بن المسيب ٢٠٠ وحمدون بن على ٢٠١ وعبيدالله بن الحسن بن عبدالله ٢٠٤ وصالح بن العباس ٢٠٩ وسليمان بن عبدالله بن سليمان ٢١٤ ومحمد بن صالح بن العباس ٢٢٩ ومحمد المنتصر بن المتوكل ٢٣٣ وصالح بن على ٢٤٦ وعلى بن الحسن بن إسماعيل ٢٤٧ ومحمد بن عبدالله ابن طاهر ٢٤٨ .

(٢) في الأصل أخو يزيد .

ومات فى رمضان سنة أَربــع وسبعين ومائة ، وكان الرشيدُ قد بعث بعهده سرًّا إلى قرابتهم نَصْرِ بن حبيب المهلَّبى ، فقام بأَمرها بعد روح ، وسار ابنُه الفضل إلى الرشيد فولاَّه مــكان أَبيه ، وعاد إلى إفريقية ونزل القيروان فى المحرم سنة سبــع وسبعين ومائة ، ثم قتله ابنُ الجارود فى منتصف سنة ثمان وسبعين ومائة ، فولَّى الرشيدُ مــكانَه هَرْثمَةَ بنَ أَعين ، فسار إليها ودخل القيروان سنة تسع وسبعين ومائة ، ثم استعفى فأَعفاه الرشيد لسنتين ونصف من ولايتــه وولى مــكانه محمدَ بن مُقاتل العَــكِّىَّ ، فقدم القيروان فى رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة ، وكان سيِّئَ السيرة ، فولّى الرشيدُ مــكانه إبراهيمَ بنَ الأَغلب بن سالم التميمىَّ المقدَّم ذكره ، فقدم إفريقية فى منتصف سنة أَربع وثمانين ومائة ، وابتنى مدينة العباسِيَّة بالقرب من القيروان ، وانتقل إليها وبقى إلى خلافة الأَمين (١٥٥) الآتى ذكره .

وكان إدريس الأَكبر بنُ حسن المُثَلَّث بن حسن المُثَنَّى ابن الحسن السِّبط بن على بن أَبى طالب رضى الله عنه على المغرب الأَقصى ، وفتــح أَكثر البــلاد ، وبايعوه بها فى خلافة الهادى على ما تقدَّم ذكره فى الحوادث والماجريات

فى خلافته [١] . وكانت تِلِمْسان بيد محمد بن خزر بن صولات أَمير زَناتة ، فدخل فى طاعة إدريس الأَكبر هذا ، وحمل أَهلَ تلمسان على طاعته ، وأَمكنه من تلمسان ، فملكها فى سنة أَربع وسبعين ومائة ، واختط مسجدها الجامع ، ثم رجع إلى المغرب ، ثم ولَّى عليها أَخاه سليمانَ بن عبد الله ، فبقى بها إلى أَن مات إدريس الأَكبر ، وقام ابنه إدريس الأَصغر بملكه بعده ، فقدم تلمسان سنة تسع وتسعين ومائة ، فجدّد جامعها وأَصلح منبرها ، وأَقام بها ثلاث سنين ، وولاها لابن عمه محمد بن سليمان ، فبقى إلى ما بعد خلافة الرشيد ، ولم يزل حتى مات بمدينةِ وليلى ، سنه خمس وسبعين ومائة ، وترك حَليلةً له حاملا ، فوضعت ذكرًا اسمه إدريس على اسم أَبيه ، وكفلوه حتى شبَّ بايعوه بمدينة وليلى سنة ثمان وثمانين ومائة ، وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وافتتح جميع بلاد المغرب ، وضاقت به وليلى فابتنى مدينة فاس سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وانتقل إليها ، وقطع دعوة بنى العباس هناك ، وبقى إلى خلافة الأَمين .

---

(١) الذى تقدم في خلافة الهادى إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على ويفهم مما يأتى أنه إدريس بن عبدالله لقوله : وولى أخاه سليمان بن عبدالله .

وكان المستولى على الأَندلس عبد الرحمن الداخل الأَموى المقدم ذكره ، فتوفى فى شهر ربيـــع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة ، واستولى بعده على الأَندلس ابنُه هشـــام بن عبد الرحمن إلى [1] سنة ثمان وسبعين ومائة ، وتُوفى ، فاستولى بعده ابنه الحـــكم وبقى إلى أَيام الأَمين ، وفى أَيامه ارتجـــع الفرنـــج مدينة بَرَشْلُونة من الأَندلس .

السادس من خلفاء بنى العباس بالعراق

الأَمين

(٥٥ ب) وهو أَبو عبد الله . وقيل : أَبو موسى ، وقيل : أَبو العباس ، محمد بن هارون الرشيد ، وقد تقدم نسبه .

وأُمه أَمةُ الواحد ، وقيل : أَمَةُ العزيز ، ولقبها زُبيدة ، بنتُ جعفر بن أَبى جعفر المنصور المتقدم ذكره ، ولم يل الخلافة بعد علىّ عليه السلامُ وإلى يَوْمئذ مَنْ أُمهُ هاشمية غيره .

وكان أَبيض اللون سمينا طويلا جميل الوجه سَبْطاً ،

(١) في الأصل في سنة ثمان .

أنزَع ،[1] شديدا فى بدنه ، سمحا بالمال ، قبيح السيرة ضعيف الرأى سفّاكا للدماء ، منهمكا فى اللذات واللهو .

ولى الخلافة بعهد من أبيه رتَّبه فيه قبل أخيه المأمون ، وبويع له بالخلافة فى عسكر أبيه لسبع خلون من جُمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقيل صبيحة موت أبيه ، وكان غائبا ، ثم جُدِّدت له البيعةُ ببغداد بعد قدومه ، وكان أبوه الرشيدُ لمَّا علق الكتابَ الذى كتبه بينه وبين أخيه المأمون بالكعبة سقط من يد إبراهيم الحجَبىّ ، فتفاءل إبراهيم بذلك بسرعة انتقاضه ، فكان كذلك .

وكان نقش خاتمه : محمد واثقٌ بالله . وبقى حتى قتل ، على ما يأتى ذكره فى الحوادث ، لخمس ، وقيل :لستٍّ بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ، وعمره تسع وعشرون سنة ، وقيل : كان عمره ثمانياً وعشرين فقط ، فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أيام وكسرا ، وقيل : وستة

---

(١) الأنزع : من انحسر الشعر عن جانبي جبهته .

أشهر وثمانية عشر يوما ، وكان له من الأولاد موسى وعبد الله وإبراهيم ، لم يل أحد منهم الخلافة .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة انهمك فى اللهو ، واشتدت عنايته به ، حتى طلب الملاهى [1] من جميع البلاد وضمهم إليه ، وأجرى عليهم الأرزاق ، واحتجب عن إخوته وأهل بيته ، وقسم الأموال والجواهر فى خواصّه . وفى الخصيان والنساء ، وعمل خمس حَرّاقات [2] فى دِجلة ، واحدة على صورة (٥٦ ا) الأسد ، وواحدة على صورة الفيل ، وأُخرى على صورة العُقاب ، وأُخرى على صورة الحَيَّة ، وأُخرى على صورة الفرس ، وأنفق فى عملها أموالا جَمَّة ، فتغيرت الدولة منه ، ونقِموا ذلك عليه .

واستوزر الفضل بن الربيع وزير أبيه الرشيد ، واستقضى حمَّاد بن أبى حنيفة ، وأقام فى دَعة — والمأمونُ بخراسان — سنتين وأشهرا ، ثم أغرى الفضلُ بن الربيع

---

(١) الصواب ذوى الملاهى أو الملهين .

(٢) الحراقة نوع من السفن فيها مرامى نيران يرمى بها العدو ، وظاهر أنها استعملت فيما خلا من مرامى النيران .

بينهما ، فنصب الأَمين ابنه موسى لولايــة العهــد بعــده ، وأَخذ له البَيعة ، ولقبه الناطقَ بالحقِّ ، وأَبطل اسم المأْمون من الخُطبة ، وجمع العهود التى كان الرشيد كتبها بينــه وبين أَخيه المأْمون فحرقها ، وذلك فى سنة أَربع وتسعين ومائة ، وجعل ولده فى حِجْر ابن ماهان ، ووجَّه علىَّ بن عيسى إلى خراسان لقتال المأْمون ، ووجه المأْمونُ طاهرَ بن الحُسين من مَرْو ، وعلى مُقدّمته هَرْثمةُ ، لملاقاة على بن عيسى ، فبقى الحرب بين الأَمين والمأْمون سنتين وأَشهرًا ، ونزل طاهر بالأَنبار ، وهرثمةُ بالنَّهْروَان ، وسار طاهر إلى بغداد ، ولجأَ الأَمين إلى مدينــة أَبى جعفر المنصور ببغداد ، فحصره طاهرُ بن الحسين فيها ، فخرج الأَمين بعد العشاء الآخرة وعليه ثيابٌ بيض وَطَيْلسانٌ أَسود ، وجاءَ راكباً إلى شطِّ الدِّجلة ، فوجد حرَّاقة فركبها ، فطلبــه حُجَّاب طاهــر ، فسقط فى المــاء ، فأُخذ وحمل إلى طاهر فقتله

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر الحسين بن الحجّاج ، فولّى عليهــا حاتمَ بنَ هرثمة بن أَعين ، سنة خمس وتسعين ومائة ، ثم وليها عنه عبَّاد أَبو نصر مولى كندة سنة ست وتسعين ومائة .

وذكر القُضاعى أَنه وليها بعده جابر بن الأَشعث ، والمعروفُ ما تقدّم .

وكان على الشام إبراهيم بن صالح بن علىّ ، ولم أَقف على من بعده فى أيامه .

وكان على حمص إسحاق بن سليمان ، فعزله (٥٦ ب) الأَمين واستعمل مكانه عبدالله بن سعيد الحَرشى .

وكان على مكة واليمن حمَّادٌ اليزيدى ، فولّى على مكة داود بن عيسى ، ولم أَقف على من ولى باليمن ، ثم ولى على مكة محمد بن عيسى بعده . ولم أَقف على عامله بالمدينة ، إلاّ أن محمد بن عيسى المذكور كان بها فى زمن الواثق ، فلم أَدرِ هل كان فيما قبل ذلك أَم لا .

وكان على إفريقية إبراهيمُ بن الأَغلب التميمى ، فمات فى شوال سنة ست وتسعين ومائة بعد أَن عهد بالإمارة لابنه عبد الله ، وكان غائبا ، فقدم القيروان فى صفر سنة سبع وتسعين ومائة ، فبقى بها إلى أَيام المأْمون .

وكانت تِلِمْسانُ بيد محمد بن سليمان من قِبَلِ ابن عمه

إدريس الأَصغر بن إدريس الأَكبر ، فلما مات إدريس الأَصغر استقرت تلمسان بيد عيسى بن إدريس بن محمد ابن سليمان ، ثم صارت بعد ذلك إلى الحسن بن أَبي العيس ابن عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان ، وبقيت بأَيديهم إلى أَن انقرضت دولة الأَدارسة من الغرب .

وكان المستولى على الغرب الأَقصى إدريس بن إدريس العلوى ، فأَقام مستوليا عليه إلى أَيام المأْمون .

وكان المستولى على الأَندلس الحَكَم بن هشام ، فتوفّى لأَربع بقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين ، واستولى بعده ابنه عبد الرحمن بن الحكم ، فبقى إلى أَيام المأْمون أَيضاً .

السابع من خلفاء بنى العباس بالعراق

المأْمون

وهو أَبو العباس ، وقيل : أَبو جعفر عبد الله بن هارون الرشيد المقدم ذكره .

وأمه أُم ولد اسمها مَرَاجــل . كان أَبيض وقيــل : أَسمر أَجنأ [1] أَعْيَن أَقنى طويلَ اللِّحية دقيقها قد وَخطه الشيبُ ، ضيِّقَ الجبين ، بخدّه خالٌ أَسود ، كاملَ الفضل مُشاركا فى عــلوم كثيرة ، جوادا ، عظــيم العفو ، حسن التدبير ، وكان قد أَحــكم علم النجوم ، وإليه يُنسب الزِّيــجُ (١٥٧ ا) المــأْمونى ، وهو الذى نقــل كتب الحــكمة من اليونانية إلى العربية [2] اعتناء بها ، وكان يحب العَلَوِيين ويقوم بنصرتهم .

ولى الخلافةَ بعهد من أَبيه المُرَتَّبِ على عهد أَخيه الأَمين كما تقدم ، وبويع له بها وهو غائب بخراسان ، حيث ولايته يوم الأَحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة [3] وعهــد بالخــلافة حينئذ إلى علىٍّ الرِّضَى بنِ موسى بن جعفر العَلَوى فى سنة إحدى ومائتين ، وكتب له بذلك عهدا . على ما سيأْتى ذكره فى الكلام على العهود إن شاء الله تعالى .

(١) الأجنأ من أشرف كاهله على صدره . وفي الأصل : أجنى .
(٢) في هامش الأصل ، وضع عنوان بخط مختلف هو : « المأمون نقل كتب الحــكمة من اليونانية الى العربية » .
(٣) في الأصل ومائتين . وبالهامش علق عليها بخط مختلف بقوله : لعله ومائة .

وكان نقش خاتمه : سل الله يعطيك ، وبقى حتى توفى بأرض الروم غازيا ، لثمانٍ خلون من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وسنُّه ثمانٍ وأربعون سنة ، ودُفن بِطَرَسُوس ، من مضافات حلب الآن ، وكان سبب موته فيما حكاه سعيد بن العلاَّف قال : دعانى المأمون وهو جالس هو وأخوه المعتصم على شط نهر البديدون من بلاد الروم ، وقد وضعا أرجلهما فى المـاء ، فقال لى : أى شىء يُؤكل ليشرب عليه الماء الذى هو فى غاية الصفاء والعذوبة ؛ فقلت : أمير المؤمنين أعرف ، فقال : الرُّطَب ، فبينما هم كذلك إذ وصلت بغال البريد وعليها ألطاف من رُطب ، فشـكر الله تعالى على ذلك ، فتعجبنا جميعا ، وأكل وأكلنا من ذلك الرطب ، وشربنا عليه من ذلك المـاء ، فما قام من مكانه حتى حُمَّ . ولمـا مرض أوصى بالخلافة لأخيه المعتصم ، ثم توفى بالبديدون المذكورة ، لثمان خلون من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، وسنُّه ثمانٍ وأربعون سنة ، وقيل : تسع ، ودُفن بِطَرَسوس ، فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهـر .

وكان له من الأولاد : محمد الأكبر وعبيد الله ومحمد الثانى والعباس وعلى والحسن وإسماعيل والفضل وموسى وإبراهيم

ويعقوب والحسين وسليمان وجعفر وإسحاق وأحمد وهارون وعيسى [1] وعشر بنات .

(٥٧ ب) الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويع استوزر ذا الرياستين الفضلَ بن سهل ، وأقام بخراسان أحد عشر شهرا وأياما . وفى خلال ذلك بويع ببغداد إبراهيم بن المَهدىّ ، فسار إليه وصُحْبتُه علىّ الرِّضَى العلوىّ ولىّ عهده ، ووزيره الفضل بن سهل ، وكان كلّما مرّ ببلد أصلحه ، فلما وصل إلى سَرَخْس دخل الفضلُ ابن سهل الحمَّامَ ، فولَج عليه جماعةٌ فقتلوه ، فقُبض عليهم وحُملوا إلى المأمون ، فقال لهم : من أمركم بقتله ؟ فقالوا : أنت ، فأمر بهم فضُربت أعناقهم ، وأظهر الحُزن عليه ، فلما وصل إلى طُوس مات علىّ الرضى بها فى سنة ثلاث ومائتين . يقال إنه سُمَّ فى رُمَّانٍ أكله ، فحزن عليه المأمون حزنا شديدا ، ودخل إلى بغداد فى سنة أربع ومائتين . وكان لباسُ المأمون لما دخل بغداد الخُضرةَ شِعَارَ العَلوِيِّين ، فكان الناس يدخلون

(١) لم يذكر في جمهرة أنساب العرب من أولاده الفضل وموسى وسليمان وذكر عبدالله بدل عبيدالله وأضاف هارون الأصغر .

عليه فى الثياب الخُضْر ويَحرقون كل ملبوس يرونه من السَّوادِ ، ودام ذلك ثمانيـــة أيام ، فشق ذلك على العباسِيّة ، فعـــاد إلى السواد الذى هو شعار العباسيين [1] .

وهرب إبراهيم بن المهــدى [2] واستتر ، ثم عثر عليه المأمون فى سنة عشر ومائتين ، فعفا عنـــه وأَحسن إليـــه ، ثم تزوج المأمون بُوران بنت الحسن بن سهل ، سنة عشر ومائتين ، فنثرت عليه جَدَّتُها أُمُّ الحسن بن سهــل أَلْف حبَّة لؤلؤ من أنفس ما يــكون ، وأوقدت شمعـــة عَنْبَرٍ بها أربعون مَنًّا [3] ، وكتب أبوها أسماءَ ضِياع فى رِقاع ونثرها على القُوَّاد والأُمراء ، فمن وقعت عليـــه رُقعة أخذ الضيعة التى هى فيها ، على ما سيأْتى ذكره فى الباب السابع إن شاءَ الله تعـــالى .

وفى سنـــة إحدى ومائتين أمر أن يُحصى عدد الموجودين من أَولاد العباس ، فبلغوا ثلاثة وثلاثين أَلفا ، ما بين ذكر وأُنثى ، وقيـل : غير ذلك .

---

(١) فى هامش الأصل عنوان بخط مختلف هو : السواد هو شعار العباسيين .

(٢) فى الأصل : إبراهيم بن العباس وهو سهو .

(٣) المن : ميزان ١٨٠ مثقالا أو ٢٨٠ مثقالا .

وفى سنة عشر ومائتين احترقت مدينة الفسطاط ، وهو الحريق الأَول (١٥٨ ا)

وفى سنة [1] اثنتى عشرة ومائتين أَظهر المأْمون القول بخلْق القرآن ، وتفضيل على بن أَبى طالب على سائر الصحابة ، وأَنه أَفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا الناس إلى القول بذلك ، وكانت مِحْنة عظيمة على العلماء .

وفى سنة ست عشرة ومائتين توجّه إلى مصر ، فدخلها وفتح الهرم الأَكبر من الأَهرام التى على القرب من مدينة الجِيزة ، بعد مشقة عظيمة ونفقة جزيلة ، ويقال : إنه وجد فى داخل أَعلاه مَطهرةً فيها ذهب ، وكان المأْمون ذا عقل راجح ، فأَمر بوزنها وحصْرِ مقدار ما صُرف على فتح الهرم ، فإِذا هو مقدار الذهب الذى وجد فى المطهرة ، فتعجب وكف عن التعرض لما وراء ذلك .

وكانت مقاصد المأْمون كلّها جميلة ، خلا ما نحا إليه من القول بخلق القرآن والتشيع وبثّ علوم الفلاسفة بين المسلمين .

ومن قضاة زمانه يحيى بن أَكثم .

(١) في هامش الأصل عنوان بخط مختلف هو : وفي سنة اثنتى عشرة ومائتين أظهر المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل علىّ على الصحابة .

ولايات الأَمصار فى خلافتـــه

كان على مصر أَبو نصر عبّاد . فولى عليها المطَّلب بن عبد الله الخُزاعى سنـــة ثمان وتسعين ومائة [ثم وليهـــا العباس بن موسى سنة ثمان وتسعين ومائة ثم وليهـــا المطلب ابن عبد الله ثانياً فى سنة تسع وتسعين ومائة] ثم وَلِيها عنه السَّرِىُّ بن الحَـكَم البَلْخى باجتماع من الجند عليه فى سنة مائتين . ثم وليها عنــه سليمان[1] بن أَبى طالب فى سنة إحدى ومائتين ، ثم وليهـــا السرىُّ بن الحـكم ثانيـــاً بعهد من المأْمون ، ثم وليها عنه أَبو نصر محمـــد [بن السرىّ] بعد موته فى سنة خمس ومائتين ، ثم وليها عنه أَخوه عبيد[2] الله بن السَّرِىّ بمبايعة الجند فى سنة ست ومـــائتين ، ثم وليها عنـــه عبـــد الله بن طاهـــر ابن الحسين فى سنـــة عشر ومائتين . وهو أَول من جلب البطيـــخ العَبْدَلىَّ إلى مصر من خراسان [3] فنُسب إليه . ثم عاد عبدالله بن طاهر إلى العراق ، واستخلف على مصر

(١) في صبح الأعشى : سليمان بن غالب .
(٢) في الأصل عبدالله .
(٣) في هامش الأصل بخط مختلف عنوان هو : أول من جلب البطيخ العبدلى إلى مصر من خراسان هو عبدالله بن طاهر .

عيسى بن يزيد الجَلُّودى فى سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم وليها عنه أَبوإسحاق المعتصم ، فأَمَّر عليها عيسى الجلُّودى. (٥٨ب) ثم صرفه وولَّى عليها عمر بن الوليد التميمى فى سنة أَربع عشرة ومائتين ، ثم وليهـا عيسى الجلّودى ثانيا فى آخر السنة المذكورة ، ثم وليها عَبْدَوَيه بن جَبَلة فى سنة خَمْسَ عشرةَ ومائتين ، ثم وليها منصور مولى بنى نصر وقيل : عيسى بن منصور ، فى سنة ستَّ عشرةَ ومائتين .

وولى المأْمون أَخاه المعتصمَ الشام ، وولَّى ابنه العباسَ الجزيرةَ والثُّغور .

وولى المأَمونُ لابتداء خلافته الفضلَ بنَ سهل على المشرق من جبال هَمَذَان إلى بلاد التُّبَّت من بلاد الترك طولا . ومن بحر فارس إلى الدَّيلم وجُرجان عَرْضا ، ولقَّبه ذا الرياستين ، يعنى السيفَ والقَلمَ .

وولى أَخاه الحسن بن سهل الحجازَ وديوان الخراج والعراقَ والجَبَل وفارس والأَهواز .

واستولى طاهرُ بن حُسين على واسط والمدائن . وأَبو السَّرَايا على البصرة ،

وكان على مكة محمد بن عيسى ، فصرفه وعقد على جميع الحجاز للحسن بن سهل مع غيره من الأقاليم .

وكان على اليمن إسحاق بن موسى بن عيسى بن محمد ابن على بن عبدالله بن عباس ، فقصده إبراهيم بن موسى ابن جعفر العَلَوىُّ ، فهرب منه إسحاق واستولى على اليمن إبراهيمُ ، واضطرب أمر اليمن حينئذٍ ، فولَّى المأمون عليه محمد بن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن أبيه ، وهو أول دولة بنى زياد باليمن . وبَنَى محمدُ بنُ إبراهيم مدينةَ زَبِيد إحدى مدن اليمن العظام ، فى سنة أربع ومائتين ، وولى مولاه جعفراً الجِبال ، فعُرِفت بمِخلاف جعفرٍ إلى الآن ، وولى اليمن بعده ابنه إبراهيم بن محمد ، فبقى إلى أيام المعتصم .

وكانت خراسان بيد المأمون من عهد أبيه ، فولى عليها غسّان بن عبّاد ، فى سنة اثنتين ومائتين حين قدم العراق ، عند أخذ البيعة لإبراهيم بن المهدى ، ثم استعمل المأمونُ طاهرَ بن الحسين بن مُصعب [1] فى سنة خمس ومائتين على المشرق (١٥٩) من خراسان وما وراء النهر وغير ذلك ، فبقى إلى أن توفى فى جمادى الأُولى سنة سبع ومائتين . ثم ولى المأمون عبدَالله

(١) فى الأصل : « على » و التصويب من ابن خلكان ترجمته .

ابن طاهر خراسانَ وما وراءَ النهر ، فى سنة أربع عشرة ومائتين ، فبقى إلى أيام الواثق ، كما سيأتى..

وكان على إفريقية عبدالله بن إبراهيم بن الأغلب ، فتوفى فى ذى الحجة سنة إحدى ومائتين ، ووليها بعده أخوه زيادة الله بن إبراهيم ، وجاءَ التقليد من قِبَلِ المأمون .

وكان المستولى على الغرب الأقصى إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر العلوى ، فمات سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وقام بالأمر بعده ابنُه محمد بن إدريس ، فبقى إلى ما بعد خلافة المأمون .

وكان المستولى على الأندلس عبدالرحمن بن الحكم بن هشام الأموى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المأمون .

الثامن من خلفاء بنى العباس بالعراق

المعتصم بالله[1]

وهو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد ، وقد تقدم نسبه ، وهو أول من أُضيف فى لقبه اسم الله تعالى من الخلفاء ، وأُمه أُم ولد اسمها مارِدة .

(١) في هامش الأصل بخط مختلف عنوان هو: الثامن من خلفاء بنى العباس بالعراق المعتصم بالله .

وكان أبيض اللون مُشربا بحمرة ،أصهب اللِّحية ، حسن الجسم مربوعا ،طويل اللِّحية ،شجاعاً شديد البـدن ، يحمل ألف رطل بغداديٍّ ويمشى بها خطوات فيما قيل ، وكان كريم الأخلاق ، انفرد عن أصحابه فى يوم مطير ، فرأى شيخاً معه حمارٌ عليه حِمْلُ شَوْك ،وقد توحّل الحمار فى الطين ووقع الحِمل عنه ،وهو ينتظر من يمرُّ به ليعينه على رفعه على الحمار ، فنزل المعتصم عن فرسـه وخلَّص الحمار من الطين ورفع الحِمْل عليه ،ثم لحقه أصحابه ، فأمر لصاحب الحمار بأربعة آلاف درهم . وقال ابن أبى دُوَاد : تصدق المعتصم وَوَهبعلى يدى مائة ألفٍ . وكان مع ذلك أُمِّيًّا لايحسن الكتابة ،ضعيفَ البَصَر بالعربية ، ويقـال : إن (٥٩ ب) سبب ذلك أنه رأى جنازة بعض الخدم يوماً فقـال : ليتنى مثل هذا حتى أتخلَّص من الكُتَّاب ؛ فقال له أبوه الرشيد : والله لا عَذَّبتُكَ بشىء تختار عليه الموت ،ومنعه عن الكتب من يومئذ .

وقد حكى الزّجّاجىُّ وغيره أنه ورد عليه كتاب من بلادالجبل فيه : مُطِرْنا مطرًا كثُر عنه الكَلَأُ . وكان يتقلَّد العَرْضَ وقراءة الكتب عليه كاتبهُ محمد بن عمَّار ، فقال له : ما الكلأ ؟ فقال :

لا أَدرى ، فقال : إِنَّا لله ، خليفة أُمِّىٌّ وكاتب عامِّىٌّ ، ثم قال : من يقرب منا من كتاب الدار؟ فعُرِّف بمكان محمد بن عبدالملك الزيَّات ، وكان يقف على قهْرَمةِ الدار ، فأَمر بإِشخاصه ، فأُتِىَ به ، فقال له : ما الكلأُ؟ فقال : النبات كلُّه رَطْبُه ويابسه ، فإِذا كان رطبا قيل له : خَلًى ، فإِذا كان يابسا قيل له : حشيش ، ثم أَخذ فى ذكر النبات من ابتدائه إِلى اكتهابه [1] إِلى هيجه ، فأُعجب به المعتصم وقال : لِيتقلَّدْ هذا العَرْضَ علينا . ثم خُصَّ به حتى استوزره .

بويع له بها يوم مات أَخوه المأْمون بِطَرسُوس ، لثمانٍ خلون من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، بعد أَن حاول بعض أَهل الدولة مبايعةَ ابنِ أَخيه العباسِ بن المأْمون ، فلم يتم لهم ذلك ، وكان نقش خاتمه : الله ثقة أَبى إِسحاق بن الرشيد وبه يؤمن .

وبقى حتى توفى بمدينة سامُرَّا ، يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهور ربيع الأَول ، وقيل : فى منتصفه سنة سبع وعشرين ومائتين ، وسنُّه ثمانٍ وأَربعون سنة ، ومدّة

---

(١) اكتهابه أن تعلوه غبرة مشربة سوادا أو أن يتغير لونه .

خلافته ثمان سنين وثمانيــةُ أَشهر ويومان . وكان له من الأَولاد ثمانيــة ذكور ،منهم : هارون الواثق ، وجعفر المتوكل ، وأَحمد المستعين ، كل من الثلاثة ولى الخلافة ، وكان له أَيضاً ثمان بنات [1] .

الحوادث والماجريات فى خلافتــه

لما بويع بالخلافة وصار إلى بغداد على ما تقدم بنى مدينة سماها (١٦٠) سُرَّ مَنْ رأَى ،ثم تساهل الناس فيها فقالوا سامُرَّا ،ونزلها واستخلف ببغــداد ابنه الواثق ، واستوزر الفضل بن مروان ، فغلب على أَمره حتى لم يبق للمعتصم معه يد ،ثم قبض عليه واستوزر أَحمد بن عمار ، ثم محمد بن عبد الملك الزيات .

وكان على رأْى أَخيه المأْمون فى القول بخلق القرآن ، فأَحضر الإِمــام أَحمد بن حنبــل فى سنــة تسـع عشرة ومائتين ، وامتحنه بالقول بخلق القرآن فامتنع ، فضربه حتى تقطَّــع جلدُه ، وقيَّده وحبسه .

وفى سنــة اثنتين وعشرين ومائتين فتــح عَمُّوريَّة من

(١) انظر أولاده في جمهرة أنساب العرب ص ٢٢ .

بلاد الروم ، وكان السبب فى ذلك أنه بلغه أن امرأة هاشميةً مأسورةً فى يد ملك الروم صاحب عمُّورِيّة صاحت : وامعتصماه ، فقال لها ملك الروم : لا يأتى المعتصم لخلاصك إلاَّ على أبلق[1] . فأعظمه ذلك ، ونهض لوقته ونادى فى عسكره بركوب الخيل البُلْق ، وركب أبلق ، وخرج وفى مقدّمة عسكره أربعةُ آلاف أبلق ، وقد تجهَّز جهازا لم يتجهزه أحد مثله من السلاح وغيره ، وسار حتى وصل عمُّورِيَّة ، وأقام عليها المنجنيقات حتى هدم فرْجا من أسوارها ، وولج المسلمون البلدَ عَنْوَةً ، فقتلوا وسَبَوْا ونهبوا . أقام عليها خمسة وخمسين يوما حتى خلص تلك المرأة ، ثم سار حتى دخل سامُرَّا .

وفى سنة عشرين ومائتين خرج من بغداد لبناء سامُرَّا ، واستخلف على بغداد ابنه الواثق ، وقبض على وزيره الفضل ابن مروان ، وكان قد استولى على الأمور حتى لم يبق للمعتصم معه أمر ، وولى مكانه محمد بن عبد الملك الزيات ، وكانت طائفة من أهل دولته قد حاولت مبايعة العباس بن

---

(١) الأبلق ما في لونه سواد وبياض .

المـــأمون ، فظفر به فى طريقه ، فقبض عليه ومنعـــه شرب المـــاء حتى مات .

وفى أيامه توفى إبراهيم بن المهدى الذى كان قد بويـــع بالخلافة فى زمن المـــأمون .

ولايات الأمصار فى خلافتـــه

(٦٠ ب) كان على مصر نصر بن عبد الله الصُّغْدى المعروف بـــكندر [١] ثم وليها عنـــه المسعودى [٢] فى أول سنـــة تسـع عشرة ومائتين . ثم وليها عنه المظفَّر بن كندر [٣] فى وسط السنة المذكورة أشهرا قلائل ، ثم وليها عنه أبو العباس موسى بن ثابت فى آخر السنة ، ثم وليها عنه ابن كندر ثانيا [٤] فى سنة أربـــع وعشرين ومائتين ، ثم وليهـــا عنه على بن يحيي الأرمنى فى سنة ست وعشرين مائتين ، فبقى بها إلى أيام الواثق .

(١) كذا في الأصل والذى في معجم الأنساب : « الصغدى المعروف بكيدر » والذى في صبح الأعشى « كيدر » وسقط الاسم السابق ، وبالهامش كيدر عن المقريزى وانظر النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٣١٨

(٢) لم يذكر فى معجم الأنساب ، وذكر في صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٢٧

(٣) انظر الهامش قبل السابق

(٤) في صبح الأعشى مالك بن كيدر وكذلك في معجم الأنساب .

وكان هو على الشام فى أيام أخيه المأمون ، ولم أقف على من وَلاَّها هو فى خلافته [1] .

وكان الحجاز : مكة والمدينة وغيرهما ، فى خلافة المأمون فى ولاية الحسن بن سهل ، ولم أَقف على من وليه بعده فى خلافة المعتصم .

وكان على اليمن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيد الله ابن زياد بن أبيه ، فأقره [وتوفى فولى ابنه محمد] وبقى إلى أيام المتوكل وبعده .

وكانت خراسان وما وراء النهر بيد عبد الله بن طاهر ، فبقى إلى ما بعد خلافة المعتصم .

وكان على إفريقية زيادة الله بن إبراهيم ، وتوفى فى شهر رجب سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وتولى مكانه أخوه أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، وتوفى فى ربيع [2] سنة ست وعشرين ومائتين ، وتولى بعده ابنه أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم ، فدانت له إفريقية ، وبنى مدينة بقرب تاهَرْت سماها العباسية سنة

(1) انظر معجم الأنساب ولاة دمشق وغيرها .

(2) كذا في الأصل بدون تبيين أى الشهرين وكذلك في صبح الأعشى حـ5 ص12

تســع وثلاثين ومائتين ، وبقى إلى أيام الواثق .

وكان تلمسان بيد الحسن بن أبى العيس بن عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان ، فلما ظهــرت دعوةُ عبيد الله المهدى الفاطمى بالمغرب نهض قائده موسى بنُ أبى العاقبة إلى تلمسان وملــكها من الحسن بن أبى العيس فى سنــة تســع عشــرة ومائتين ، وبقيت بيــد عمال المهدى إلى سنة أربعين وثلاثمائة (١٦١) وكان المستولى على الغرب الأقصى محمد بن إدريس بن إدريس العــلوى ، فتوفى سنة إحدى وعشرين ومائتين ، بعد أن استخلف فى مرضه ولده عليًّا ابن محمد وهو ابن تسع سنين ، فأقام إلى أيام الواثق .

وكان المستولى على الأندلس عبد الرحمن بن الحــكم الأموى فبقى إلى أيام الواثق .

التاسع من خلفاء بنى العباس بالعراق

الواثق بالله

وهو أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله بن الرشيد ، وقد تقدم نسبه ، وأمه أمّ ولد رومية اسمها قراطيس .

كان أَبيض مُشْربا بحُمرة ، حسن الجسم ، فى عينه اليسرى نكتة بياض ، وكان كثير الإِحسان إلى أهل الحرمين ، حتى لم يبق بهما فى أيامه سائل ، ولما بلغهم موتُه كان نساء المدينة يخرجن كل ليلة إلى البَقيع ويبكينه .

بويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبوه المعتصم ، لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأَول فى منتصفه سنة سبع وعشرين ومائتين ، وكان نقش خاتمه : الله ثقة الواثق ، وبقى حتى توفى بالاستسقاء بسامُرَّا يوم الأَربعاء لستٍّ بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وعمره يومئذ ست وثلاثون سنة وأشهر ، وقيل : سبع وثلاثون ، ودُفن بسامرا ، وصلّى عليه أخوه المتوكل . ومدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام .

ومن عجيب أَمره أَنه لما اشتد به المرض أَحضر المنجمين ، فنظروا فى مولده ، فقدَّروا له أن يعيش خمسين سنة مستأْنفة بعد ذلك ، فلم يعش بعد قولهم غير عشرة أيام ، فسبحان المستأْثر بعلم الغيب .

وكان له من الأولاد محمد المهتدى بالله ، ولى الخلافة وعبد الله وأحمد وإبراهيم ومحمد وعائشة [1]

الحوادث والماجريات فى خلافته

(٦١ ب) لما بويع بالخلافة ، وزر له محمد بن عبد الملك الزيات وزير أبيه ، وجرى على مذهب أبيه المعتصم وعمه المأمون فى القول بخلق القرآن ، وامتحان الناس فى الدين ، وكان يُعاقب من امتنع من القول بخلق القرآن أو برؤية الله تعالى فى الدار الآخرة ، وكان يبالغ فى إكرام العَلويين على قاعدة المأمون .

وفى أوائل خلافته ثارت القيسية بدمشق وحصروا أميرهم ، فجهّز إليهم الواثقُ جيشا حتى رجعوا وأذعنوا للطاعة .

وفى خلافته فى سنة ثمان وعشرين ومائتين فتح المسلمون عدة أماكن من جزيرة صقلّية .

وفى سنة ثلاثين ومائتين توفى عبدُ الله بن طاهر بخراسان وهو يومئذ أميرها .

---

(١) فى جمهرة أنساب العرب لم يذكر أحمد وجاء بدله : على ، وذكر أن له بنات ، تزوج المستعين وأخوه عبدالله اثنتين منهن .

وفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين توفى أبو يعقوب البُوَيطى أحد أصحاب الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وكان ممن امتُحن بالقول بخلق القرآن فلم يُجب ، وتُوفى أيضا ابن الأعرابىّ اللغوىّ .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر فى خلافته [على بن] يحيى الأرمنى ، فوليها عن الواثق عيسى بن منصور الجَلُّودى ثالث مرة فى سنة تسع وعشرين ومائتين ، قال القضاعى : ثم وليها أشناس [1] ، ثم رُدَّت إلى إيتاخ ، يعنى حاجب الواثق ، فأقرَّ بها عيسى بن منصور المقدّم ذكره ، فبقى إلى أيام المتوكل الآتى ذكره . ولم أدر من عمل له على الشام .

وكان على مكة والمدينة فى أيامه محمد بن عيسى .

وكان على اليمن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن عبيد الله بن زياد بن أبيه ، فبقى إلى أيام المتوكل .

وكان على إفريقية محمد بن الأغلب بن إبراهيم ، فبقى إلى أيام المتوكل .

---

(١) فى الأصل : أشياس .

وكانت تلمسان، من الغرب الأَوسط ، بيد العُبَيْديِّين الفاطِميِّين .

وكان المستولى على الغرب الأَقصى عُليشاً بن محمد الإِدريسى، فبقى إلى أَيام المتوكل .

وكان المستولى على الأَندلس عبد الرحمن بن الحكم، فبقى إلى أَيام المتوكل أَيضا .

(١٦٢) العاشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المتوكل على الله

وهو أَبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد، وقد تقدم نسبه .

وأُمه أُم ولد تركية اسمها شُجاع . كان أَسمر اللون مربوعاً خفيف العارضين، بويع له بالخلافة لستّ بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، بعد أَن همَّ كُبراء الدولة بعد موت الواثق بالبيعة لمحمد بن الواثق وأَلبسوه قلنسوة ودُراعة سوداء وهو غلام أَمرد قصير ،

فنازعهم فى ذلك بقيّة أَهل الدولة ، ولم يروا مصلحة فى ولايته ، فأَضربوا عنه ، ثم تنازعوا فيمن يولونه ، وذكروا عدَّة من بنى العباس ، ثم أَحضروا المتوكل ، فقام أَحمد ابن أَبى دُوَاد قاضى القضاة فى زمن أَخيه الواثق ، وأَلبسه وعمَّمه وقبَّل بين عينيه ، وقال : السلام عليك يا أَمير المؤمنين ، فبايعه الناس وعمره يومئذ ستٌّ وعشرون سنة . وكان نقش خاتمه : على إلٰهى أَتَّكل . وبقى حتى توفى ليلة الأَربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأَربعين ومائتين قتيلا بمجلس شرابه ، ويقال : إن سبب قتله أَنه كان أَخذ البيعة لأَولاده الأَربعة : محمدٍ المنتصر ، ثم الزُّبير[1] ، ثم المعتزِّ ، ثم إبراهيم المُؤيَّد ، فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وكان يقدِّم المعتزَّ على المنتصر ، والمنتصر أَسنُّ منه ، فدسَّ عليه المنتصرُ من قتله غيلةً ، فرمى وزيرُه الفتحُ بنُ خاقان نفسَه عليه فقُتل معه ، ودُفنا فى قبر واحد فيما يقال . وكان عمره يوم مات إحدى وأَربعين سنة ، وصلَّى عليه ابنه المنتصر ودفن فى القصر الجعفرىّ . ومدَّةُ خلافته أَربعَ عشرةَ سنةً وتسعةُ أَشهر وتسعةُ أَيام .

(١) سيأتى فى صفحة ٢٤٤ أن الزبير من أسماء المعتز .

وكان له من الأَولاد محمد المنتصر والمعتز ، كلاهما ولى الخلافة ، وموسى وكان أَحدب ، وإبراهيم المُؤيد ، وطلحة الموفق ، وإسماعيل والمعتمد [1] وغيرهم .

(٦٢ ب) الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة أَبطل ما كان أَحدثه المأْمون ومَنْ بعده من القول بخلق القرآن ، وحسم المادة فى ذلك . وحَظِىَ فى زمانه أَهلُ الأَدب ، إلا أَنه كان شديد البُغض لعلىٍّ بن أَبى طالب رضى الله عنه ولأَهل بيته ، على خلاف ما كان عليه المأْمون .

وكان من جملة ندمائه عُبادةُ المُخنَّث وكان يشدُّ على بطنه مخدَّة تحت ثيابه . ويكشف رأْسه وهو أَصلع ويرقص ويقول :

قد أَقبل الأَصلعُ البطينْ
خليفة المسلمينْ

(١) انظر أولاده في جمهرة أنساب العرب ص ٢٣ هذا والمعتمد هو أبو العباس أحمد ولى الخلافة أيضا .

يعنى عليا رضى الله عنه . والمتوكل يضحك ، ففعل ذلك يوماً بحضرة ولده المنتصر . فقال له : يا أَمير المؤمنين إن عليًّا ابنُ عمك ، فكُلْ أَنت لحْمَه إذا شئت ، ولا تدعْ مثل هذا الكلب وأَمثاله يطمع فيه ، فقال المتوكل للمغنين غنوا .

غار الفتى لابن عمِّه
رأْسُ الفتى فى حِرِامِّه

وبلغ من بغضه لعلىٍّ وأَهل بيته أَنه فى سنة ست وثلاثين ومائتين أَمر بهدم قبر الحسين بن على وما حوله من المنازل ، ومنع الناس من زيارته .

ومن غريب ما اتّفق له فى ذلك أَنه طلب عليًّا الزَّكِىَّ ، ويقال : عَلىٌّ الهادى وعلىٌّ التقىٌّ أَحد الأَئمة الاثنى عشر ، وبعث إليه جماعة من الترك ليُحضروه ، فهجموا عليه ببيته ، فوجدوه فى بيت مغلق وعليه مِدْرَعةُ شَعَرٍ ، وهو مستقبلٌ القبلةَ يترنَّم بآيات من القرآن فى الوعد والوعيد ، ليس بينه وبين الأَرض بساط إلاَّ الرمل والحصا ، فحُمِل إلى المتوكل ، والمتوكلُ فى مجلس شرابه ،

والـكأسُ فى يده ، فلما رآه المتوكل أعظمه وأجلسه إلى جانبه ، وناوله الكأْس ، فقال : يا أمير المؤمنين ما خامر لحمى ودمى قطٌّ فأعفنى ، فأعفاه ، وقال : أنشدنى شعرا (٦٣ ا) فقال : إنى لقليل الرواية للشِّعر ، فقال : لا بد من ذلك ، فأنشده :

باتوا على قُلل الأَجْبَال تحرسهمْ
غُلْبُ الرِّجال فما أَغنتْهُمُ القُلَلُ[1]

فاستُنْزِلُوا بعد عِزٍّ من معاقلهمْ
وأُودعوا حُفَرًا يا بئس ما نَزلُوا[2]

ناداهُمُ صارخٌ من بعد ما قُبِروا
أَين الأَسِرَّةُ والتيجان والحُلَلُ

أَين الوجوهُ التى كانت مُنعَّمَةً
من دونها تُضْرب الأُستارُ والكِلَلُ

فأَفصح القبرُ عنهمْ حين سَاءَلهمْ
تلك الوجوهُ عليها الدودُ يقْتَتِلُ

(١) فى الأصل : « قلل الجبال » والتصويب من ابن خلكان ترجمة أبى الحسن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا ويعرف بالعسكرى .

(٢) فى الأصل : ما بدلوا والتصويب من المرجع السابق ويؤيده قوله واستنزلوا .

يا طـال ما أكلوا دهـرًا وما شربـوا

فأصبحـوا بعد طولِ الأكلِ قد أُكِلُوا

فبـكى المتـوكل وأمـر برفـع الشراب وقال : يـا أبـا الحسن ، عليك دين ؟ قال : نعم ، أربعة آلاف دينـار ، فدفعها إليـه ورده إلى بيته مكرما .

وفى أيامه كانت زلازل عظيمة بقُومِس وما يليهـا ، ومات من الناس ممن سقطت عليـه الدور خمسةٌ وأربعـون ألفا وستة وتسعون [1] وكان قبل ذلك بفارس وخراسان والشـام واليمن ، وكان يُسمـع فى الزوابـع أصواتٌ مُنْكرة ، وتهدَّمت الحصون والمنازل والقناطر . وتدكدكت المدائن من العراق وبالِس والرَّقَّة وحَرَّان ورأْس العَيْن والرها وطرسوس والمصيصة واللاذقية وسواحل الشام ، وسقط من أنطاكية ألف وخمسمائة دار ، ومن سُورها نيِّفٌ وتسعون بُرْجاً ، وتقطع جبلها الأقرع وسقط فى البحـر وهاج وطلع منه دخان أسود مُنتن ، وغار فيها نهر لا يُدْرى أين ذهب .

وفى سنة ست وأربعين سمـع أهلُ تِنِّيس من مصـر ضجَّةً عظيمة مات منها خلق كثير .

---

(١) فى الأصل : خمسا وأربعون ألفا وستا وتسعين .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر عيسى بن منصور الجلُّودى ، فوليها عن المتوكل علىٌّ بن يحيي ثانيا فى سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وقيل : وليها هَرْثمة بن نَصر ، ثم ابنه حاتم ، ثم علىّ بن يحيي المذكور ، ثم ردت إلى محمد (٦٣ ب) المنتصر[١] ، فاستخلف فيها إسحاق بن يحيي بن مُعاذ فى سنة خمس وثلاثين ومائتين ، ثم وليها عبد الواحد[٢] بن يحيي فى سنة ست وثلاثين ومائتين ، ثم وليها عنه عنبسة الضَّبِّىُّ فى[٣] سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، ثم وليها عنه يزيد بن عبد الله فى سنة اثنتين وأربعين[٤] ومائتين . وفى أيامه كان القاضى بها الحارث بن مسكين ، ثم بكَّار بن قتيبة ، وبقى بها إلى أيام المنتصر والمستعين بعده .

ولم أدر من كان على الشام فى أيامه .

---

(١) في الأصل محمد بن المنتصر .
(٢) في صبح الأعشى : « خزاعة » هذا وفي معجم الأنساب : خوط عبد الواحد بن يحيى وبهامشه عن النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٢٨٨ « عبد الواحد بن يحيى » فيكون لفظ خوط لقبا لعبد الواحد وما في صبح الأعشى خزاعة تحريف عن خوط أو أن كلمة خوط تحريف عنه .
(٣) في صبح الأعشى : « عقبة الضبي » أما في معجم الأنساب فكالأصل .
(٤) في الأصل : اثنتين وثلاثين .

وكان على مكة والمدينة محمد بن يحيى[1] ، فعزله وولّى عليها ابنَه المنتصر بن المتوكل ، ثم وليها علىٌّ بن عيسى بن جعفر بن المنصور ، ثم عزله سنة سبع وثلاثين ومائتين ، وولّى مكانه عبدَ الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى ، ثم عزله سنة ثنتين وأربعين ومائتين ، وولّى مكانه عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام .

وولّى المتوكل فى سنة ثلاث وثلاثين ابنه المنتصرَ على الحَرَمَين واليمن والطائف . وكان قد ولى على اليمن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم من بنى زياد بنْ أبيه .

وكان على إفريقية محمد بن الأَغلب بن إبراهيم ، فتوفى سنة ثنتين وأربعين ومائتين ، وَوَلِيَ مكانه ابنُه أبو إبراهيم أحمدُ بنُ أبِي العباس محمد بن الأَغلب ، وكان مولعا بالعِمارة ، فبنى بإفريقية فيما يقال نَحْوًا من عشرة آلاف حصن بالحجارة والكِلْس وأبواب الحديد ، وبقى إلى أيام المنتصر الآتى ذكره .

---

(١) فى معجم الأنساب ص ٢٩ محمد بن داود بن عيسى كان على مكة ومحمد بن صالح بن العباس كان على المدينة .

وكان المستولى على الغرب الأَقصى عليشا بن محمد [1] الإدريسى ، ومات سنة أَربع وثلاثين ومائتين ، واستولى بعده أَخوه يحيي بن محمد بعهد منه له ، فتزايدت عمارة فاس وغيرها فى أَيامه ، ثم مات فولى بعده ابنه يحيي بن يحيي .

وكانت تلمسان بيد العُبَيديّين .

وكان على الأَندلس عبد الرحمن [بن الحكم] ، بن هشام فتوفى فى ربيع الآخر (١٦٤) سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، واستولى بعده ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، فبقى إلى أَيام المنتصر .

الحادى عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المنتصر بالله

وهو أَبو جعفر محمد بن جعفر المتوكل المتقدم ذكره .

وأُمه أُم ولد رومية اسمها حَبَشِيَّةُ . كان أَسمر مربوعا أَعين أَقنى قصيرًا ، عظيم اللحية حسن الجسم ذا شهامة مَهيبا

(١) فى الأصل : عليا بن محمد .

راجح العقل كثير الإنصاف . بويع له بالخلافة يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة أربع وأربعين ومائتين ، وذلك أنه حضر الناسُ والقوّادُ والعساكر واجتمعوا بباب الخلافة ، فخرج إليهم وزيرُه أحمد بن الخصيب ومعه كتاب من المنتصر يقول فيه : إن الفتح ابن خاقان قتل المتوكل فقتله به ، فبايع الناسُ المنتصر حينئذ . وكان نقش خاتمه : يُؤتى الحَذِر من مأمنه . وقيل : كان نقشه : أنا من آل محمد ، الله وليِّي ومحمد .

وبقى حتى توفى بمرض الذَّبحة بسامُرَّا يوم الأحد ، وقيل ليلة السبت لخمس خلون من ربيع الأول ، وقيل لثلاث خلون منه ، سنة ثمان وأربعين ومائتين ؛ وكانت مدة مرضه ثلاثة أيام ، ويقال : إن الطيفوريَّ الحجَّام سمَّه فى مَحاجمه . وكان عمره يوم تُوفِّى خمسا وعشرين سنة وأشهرا ، وقيل ستا وعشرين سنة . ويقال : إن مولده كان فى ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، ومدة خلافته ستة أشهر ويومان ، وكان له من الأولاد أربعة أولاد ذكور . ولم أقف على ذكر أسمائهم [1] .

---

(١) في جمهرة أنساب العرب ص ٢٤ ذكر أسمائهم وهم : عبدالوهاب وهارون وهارون آخر وعيسى والفضل والعباس وعلى وعبيد الله وعبدالصمد ومحمد أبو عبد الله سكن مصر وأحمد وجعفر .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة أَظهر حبّ على بن أَبى طالب رضى الله عنه وأَهل بيته (٦٤ ب) على خلاف ما كان أبوه المتوكل ، وأَمر الناس بزيارة قبر الحسين بن على بن أَبى طالب رضى الله عنهما ، وآمن العلويين وكانوا خائفين أَيام أَبيه .

وفى سنة ثمان وأَربعين ومائتين خلع المنتصرُ أَخويه المعتزَّ والمؤيّدَ من عهد أَبيهما إليهما بالخلافة بعد خلافته على الترتيب المتقدم ، وأَخذ خطوطهما بإحلال الناس من بيعتهما بعد أَن أَخافهما وأَهانهما ، ولم يَطلْ زمنُ خلافته فتكثر حوادثها .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر فى أَيامه يزيد بن عبد الله ، فأَقره عليها أَيام خلافته كلها .

ولم أَدر من كان عامله بالشام ولا مكة والمدينة [1] .

---

(١) في ابن الأثير حوادث سنة ٢٤٨ ج ٧ ص ٣٩ ان المنتصر لما ولى الخلافة كان أول ما أحدث أن عزل صالح بن على عن المدينة واستعمل عليها على بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد .

وكان اليمن بيد بنى زياد بن أبيه .

وكان على ما وراء النهر إسماعيل بن أحمد السامانى .

وكان على خراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر ، فبقى إلى ما بعد خلافة المنتصر .

وكان على إفريقية أبو إبراهيم أحمد بن محمد [بن] الأغلب ، فبقى إلى آخر خلافته .

وكان المستولى على الغرب الأقصى يحيي بن يحيي بن محمد ، من الأدارسة المقدم ذكرهم ، فمات وقام بالأمر بعده ابن عمه على بن عمر بن إدريس الأصغر . واستولى على جميع ممالك الغرب الأقصى .

وكان على الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، فبقى إلى ما بعد خلافته .

الثانى عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المستعين بالله

وهو أبو العباس أحمد بن المعتصم محمد بن الرشيد .

وأُمه أُم ولد اسمها مُخارق . كان سمينا صغير العينين كبير اللّحية أَسودها ، بوجنته خال ، وكان فيه لين وانقياد لأَتباعه ، مُهملا لأُموره ، شديد الخوف على نفسه ، وقال الدُّولابى . كان رجلا صالحاً (١٦٥) بويع له بالخلافة بعد وفاة المنتصر المتقدم ذكره باتفاق من كبراء الدولة مثل بُغَا الكبير وبُغا الصغير ، وأَحمد بن الخصيب[1] وغيرهم ، يوم الاثنين لست خلون من ربيع الآخر وقيل : لأَربع خلون منه سنة ثمان وأَربعين ومائتين ، كراهة أَن يُقيموا بعضَ بنى المتوكل لكونهم قتلوا أَباهم .

وكان نقش خاتمه : فى الاعتبار غنىً عن الاختبار . وبقيِ حتى خُلع فى سنة إِحدى وخمسين ومائتين ووُجّه إِلى وَاسِط بعد خلعه ، فكتب المعتز إِلى أَحمد بن طولون بقتله ، فامتنع ، فتسلمه سعيد بن صالح الحاجب فضربه حتى مات ، وكفَّن ابنُ طولون جُثته ودفنها ، وحمل رأْسه إِلى المعتز فأَمر بدفنها ، وكان عمره يوم تولى الخلافة أَربعا وعشرين سنة ، وولى ثلاث سنين وثلاثة أَشهر إِلا أَياما ، وقيل : أَكثر من ذلك . ويقال : إِن ولادته كانت فى رجب سنة إِحدى عشرة ومائتين .

(١) فى الأصل : محمد بن الحصيب . انظر التصويب من ابن الأثير حـ ٧ ص ٤٠ .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة قبض على المعتز والمؤيد ابنى المتوكل وحبسهما بالجَوْسَق بسامُرَّا ، وثبت أَمره وفوّض أمر بيت المال إلى أُمه وإلى أَتامش التركى وشاهك الخادم ، فأَفسدوا ماله وأَضاعوه . وفى أَيامه جرى بين المسلمين والروم وقعةٌ عظيمةٌ بمَرْج الأَسقُف ، هُزِم فيها المسلمون وقُتل مُقدَّم عسكرهم [1] .

وفى أَيامه ظهر يحيي بن عمر بن يحيي بن حسين بن زيد ابن على بن الحسين بن على بن أَبى طالب ، بالكوفة ، وكثر جمعه ، فجهز إليه محمدُ بن عبد الله بن طاهر جيشا من خراسان فقتلوه وحملوا رأْسه إلى المستعين .

وفى سنة تسع وأَربعين ومائتين تشغَّبت الجند الشاكريَّة والعامة ببغداد على الأَتراك بسبب استيلائهم على أُمور المسلمين ، يقتلون من شاءُوا من الخلفاء ويستخلفون من أَحبوا ، من غير نظر للمسلمين . (٦٥ ب) وثارت فتنة أَيضا بسامُرا بين العامة والأَتراك . وفتحت العامة السجون وأَطلقوا من فيها .

---

(١) كان المقدم هو عمر بن عبيدالله الأقطع . ابن الأثير حـ ٧ ص ٤١ حوادث سنة ٢٤٩ .

وفى سنة إحدى وخمسين ومائتين اتفق بُغا الصغير ووصيفٌ التركى وقتلا باغر التركى ، فتشغبت الأَتراك وحصروا المستعين وبُغا ووصيفا فى القصر بسامرا ، وهرب المستعين وبغا ووصيف فى حرَّاقة إلى بغداد واستقرُّوا بها . واجتمع أَهل الدولة بسامرا على المعتز بن المتوكل فبايعوه ، وجهَّز أَخاه طلحة بن المتوكل وجهزه فى خمسين أَلفا من الأَتراك ، وسيرهم إلى بغداد ، فجرى بينهم حرب كبيرة ، واتفق كبراءُ الدولة ببغداد على خلع المستعين ، وألزموه ذلك ، فخلع نفسه فى السنة المذكورة ، ثم نقل من الرُّصافة إلى قصر الحسن بن سهل ، بعياله وأَهله ، وأُخذ منه البردة والقضيب والخاتم ، ووجّه به إلى واسط مع أَحمد بن طولون .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر فى أَيامه يزيد بن عبد الله ، فولى عليها بعده مزاحم بن خاقان فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، ثم وليها عنه أَحمد بن مزاحم فى سنة أَربع وخمسين ومائتين ، فبقى بها إلى آخر أَيامه . ولم أَقف على عماله

بالشـــام ولا مـــكة والمدينـــة [١] .

وكان اليمن بيد بنى زياد .

وكان على خراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر ، فتوفى فى رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين ، فعقد المستعين لولده محمد بن طاهر علي خراسان .

وكان على إفريقية أبو إبراهيم أحمد بن [محمد بن] الأغلب ، فتوفى فى آخر سنة تسع وأربعين ومائتين . وولى بعـــده ابنه (١٦٦) زيادة الله الأصغر بن [أبى] إبراهيم أحمد [٢] وتوفى فى آخر سنة خمسين ومائتين . وفى أيامه كانـــت أكثـــر فتـــوح صقليـــة . وولى بعده أخوه محمد أبو الغرانيق بن أبى إبراهيم أحمد ، فبقى إلى آخر خلافته وبعـــد ذلك .

---

(١) في كتاب معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص ٣٧ أنه كان على المدينة محمد بن عبدالله ابن طاهر من قبل المستعين وفي ص ٢٩ أن الولاة الذين كانوا على مكة في الفترة ما بين سنة ٢٥٠ ، ٢٥٣ هم جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى وعيسى بن محمد المخزومى الكردى ومحمد بن احمد بن عيسى بن المنصور وفي ص٥٧ أن عقبة بن محمد بن جعفر كان واليا على الموصل في سنة ٢٥٢ .

(١) في الأصل ابن ابراهيم بن أحمد« انظرمعجم الأسرات الحاكمة ١٠٥و١٠٦»وسيأتى بعده أخوه صوابا .

وكان المستولى على الغرب الأقصى على بن عمر بن إدريس الأصغر ، فبقى بها أيام خلافته .

وكان على الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم فبقى إلى ما بعد خلافته .

الثالث عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المعتز بالله

وهو أبو عبد الله محمد ، وقيل : الزبير [1] بن جعفر المتوكل المقدم ذكره .

وأمه أم ولد اسمها قبيحة ، سميت بذلك لحسنها ، وهو من باب الأضداد كما يقال للغراب أعور لحدة بصره . كان أبيض أكحل أسود الشعر لم ير فيهم مثله جمالا . وكان مؤثرا للذاته . بويع له بسامُرَّا عند هروب المستعين إلى بغداد فى سنة إحدى وخمسين ومائتين ، ثم بويع له البيعة العامة ببغداد بعد خلع المستعين ، لأربع خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين . وكان نقش خاتمه : الحمد لله رب كل شىء وخالق كل شىء . وبقى حتى خلع

(١) انظر صفحة ٢٢٩

لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، ثم توفى يوم السبت لثلاث خلون من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين . أُخرج للناس ميتا من سجنه ، ويقال : إنه منع الطعام والشراب أياماً ، ثم أُدخل الحالم وأغلق عليه بابه [1] فأصبح ميتا ، وقيل أدخلوه سردابا وجصصوا عليه حتى مات . وصلى عليه المهتدى ودفن بسامرا . ويقال إن صالحا الحاجب قتله ورماه فى دجلة ، والمشهور الأول . وعمره يومئذ أربع وعشرون سنة وثلاثة عشر يوماً ، وقيل : ثلاث وعشرون سنة وثلاثة أشهر إلا أياما . (٦٦ ب) وكان له من الأولاد عبد الله بن المعتز [2] المشهور بالبلاغة وفن الأدب .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويع بالخلافة أخرج أخاه المُؤيّد من الاعتقال ، وخلع عليه ، ثم بلغه عنه أنه يدبر عليه أمرا ، فضربه

(١) كذا في الأصل . والذى في ابن الأثير حـ ٧ ص ٦٩ فدخل إليه صالح ومحمد بن بغ المعروف بأبي نصر وبابكيال في السلاح فجلسوا على بابه وبعثوا إليه أن اخرج إلينا فقال قد شربت أمس دواء وقد أفرط في العمل فإن كان أمر لابد منه فليدخل بعضكم وهو يظن أن أمره واقف على حاله فدخل إليه جماعة منهم فجروه برجله إلى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه فيالشمس في الدار ... ثم أدخلوه سردابا وجصصوا عليه فمات . هذا وسيأتى بعض هذا الكلام في الحوادث والماجريات . والحالم لعلها الحمام .

(٢) في جمهرة أنساب العرب ، عبدالله وحمزة وخمس بنات .

أربعين سوطا وحبسه ، حتى أشهد على نفسه بالخلع من العهد الذى كان عهد إليه به أبوه المتوكل بأن يكون له ولاية العهد بعد المعتز ، ثم بلغه أن جماعة من الأتراك اجتمعوا على إخراج المؤيد من محبسه ، فأخرجه فى يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين ميتا ، وأحضر القضاة والفقهاء حتى رأوه ولا أثر به ، ويقال : إنه أدرج فى لحاف سَمُّور ، وشُدَّ عليه طرفاه حتى مات .

وكان حاجبهُ صالحُ بنُ وصيف غالباً على أمره ، ثم كان من أمره أنه أتاه يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه جماعة، فصاحوا على بابه وبعثوا إليه أن اخرج إلينا ، فاعتذر بأنه تناول دواء ، وأمر أن يَدْخل بعضُهم عليه ، فدخلوا عليه فجرُّوا برجله إلى باب الحجرة ، وأُقيم فى الشمس يرفع قدما ويضع أخرى ، وهم يلطمونه وهو يتَّقى بيده ، حتى أجاب إلى الخلع ، وأدخلوه حجرة وبعثوا إلى قاضى القضاة ابن أبى الشوارب وجماعة ، فحضروا فخلع نفسه بحضرتهم ، ووُكِّلَ به فى الحبس ، وكانت مدة خلافته منذ بيعته العامة إلى أن خُلع ثلاث سنين وسبعة أشهر إلا أربعة أيام ، ومن

لدن مبايعته بسامرا إلى أن خُلِع أربع سنين وسبعة أشهر إلا سبعة أيام .

وفى أيامه فى سنة أربع وخمسين ومائتين أحدث أحمدُ ابنُ المدبر صاحبُ خراج مصر ضمانَ النَّطْرُون بها ؛ وكان قبل ذلك مباحا لمن يأْخذه .

(٦٧ ا) ولايات الأَمْصار فى خلافته

كان على مصر أحمد بن مزاحم ، فبقى إلى آخر أيام خلافته ، وقال فى «عيون المعارف» : كان عليها فى أيامه يزيد بن عبد الله ، ثم مزاحم بن خاقان . ثم ابنه أحمد . ثم أرخوز [1] التركى . ثم أحمد بن طولون . وفى أيام ابن طولون عظم شأْن مصر وعلا قدرها ، وانتقلت من الإمارة إلى المُلْك ، وهو أول من جلب المماليك الترك إلى الديار المصرية ، وكان قبل ذلك أكثر عسكره من السودان سودان [2] يقال إنه كان فى عسكره اثنا عشر ألف أسود . وكان القاضى بها بكَّار بن قتيبة . ولم أَقف على عماله بالشام ومكة والمدينة .

(١) في الأصل أرجوان والتصويب من النجوم الزاهرة ﺣ ٢ ص ٣٤١ أرخوز بن أدلوغ طرخان التركى وفي معجم الأنساب ص ٤٢ يركوج أو أرجور أو أرغوز .

(٢) في الأصل : أكثر عسكره «سودان» وبالهامش أدخل كلمة «من السودان» فيراد من كلمة سودان الثانية أنهم سود .

وكانت اليمن بيد بني زياد المقدم ذكرهم .

وكان على خراسان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، فبقى إلى ما بعد خلافة المعتز .

وكان على إفريقية قبله محمد أبو الغرانيق من بني الأغلب ، فأقرّه عليها ، ففتح جزيرة مالطة سنة خمس وخمسين ومائتين ، وبقى إلى آخر خلافته .

وكان المستولى على المغرب الأقصى قبله عليّ بن عمر بن إدريس ، فبقى إلى آخر خلافته .

وكان المستولى على الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم [1] فبقى إلى آخر خلافته .

الرابع عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق
المهتدى بالله

وهو أبو عبد الله ، وقيل : أبو جعفر ، محمد بن الواثق ابن المعتصم ، وأمه أم ولد رومية اسمها قُرْب [2] . كان أسمر عظيم البدن مربوعا أجلح [3] طويل اللحية ، وكان ورعا

(١) في الأصل : بن عبدالحكم .
(٢) في تاريخ الخلفاء ص١٤٥ تسمى وردة .
(٣) الأجلح : من انحسر الشعر عن جانبي رأسه .

كثير العبادة يكاد أن يكون فى بنى العباس مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى أُمية هَدْياً وفضلا . بويع له بالخلافة لثلاث ليال بقين من رجب سنة خمس وخمسين (٦٧ ب) ومائتين ، وكان نقش خاتمه : من تعدّى الحق ضاقت مذاهبه . وبقى حتى توفى قتيلا لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين ، وقيل : لأربع عشرة ليلة خلت منه . وعمره يومئذ ثمان وثلاثون سنة ، وقيل : ست وخمسون سنة [١] ، ويقال : إن مولده كان فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين . وسبب قتله أنه قَصَد قَتْل موسى بن بُغا ، ففَطِنَ به موسى فقصده ففرَّ المهتدى ، فقبض عليه موسى وداسوا خُصْيَتيه فمات ودفن بتربة المنتصر . ومدة خلافته أحد عشر شهرا أو نحو ذلك . ولم أقف على ذكر عقبه. [٢]

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى أيامه خرج عليه على بن محمد بن عبد الرحيم

(١) لعلها وثلاثون سنة أو وأربعون سنة ففى النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٧ : وله نحو أربعين سنة ويبدو أن السهو جاء من أن قتله كان سنة ست وخمسين ومائتين .

(٢) في جمهرة أنساب العرب ص ٢٣ أولاده عبد الله وجعفر وعبد الواحد والعباس وعبد الوهاب . . . .

المعروف بصاحب الزِّنْجِ ، ونسبه فى عبد القيس ، فجمع عليه الزّنج الذين كانوا يكسحون السِّباخ من جهة البصرة ، وادَّعى أنه علىّ بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ، وسار إلى البصرة ، وعظم أمره ، وبثّ أصحابه يمينا وشمالا ، ولم يزل أمره يتفاقم حتى ملك الأُبُلَّةَ وعبَّادان والبصرة ، وبقى حتى قُتل فى أيام المعتمد الآتى ذكره سنة سبعين ومائتين .

وفى خلال أيامه ظهرت قبيحةُ أُمّ المعتز ، وكانت قد اختفت عند القبض على ابنها ، وكان لها أموال جَمَّة ببغداد ، يقال : إنه وُجد لها مطمورةٌ تحت الأرض فيها ألف ألف دينار ، ووُجد لها فى سَفَطٍ قَدْرُ مَكُّوكٍ [1] زُمُرّدٍ ، وفى سَفَطٍ آخر قدر مكّوك لؤلؤ ، وفى سفط آخر قدر كَيْلَجَة [2] ياقوت أحمر لا يوجد مثله ، فحُمل ذلك جميعه إلى صالح بن وصيف صاحب المهتدى القائم بتدبير (١٦) دولته [3] ، وسارت هى إلى مكة ،

(١) المكوك : مكيال يسع صاعا ونصفا أو نصف رطل إلى ثمان أواقي ....

(٢) الكيلجة كيل كان معروفا لأهل العراق

(٣) في ابن الأثير ﺣ ٧ ص ٧٠ فحمل الجميع إلى صالح فسبها وقال عرضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار وعندها هذه الأموال كلها .

فكانت تدعو على صالح بصوت عال تقول : هتك ستري ، وقتل ولدي ، وأخذ مالي ، وغرّبني عن بلدي ، وركب الفاحشة مني. فأجاب الله دعاءها فيه ، فخرج عليه موسى بن بغا ، فهرب صالح واختفى ، ثم ظفر به موسى وقتله ونودي عليه : هذا جزاء من قتل مولاه.

وفي سنة خمس وخمسين ومائتين توفي أبو عثمان الجاحظ المعتزلي إمام أهل الأدب .

ولايات الأمصار في خلافته

في خلافته كان على مصر أحمد بن طولون ، واستضاف إليها الشام ، وهو أول من جمع له بين مصر والشام في الإسلام . والقاضي بمصر يومئذ بكّار بن قتيبة ، وكان مُقْطَعُها أماجور [1] ولم أقف على عماله بمكة والمدينة .

وكانت اليمن بيد بني زياد .

وكانت خراسان بيد محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر .

(١) الذي في ابن الأثير جـ ٨ ص ١١٢ حوادث سنة ٢٦٤ أن أماجور كان مقطعا دمشق .

وكان على إفريقية قبله محمد أبو الغرانيق من بنى الأغلب ، فبقى إلى ما بعد خلافته .

وكان المستولى على الغرب الأقصى قبله علىّ بن عمر بن إدريس ، فبقى إلى ما بعد خلافته .

وكان المستولى على الأندلس قبله محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم (١) فبقى إلى ما بعد خلافته .

الخامس عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المعتمد على الله

وهو أبو العباس ، وقيل : أبو جعفر أحمد بن المتوكل جعفر .

وأمه أم ولد اسمها فِتْيان ، كان طويل اللحية حسن الجسم واسع العينين ، مُقبلا على اللذات ، بويع له بالخلافة بعد خلع (٦٨ ب) المهتدى ، لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين . وكان

(١) في الأصل : بن عبد الحكم .

نقش خاتمه : السعيد من وُعظ بغيره . وكان القاضى بمصر بكّار بن قتيبة ، ثم غضب عليه ابنُ طولون فى أواخر أيامه وحبسه وقيَّده ، وطلبه بجوائزه التى كان بعث بها إليه ، فوجدها فى منزله بخواتيمه ستة عشر [1] كيسا ، فيها ستة عشر ألف دينار . وأقام محمد بن شاذان الجوهرى [2] كالنائب له . وابن طولون فى خلال ذلك يُخرج بكارا كلما جلس للمظالم ويقيمه بين يديه إلى أن مات ابن طولون ، ثم مات القاضى بكار بعده بأربعين يوما ، ودفن عند مصلى ابن مسكين ، وقبره مشهور هناك يزار ، معروف بإجابة الدعاء عنده . وبقيت مصر بعد ذلك سنتين بغير قاض [3] .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة أقبل على لذاته ولهوه ، وجعل أخاه طلحة ولىَّ عهده ، ولقّبه المُوفَّق ، وجعل إليه المشرق ، وجعل ابنه جعفرا ولىَّ عهده ولقّبه المُفَوَّض إلى الله ،

---

(١) في ابن خلكان ترجمة بكار : ثمانية عشر . وكذلك نقل عنه في النجوم الزاهرة حـ ٣ ص ١٩ .

(٢) في الأصل شادان . والتصويب من ابن خلكان ترجمة بكار وكتاب الولاة ص ٥١٣ .

(٣) لم يشر إلى ذريته وفي جمهرة أنساب العرب ٢٥ هم : جعفر المفوض وإسحاق ومحمد وأبوعبد الله وعبد العزيز وإبراهيم ويعقوب وعلى والعباس .

وجعـل إليه المغرب ، فغلب الموفّق على الأَمر وقام بـه أسدَّ قيـام وأَحسنـه ، ومال الناس إليـه واحتجز المعتمدَ وضيّق عليه حتى أَنـه احتاج فى وقت[1] إلى ثلاثمائة درهم فلم يجدها فأَنشد :

أَليس من العجـائب أَنَّ مثـلى
يَرى ما قَـلَّ مُمتنعـاً عليـهِ

وتُؤْخَـذُ باسمـه الدنيـا جميعـا
وَما مِنْ ذاك شىءٌ فى يَـدَيْـهِ

وفى أَيـامه كان قد ابتـدأَ ظهـور القَرامطـة ، وهم طائفـة ملعونة ، ظهـرت من سواد العـراق ، ينسبـون إلى رجل اسمه الفرج بن عثمان ، يلقب بقَرْمَط ، ومعنـاه بالنبطيـة أَحمر العين ، قيـل : إن الذى كان أَتى به (٦٩ ا) إلى السَّوَاد رجل أَحمـر العين ، فشُهـرِ بشهرته ، وكـان اللَّعينُ قد قام فى أَهـل البـادية ممن لا معتقد له وادَّعى أَنه جاءَ بـكتاب أَوله : بسم الله الرحمن الرحيم ،

(١) في هامش الأصل بخط مختلف كلمة « مطلب » هذا ولم يتم الكلام وهذه الكلمة جاءت عند كلمة « احتاج في » ولعله أراد أن يكتب عنوانا « أو أن يجعلها بدل كلمة « وقت » .

يقول الفرج بن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانة : إنه داعية المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدى ، وهو أحمد بن محمد بن الحَنَفِيَّة ، وهو جبريل ، وأن المسيح تصوّر [له] فى جسم إنسان وقال [له] : إنك الداعية ، وإنك الحُجَّة ، وإنك الناقة (١) وإنك الدابّة ، وإنك يحيى بن زكريا ، وإنك روح القدس (٢) . إلى غير ذلك من سخيف الألفاظ وكُفْرِيَّات الأقوال . واتبعه على هذا الهَذَيان خلق كثير ممن لا عقل له ولا مُسْكَة دين من أهل القرى ، وقويت شوكته وعظمت دولته وكثرت أتباعه وطالت أيامهم وتمادت ، وكان للإسلام بهم أعظم نكاية . قال صاحب « العبر » وهؤلاء القرامطة يعرفون فى بلاد المشرق بالملاحدة ، لأن مذهبهم كله إلحاد ، ومنهم الإسماعيلية بقلاع الدعوة بأعمال طرابُلس من بلاد الشام المعروفون بالفَداوِيّة .

وفى أيامه توفى الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى صاحب « الجامع الصحيح » سنة خمسين ومائتين (٣) .

(١) فى الأصل : الباقية والتصويب من ابن الأثير .

(٢) انظر النص فى ابن الأثير جـ ٣ ص ١٦٠ حوادث سنة ٢٧٨ وله فيه تكملة كثيرة .

(٣) الذى فى ابن خلكان ترجمة البخارى محمد بن اسماعيل أنه توفى سنة ٢٥٦ وكذلك فى النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٥ حوادث سنة ٢٥٦ .

وفى سنة إحدى وسبعين ومائتين كان بمصر زلزلة عظيمة انهدمت منها منارة الإسكندرية . ثم فى سنة اثنتين وسبعين كانت زلزلة عظيمة عمت البلدان ، ووقع غلاء ، بِيع القمح فيه نصف وَيْبةٍ بدينار .

وفى سنة خمس وسبعين احترقت مدينة الفُسطاط واحترق الجامع العتيق ، وهو الحريق الثانى وعمَّره أَبو الجَيْش ابن طولون .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر قبله أَحمدُ بن طولون ، فأَقرّه عليها ، وبقى إلى ما بعد (٦٩ ب) خلافته ، والقاضى بها بكّار بن قتيبة أَيضا . وفى أَيامه استضاف أَحمدُ بن طولون الشام بعد موت مُقطَعِها أَماجور ، إلى مصر ، وصيَّرهما مملكة واحدة له فى سنة أَربع وستين ومائتين ، وهو أَول من جمع بينهما فى الاسم ، وبقى عليهما حتى توفى أَحمد بن طولون فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، وكانت منازله ومنازل بنيه بعده حول جامِعِه الموجود الآن ، من كل جانب ، ويعرف بالقطائع ، فكان يقال قَطيعة

فلان ، وقطيعـــة فلان ، كل خُطٍّ منها يسمى قطيعة ، وكان الأُمراء فيما قبله ينزلون بدار الإمارة بالفسطاط ، وكان مبدأ بناء جامعه في صفر سنـــة تسع وخمسين ومائتين ، وسبب بنائه جامعَه هذا أنه كان يـــكثر التردد إلى مدينة عين شمس الخراب ، وهى الـــكيمان التى على القرب من المَطرِيّة من غربيّها ، فاتفق أنه بينما هو يسير فى أرضها يوما إذ ساخَتْ يدُ فرسه فى الأَرض ، فـــأَمر بحفر ذلـــك المـــكـــان ، فوجد فيـــه كنزا من ذهب فى ناووس حَجَر ، ومقابله ناووسٌ آخر فيه ميت مُصَبَّرٌ فى عسل نحـــل . وعلى صدره لوح من ذهب مـــكتوب ، فأَخذ الذهب واللوح ، وتطلَّب من يقرأ له ذلك اللوح ممن له معرفة بالخطوط القديمة . فدُلَّ على راهب بالصعيد فى بعض الدِّيارات ، فأَمر بإشخاصه إليـــه ، فقيل له : إنه لا يستطيـــع المسير لـــكبر سنه ، فبعث إليه باللوح صحبةَ أَميرٍ من جهتـــه ، فلما نظر فيه قال : إنه يقول : أَنا أَكبر الملوك ، وذهبي أَخلَصُ الذهب ، فقال ابن طولون : قاتل اللهُ من يـــكون هذا اللعينُ أَكبرَ منـــه أَو ذهبُه أَخلصَ من ذهبـــه . ثم شدّد فى ذلك حـــتى كان يحضر التَّعْلِيق [1] بنفسه ، فكان

(١) التعليق لعله اصطلاح على تصفية الذهب واستخلاصه .

ذهبه أخلص الذهب ، ثم أخذ فى عمارة الجامع من المال الذى وجده فى الكنز . ومن غريب أمره أنه لما فرغ من بنائه أمر من يتجسّس بسماع (١٧٠) قول الناس فيه ، فحضر إليه رجل فقال : سمعت من يقول : مِحرابُه صغير ، وقال آخر : سمعت من يقول : ليس به سارِية . وقال آخر : سمعت من يقول : ليس فيه مِيضَأةٌ ، فقال : أما صغر محرابه فإنى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وقد خطّه لى فأصبحت فوجدت النمل قد دار على ذلك المكان . وأما عدم السارية فإن السوارى لا تكون إلا من مسجدٍ خراب أو كنيسة ، وأنا بنيته من حلال من كنز وجدته ، فكرهت أن أُدخل فيه شائبةً ، وأما المِيضأة فأردت تنزيهه عن النجاسة وسأبنيها على بعد ، فبناها عند دار الفيل .

وملكها بعده ابنه خمارويه بن أحمد بن طولون ، فبقى بها إلى ما بعد خلافته . ولم أقف على عماله بمكة والمدينة .

وكانت خراسان وما وراء النهر بيد بنى طاهر بن

الحسين . ويعقوب بن الليث الصَّفَّار قد فتح الرخج وقتل ملكها ، واستسلم أَهلها ، وكان ملكها يجلس على سرير من ذهب ويدعى الإلٰهِيّة (١) ، ثم مات يعقوب فى سنة خمس وستين ومائتين بعد أَن استولى على بَلْخ وكَابُل وغيرهما ، فقام بالأَمر بعده أَخوه عمرو بن الليث ، وكتب إلى المعتمد بطاعته ، فولَّاه الموفَّق أَخو المعتمد القائمُ بتدبير دولته خراسانَ وأَصفهان وسِجِسْتان والسندَ وَكِرْمان ، وسيَّر إليه الخِلَع مع الولاية .

وفى أَيامه استولى صاحب الزنج على الأُبُلَّه وعَبَّادان والأَهواز ، ثم استولى على البصرة فى سنة سبع وخمسين .

وكان لأَسد بن سامان أَربعةُ بنينَ ، هم نوح وأَحمد ويحي وإلياس ، وكانوا فى خراسان والمأْمون بها ، فأَكرمهم وقدَّمهم ، ولما سار المأْمون من خراسان إلى العراق استخلف على خراسان غسّان بن عبَّاد ، فولى غسَّانُ أَحمدَ بنَ أَسد فَرْغَانةَ فى سنة أَربع ومائتين ، وولّى يحي بن أَسد الشاشَ وأُشْرُوسَنَةَ ، وولى إلياس بن أسد هَرَاةَ ، وولى (٧٠ ب) نُوحَ بن أسدِ سَمَرْقَنْدَ قاعدة ما وراء النهر ،

(١) الإلاهية والألوهية والألوهة كلها بمعنى .

فلما تولّى طاهر بن الحسين خراسان وما وراء النهر أَقرّهم على هذه الأَعمال ، ثم مات نوح بن أسد بسمرقند ، ومات بعده إلياس بِهَراة ، واستقر على عمله ابنُه محمدُ بن إلياس ، وكان لأَحمد بن أَسدٍ سبعةُ بنين ، وهم نصر ويعقوب ويحيي وأَسد وإسماعيل وإسحاق وحميد ، ثم مات أَحمد بفرغانة واستخلف ابنه نصرا على أَعماله ، وكان إسماعيل بن أَحمد يخدم أَخاه نصرا ، فولاّه نصر بُخارى فى سنة إحدى وستين ومائتين ، وكان إسماعيل رجلاً خَيِّرا يحب أَهل العلم ويكرمهم ، فمن ثَمَّ دام مُلْكُه وملك أَولاده ، وطالت مُدَّتهم .

وكان اليمن بيد بنى زياد .

وكان على إفريقية محمد أَبو الغرانيق من بنى الأَغلب ، فتوفى فى منتصف سنة إحدى وستين ومائتين بعد أَن عهد لابنه أَبى عقال ، فحمل أَهلُ القيروانِ إبراهيمَ بنَ أَحمد أَخى أَبى الغرانيق على الولاية لِحُسْن سيرته ، فامتنع ثم أَجاب ، وقام بالأَمر أَحسن قيام ، وقمع أَهل الفساد ، وبنى الحصون والمحارس بساحل البحر ، حتى كانت النار تُوقد فى ساحل سَبْتَةَ لِلإِنذار بالعدوّ ، فيتصل إيقادها بالإسكندرية

فى ليلة واحدة ، ثم انتقل من القيروان إلى تونس ، فسكنها فى سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وهو أول من سـكنها من ملوك إفريقية. وفى أيامه ظهرت دعوة العُبيدِيّين بالمغرب ، وتوفى سنـة تسع وثمانين ومائتين ، وولى بعده أبو العباس عبدالله بن إبراهيم أخى محمد أبى الغرانيق وكـان حسن السيرة بصيرا بالحروب ، ونزل تونس مكان أبيه ، وغلب أبو عبد الله [1] الشيعىُّ داعيةُ العبيديين على كُتامة وجرى بينهما حروب ، وبقى إلى ما بعد خلافة المعتمد .

وكان على الغرب الأقصى علىّ بن عمر بن إدريس ، فبقى إلى ما بعـد (١٧١) خلافتـه .

وكان على الأندلس قبله محمد بن عبد الرحمن بن الحَكَم [2] المقدّم ذكره ، فتوفى سَلْخَ صفر سنة اثنتين وستين ومائتين ، وقام بالأمر بعده ابنـه المُنذر بن محمد ، فبقى إلى ما بعد خلافة المعتمد أيضا .

---

(١) في الأصل أبو محمد .

(٢) كتب في الأصل : عبد الحكم .

السادس عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المعتضد بالله

وهو أبو العباس أحمد بن الموفّق طلحة بن المتوكل جعفر .

وأُمه أُم ولد اسمها ضرار ، ويقال : إن اسمها خُفير [1] وكان نحيفا ربعة خفيف العارضين يَخْضب بالسواد ، سريع النهضة عند الحادثة ، ينفرد بالأُمور بتجربة وحُنْكَة ، وكان شهما مَهيبا عند أصحابه ، يتقون سطوته ، ويكُفُّون عن المظالم خوفاً منه ، مع عفَّة ذَيْل .

قال ابن إسحاق القاضى [2] : دخلت على المعتضد وعلى رأسه أَحداثٌ رومٌ صِباحُ الوجوه ، فأَطلت النظر إليهم ، فلما قمت أَمرنى بالجلوس ، فجلست ، فلما تفرق الناس قال : يا قاضى ، واللهِ ما حللت سراويلى على حرام قط .

---

(١) ذكر في ابن الأثير جـ ٧ ص١٨٣ أن اسمها ضرار وفي تاريخ الخلفاء ص ١٤٨ اسمها صواب وقيل حرز وقيل ضرار .

(٢) في ابن الأثير جـ ٧ ص ١٨٣ حكى القاضى إسماعيل بن إسحاق قال ...

بويع له بالخلافة لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين بعد وفاة المعتمد ، وكان نقش خاتمه : الاضطرار يزيل الاختيار . وبقى حتى توفى ببغداد ليلة الاثنين لسبع ، وقيل : لثمان ، بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، وعمره ست وأربعون سنة ، وصلى عليه أبو عمر [1] القاضي . ودفن ليلا فى دار محمد بن طاهر ، ويقال : إن وزيره إسماعيل بن طاهر[2] سمّه . ومدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وأربعة أيام ، وقيل : وثلاثة عشر يوماً ، ولما حضرته الوفاة أنشد :

ولا تأمننَّ الدهرَ إنى أمنتُه
فلم يُبْقِ لى مالاً ولم يرعَ لى حَقَّا
قتلتُ صناديدَ الرجالِ ولم أَدَعْ
عَدُوًّا ولم أُمهل على طَغْيِهِ خَلْقَا [3]

---

(١) الذى في النجوم الزاهرة ـ ٣ ص ٢٨٩ صلى عليه يوسف بن يعقوب القاضى والذى في ابن الأثير ـ ٧ ص ١٨٣ أن الذى صلى عليه الوزير « القاسم بن عبيدالله » وفي الطبرى حوادث ٢٨٩ أن الوزير حضر الصلاة .

(٢) كذا في الأصل . والذى كان وزيره هو القاسم بن عبيد الله انظر ابن الأثير ٧ ـ ١٨٣ وقبله كان عبيدالله بن سليمان انظر ابن الأثير٧ ـ ١٦٣ والطبرى حوادث ٢٨٩ ومروج الذهب .

(٣) في الأصل : على خلقه خلقا . والتصويب من ابن الأثير ٧ ـ ١٨٣ .

وأَخليتُ دارَ المُلْك من كلّ نـــازع
فشرَّدْتُهم غَرْباً وفرَّقتهم شَرْقَــــا

(٧١ ب) فلَمَّا بلغتُ النجم عِزًّا ورفعة
وصارت رقابُ الخلق أَجمعَ لى رِقَّا

رمانى الرّدَى سهماً فأَخمــد جمرتى
فها أَناذا فى حُفرتى مَيِّتًــا أُلقى [1]

وكان له من الأَولاد المـكتفى والمقتدر والقـــاهر ، كل منهم ولى الخلافة ، وهارون وإحدى عشرة بنتــا .

الحــوادث والماجريات فى خلافتـــه

كان من أَحسن الناس سيــرة ، ولمــا بويــع أَمر بافتتاح الخراج فى شهر حَزيران من شهور السريــان ، عنــد كون الشمس فى أَواخر الجَوْزاء ، رِفقا بالنـــاس حتى لا يؤخذ منهــم الخراج قبــل حصول غــلالهم ، وسمــاه النيروز

(١) في ابن الأثير : « عاجلا ألقى » وذكر بعده بيتين هما :

ولم يغن عنى ما جمعت ولم أجد لذى الملك والأحياء في حسنها رفقا
فيا ليت شعرى بعد موتى ما ألقى إلى نعم الرحمن أم ناره ألقى

المعتضدى ، وكان ذلك من حسن سيرته ومحاسن تدبيره وسياسته .

وفى سنة سبع وسبعين [1] ومائتين غار نيل مصر ووقع الغلاء حتى بلغ الكرُّ[2] بها خَمْسَ مائة دينار ، كما ذكر صاحبُ «تاريخ النيل»

وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين أمر بِرَدِّ الفاضل من سهام المواريث بعد أرباب الفروض على ذوى الأرحام ، وأبطل ديوان المواريث الحَشريَّة [3] وأن يكتب بذلك إلى سائر الأقطار .

وفى سنة إحدى وثمانين ومائتين [4] خطب إلى خمارويه بن أحمد بن طولون ابنته قطر الندا ، وجُهِّز إليه مهرها ألف ألف درهم ، وهدايا كثيرة ووشاح وبدلة جوهر ، فأجابه خمارويه إلى ذلك ، وهادى بالهدايا الجمة ، وجهزها بجهاز لم يسمع بمثله ، يقال إنه كان فيه ألف

(١) في النجوم الزاهرة أن ذلك كان في سنة ٢٧٨ .
(٢) الكر : مكيال . مختلف في معياره .
(٣) المواريث الحشرية : هى من يموت أصحابها ولا وارث لهم ، انظر مفاتيح العلوم .
(٤) خطبها في سنة ٢٧٩ ودخل بها في سنة ٢٨٢ انظر النجوم الزاهرة ، ٦٣ ، ٨٠ ، ٨٧ .

هاون من ذهب ، وخرجت عمتها العباسة بنت أحمد بن طولون لتشييعها ، فنزلت مكان القرية المعروفة اليوم بالعباسِيّة من بلاد الشرقية من الديار المصرية ، فعُرِفت بها .

وفى سنة أربع وثمانين ومائتين أخبر المنجمون أنه يغرق أكثر الأقاليم بسبب كثرة الأمطار وزيادة الأنهار ، فتحفَّظ الناس واحترزوا عن ذلك ، فقلَّت الأمطار وغارت المياه حتى استسقوا ببغداد مرات ﴿ عَالِم الغيْبِ فلا يُظْهِرُ عَلى غيْبِهِ أَحَدًا. إلاَّ منِ ارْتضى مِنْ رَسُولٍ [1] ﴾

(١٧٢ ا) وفيها فى ربيع الآخر ظهرت ظلمة شديدة وريح وحُمرة ، وخاف الناس من ذلك ثم كشفه الله

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر والشام فى أيامه خمارويه بن أحمد بن طولون ، ثم قُتل بدمشق فى سنة ثلاث وثمانين [2] ومائتين ووليها بعده ابنه جيش بن خمارويه ، وقتله جنده

---

(١) سورة الجن الآية ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) في صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٢٩ أن خمارويه قتل سنة ٢٨٢ وأن جيش بن خمارويه قتل سنة ٢٨٣

فى السنة المذكورة ، ثم وليها هارون بن خمارويه بمبايعة الجند فى آخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، فبقى بها إلى ما بعد خلافته ، وكان طغج بن جفّ نائبا عن خمارويه وابنه هارون بالشام ، وكان نائبهما على حلب حمدان [1] ونائبهم على العواصم محمد بن عيسى ، وفى أيام هارون تغلبت القرامطة على دمشق وبقيت بأيديهم إلى أن انتزعها منهم المكتفى بالله الآتى ذكره ، ولم أقف على عماله بمكة والمدينة [2]

وكان اليمن بيد بنى زياد .

وكان ما وراء النهر بيد إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان ، ثم ملك مع ما وراء النهر خراسان فى سنة سبع وثمانين ومائتين ، واقتلعها من عمرو بن الليث الصفار بعد أن أسره ، ثم أرسل به بعد ذلك إلى المعتضد فحبسه فى بغداد ، وبقى محبوساً بها حتى قُتل فى سنة تسع وثمانين ومائتين .

---

(١) لم يرد اسم حمدان في صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٦٨ ولا معجم الأنساب ص ٤٩ .

(٢) كان على مكة من سنة ٢٧١ يوسف بن ابى الساج ومن سنة ٢٨١ إلى سنة ٢٩٥ عج بن حاج المظفر ، انظر معجم الأنساب والأسرات ص ٣٠ .

وكان على إفريقية أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن أبي الغرانيق من بنى الأغلب ، فبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

وكان على الأندلس المنذر بن محمد الأموى فبقى إلى ما بعد خلافته أيضا .

السابع عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المكتفى بالله

وهو أبو محمد على بن المعتضد بالله المتقدم ذكره (١) .

وأمه أم ولد تركية اسمها خاضع وقيل جحك (٢) وتلقب جحيفة ، وكان مولده سنة (٧٢ ب) أربع وستين ومائتين ، وكان جميلا رقيق السُّمْرة أعين حسن الوجه والشعر وافر اللحية . بويع بالخلافة ببغداد وهو غائب بالرّقّة لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع

(١) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتى : وفي أيامه أرسل محمد بن الواثقى الكاتب إلى مصر فاستولى عليها وانتزعها من بنى طولون وخرب منازلهم وأزال ملكهم عنها . وفي أيامه عظم شوكتهم ثانيا لأجل تدبيره . هذا وانظر ما سيأتى في الحوادث والماجريات عند ذكر محمد بن سليمان فانه هو الواثقى .

(٢) في تاريخ الخلفاء ص ٢٥١ تركية اسمها جيجك .

وثمانين ومائتين ، ولما وصله الخبر أخذ البيعة لنفسه على من عنده ، وسار إلى بغداد فدخلها لثمان خلون من جمادى الأُولى من السنة المذكورة ، وكان نقش خاتمه . باللهِ علىٌّ بن أحمد يَثِقُ . وبقى حتى توفى لثنتى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين بعد أن طال مرضه شهورا ، وعمره يومئذ إحدى وثلاثون سنة وأشهر . ودفن فى دار محمد بن طاهر ببغداد . ومدة خلافته ست سنين وستة أشهر وعشرون يوما ، وكان له من الأولاد المستكفى بالله الآتى ذكره [1].

الحوادث والماجريات فى خلافته

كان كثير العسكر وافر الأموال ، قد وطَّأَ له أبوه المعتضد الأُمور ، وسار بسيرة أبيه . وفى أيامه اشتدت شوكة القرامطة وحصروا طغج أميرَ دمشق عن بنى طولون ، ثم اجتمعت عليهم العساكر فقتل مُقدَّمهم يحيى المعروف بالشيخ ، وقام أخوه الحسين مقامه ، وتسمى أحمد ، وأظهر شَامَةً فى وجهه ، وزعم أنها آيته ، وكثر

(١) ذكر له في جمهرة أنساب العرب أيضا ص ٢٦ محمد أبو أحمد والعباس والفضر وجعفر وعبد الصمد وعبدالملك وموسى وعيسى .

جمعــه ، فصالحــه طغج على مال دفعــه إليــه ، وسار إلى حمص فحصرها حتى خُطِب له على منبرها ، وتلقَّب المهــدىَّ أَمير المؤمنين ، وعهد إلى ابن عمــه عبد الله ، ولقَّبه المُدَّثِّر ، وزعم أَنه المدثر المذكور فى القرآن ، ثم سار إلى حماة والمَعَرَّة وسلميَّة ، فقتل حتى النساء والصبيان فخرج إليــه المــكتفى بنفسه ، وسار من بغداد حــتى نزل الرقــة ، وجهــز إليــه العســاكر ، فهرب ومعــه ابن عمه المدثر ، فوقــع القبض عليهما بالبَرِّيَّة ، وأُحضرا إلى المــكتفى ، فسار بهما إلى بغداد فقتلهما وطِيفَ برأْس صاحب الشــامة (١٧٣) وتفاقم أَمر القرامطة فى كل جهة ، ونهبوا طَبَرِيَّة ، وساروا إلى جهة الــكوفة ، وقطعوا الطريق على الحجاج من طريق العراق ، وفتــكوا بهم عن آخرهم ، وأَخذوا منهم أَموالا جمــة ، وبلغ عدة القتلى من الحُجَّاج فيما يقال عشرين أَلفا . ثم جهز المــكتفى جيشا مع محمد ابن سليمان الــكاتب فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فسار حتى استولى على دمشق ، وتوجــه إلى مصر وبها يومئذ هارون بن خمارويه بن أَحمد بن طولون ، فوقع الحرب بينــه وبين محمد بن سليمان ، فقُتل هارون فى المعركة ، وقــام عمه شيبان بن أَحمــد بن طولون مقامه ، ثم طلب

الأمان فأمنه محمد بن سليمان ، ثم هرب شيبان ليلا فلم يوجد ، واستولى محمد بن سليمان على مصر ، وأمسك بنى طولون ، وخرب منازلهم حتى لم يبق منها إلا الجامع .

ومن غريب ما وقع ما حكاه محيي الدين بن عبد الظاهر فى «خطط القاهرة» أن أحمد بن طولون رأى فى منامه كأن الله تعالى تجلى على تلك الجهة خلا الجامع ، فقص ذلك على عابر ماهر ، فقال له : إن جميع هذه الأماكن تخرب خلا الجامع ، فإن الله تعالى يقول ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [1] وكان الأمر كما عبَّر ، واستقر محمد بن سليمان بعد ذلك متأمِّراً على مصر ، كما سيأتى ذكره فى الكلام على ولاة الأمصار .

وفى سنة تسعين ومائتين انتهت زيادة النيل إلى يوم النيروز ثلاثة عشر ذراعا ، ثم توقف فلم يزد إلى العاشر من توت ، واستسقى الناس فى هذا اليوم وعاودوا الاستسقاء مرات ، فزاد بعد ذلك أربع أصابع ونصفا .

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٣

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر قبله هارون بن خمارويه بن أَحمد بن طولون .

ودمشق (٧٣ ب) بيد القرامطة من حين اقتلعوها من نواب هارون إلى أَن قُتل فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

فوليها [١] عن المكتفى شيبان بن أَحمد بن طولون فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، ثم بعث المكتفى محمد بن سليمان الواثقىَّ الكاتب ، فاستولى على مصر وانتزعها من بنى طولون وخرب منازلهم وأَزال ملكهم عنها ، وكتب المكتفى كتابا بالفتح إلى سائر الأَقطار ، قد ذكرته بِرُمَّته على طوله فى كتابى « صبح الأَعشى فى كتابة الإِنشا » وبقيتْ بيد محمد بن سليمان الكاتب إلى أَن ولّى عليها المكتفى عيسى بن محمد النوشرى فى سنة خمس وتسعين ومائتين ، ثم تغلب عليها محمد بن على [٢] ثم عاد إليها النوشرى ، وكان قد تغلب على دمشق القرامطةُ على ما تقدم ذكره ، فانتزعها منهم فى سنة إحدى

(١) فوليها أى مصر ، كما في صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٢٩

(٢) في معجم الأنساب والأسرات ص٤٢ أبو عبد الله بن محمد بن على الخلنجى .

وتسعين ومائتين ، وأقام عليها وعلى حلب أحمد بن كِيْغَلْغ [1] أميرا ، فبقى فيهما إلى ما بعد خلافة المكتفى .

وولّى على ديار ربيعة وديار مضر[2] من بلاد الجزيرة أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان . ولم أقف على عماله بمكة والمدينة [3] .

وكانت اليمن بيد بنى زياد .

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد إسماعيل بن أحمد ابن أسد بن سامان ، إلى أن مات وملكها بعده ابنه أبو نصر أحمد بن إسماعيل ، وأرسل المكتفى إليه التقليد .

وكان على إفريقية قبله أبو العباس عبد الله بن إبراهيم ابن أبي الغرانيق ، فتوفى فى شعبان سنة تسعين ومائتين وولى ابنه زيادة الله ، فأقبل على اللذات واللهو ، وقتل إخوته وعمومته ، وقوى أمر أبي عبد الله الشيعى داعى

---

(١) في صبح الأعشى : أحمد بن كيغلغ وسيأتي أنه أحمد بن كيغلغ وقد كان في الأصل محمد بن كيغلغ .

(٢) كذا ولعلها بكر .

(٣) في معجم الأنساب ص ٣٠ كان عج بن حاج المظفر من سنة ٢٨١ إلى سنة ٢٩٥

عبيـد الله [1] المهـدى بالمغرب . فهرب زيادةُ الله إلى مصر ، وترك إفريقية ، وبخروجه عنها انقرضت دولة بنى الأَغلب من إفريقية ، وكان على الغرب الأَقصى علىّ بن عمر بن إدريس ، فقُتل سنـة ست وتسعين ومائتين ، وقام بالأَمر بعده يحي بن إدريس بن عمر بن(٧٤ ا) إدريس الأَصغر ، وملك جميـع المغرب ، وخُطِب له على منابره ، فبقى إلى ما بعد خلافة المـكتفى .

وكان على الأَندلس المنذر بن محمد الاموى . فتوفى لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنـة خمس وتسعين ومائتين . وبويـع أَخوه عبد الله يوم موتـه . فبقى إلى ما بعـد خلافة المـكتفى .

الثامن عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المقتدر بالله

هو أَبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله المقدم ذكره .

وأُمه أُم ولد اسمها شغـب [2] . كان ربـع القـامة

(١) في الأصل : عبد الله .

(١) في الأصل : شحب وفي تاريخ الخلفاء ص ١٥٢ اسمها غريب وقيل شغب .

دُرِّيَّ اللون ، أحور أَصهب [1] ، وكان ثقيل الجثة [2] بويع له بالخلافة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ، وسنه يومئذ ثلاث عشرة سنة ، وقيل ثلاث عشرة سنة وشهران إلاّ أياماً ، وكان نقش خاتمه : الحمد لله الذى ليس كمثله شىء وهو خالق كل شىء . وبقى حتى توفى قتيلا يوم الأَربعاء لثلاث بقين من شوال سنة عشرين وثلاثمائة ، وسنه ثمان وثلاثون سنة ، وكان سبب قتله أَن مؤنسا الخادم خرج إلى الموصل وديار ربيعة مغاضبا له ، ثم عاد يريد بغداد ، فحسَّنَ بعضُ الناس للمقتدر الخروجَ لقتاله ، فخرج إلى باب الشماسية ، والتحم العسكر ، فقتله رجل من البربر وقلع ثيابه ، فمر به رجل فسترَ سوأَته بحشيش ، ثم حفر له ودُفن وخَفِى أَثرُه . ومدة خلافته أَربع وعشرون سنة وأَحد عشر شهرا وأَربعة عشر يوماً . وكان له من الأَولاد الراضى محمد [3] والمتقى [أَبو] إسحاق [إبراهيم] والمطيع

---

(١) الأصهب من الشعر ما كان فيه حمرة أو شقرة . والأصهب الذى يخالط بياضه حمرة .

(٢) في هامش الأصل ما يأتى : « وكان له هيبة عظيمة ، رتب العسكر في خلافته مائة وس[...] الفا ما بين راكب وراجل وكان يقف بين يديه سبعمائة حاجب وسبعة آلاف خ[...] منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود كذا ذكره المؤرخون .

(٣) في صبح الأعشى حـ ٣ ص ٢٦١ الراضى أحمد وكذلك هو في معجم الأنساب والأسر ص٣ أما في جمهرة أنساب العرب ص ٢٦ الراضى محمد وسيأتى في الأصل في خلافته أنه محمد .

الفضل ، ولى كل منهم الخلافة ، وعبد الواحد وعباس وهارون وعليّ وإسماعيل وعيسى وموسى [وإسحاق] وأبو العباس [(١)] .

(٧٤ ب) الحوادث والماجريات فى زمانه

لما بويع بالخلافة كان صغيرا فى سن الثلاث عشرة سنة ، على ما تقدم ، فاستقلّ الوزراء والكتاب بتدبير الأُمور ، وغلب على أمره النساء والخُدَّام ، حتى أن جارية لأُمّه تعرف بشمل [(٢)] القهرمانية كانت تجلس للمظالم ، ويحضرها القضاة والفقهاء ، فاختلّ الأَمر بسبب ذلك ، ويقال إنه استوزر فى مدة خلافته تسعة عشر وزيرا ، واجتمع القواد والقضاة على خلعه ، فخلعوه لعشر بقين من شهر ربيع الأَول سنة ست وتسعين ومائتين .

وبويع عبد الله بن المعتز ، ولُقِّب الراضى بالله وقد تقدم نسب أَبيه المعتز ، وأُمه أُم ولد اسمها خائن [(٣)] وكان فاضلا شاعرا إماما فى البلاغة ، تشبيهاته لا تلحق ،

---

(١) أبو العباس هى كنية محمد الراضى وفي جمهرة أنساب العرب ص ٢٦ [...] اسم القاسم من ابنائه .

(٢) في الوزراء للصابى ص ٤٨ ، ١٧٢ ثمل .

(٣) في هامش النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٦٤ اسمها حابز نقلا عن عقد الجمان . أما في أصل النجوم فهو كالأصل .

أخذ العلم عن المبرّد ، وصار فى الأدب والشعر أُمَّة يُضرب به المثل ، ولما ولى قال : قد آن للحق أن يتّضح وللباطل أن يفتضح . ثم لم يلبث فى الخلافة غير يوم واحد وليلة حتى اضطرب أمره وتفرق أصحابه ، فأُمسك وحبس ليلتين ، ثم قتل خنقا ، وأُظهر أنه مات حَتْف أنفه ؛ وسنه يومئذ خمسون سنة ، ودفن فى خَرِبة بإزاء داره . ورثاه علىٌّ بن محمد بن بسام بقوله :

لله دَرُّك من مَلْكٍ بِمَضْيَعة
ناهيك فى العلم والآداب والحَسَبِ

ما فيه لولا ولا ليتٌ فتنقصه[1]
وإنما أدركته حرفةُ الأدبِ

ومن حيث قِصرَ مدّته لم يورده المؤرخون فى عداد الخلفاء ، بل جُعل كالجُملة المعترضة ، ولما عاد المقتدر بقى الأمر على ما كان عليه من تصرّف النساء والخُدام ، ورجوعه إلى قولهم ، ووقوفه عند رأيهم ، وفى خلال ذلك

(١) فى ابن خلكان ترجمة عبد الله بن المعتز :

لله درك من ميت بمضيعة . . . .
ما فيه لو ولا لولا فتنقصه . . . .

قبض المقتدر على ابن الجصّاص الجوهرى ، وأُخذ منه من أَصناف الأَموال ما قيمته أَربعة آلاف [أَلف] دينار فأَكثر .

وفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وثب أَبو طاهر القرمطى فى جمعه على البصرة فقتل منها خلقا كثيرا ، ونهب أَموالا جمة ، ثم صار إلى الكوفة ففعل فيها كذلك ، ونهب (١٧٥) غالب البلاد الفراتية ، وقطع الطريق على الحُجاج ، وأَخذ أَموالهم ، ومات الكثير منهم جوعاً وعطشاً ، وعاد إلى هجر قاعدة البحرين ، وانقطع الحجّ من العراق بسبب ذلك .

قال فى «تاريخ النيل » : وفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ظهر فى السماء بمصر كوكب عظيم له شعاع عظيم ، يتبعه شهاب هائل بالجو شديد الحمرة ، أَخذ من جهة الشمال إلى جهة المشرق ، تقدير طوله ثلاثون رمحاً ، وعرضه قريب من رمحين ، فمه مفتوح كالحيّة ، أَقام ثلاث ساعات ثم انطفأَ .

وفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة دخل أَبو طاهر

القرمطى مكّة يوم التَّرْوِية ، وخطب لعُبيد الله المهدى صاحب إفريقية ، وقتل الحاجَّ قتلا ذريعا ، ورمى القتلى فى زمزم ، وأخذ الحجر الأَسود وعرَّى الكعبة ، وقلع بابها ، وذهب بالحجر الأَسود إلى البحرين ، وبقى عنده اثنتين وعشرين سنة إلاّ شهرا حتى رده ، على ما سيأْتى ذكره ، بعد أَن بذل له بَجْكم [1] التركى أَحد أُمراء المقتدر خمسين أَلف دينار ، فما فعل ، وقال : أَخذناه بأَمر وما نرده إلاّ بأَمر ، وتعطل الحجُّ بعد ذلك من العراق إلى سنة عشرين وثلاثمائة ، والمقتدر مُتَمَادٍ على ما هو عليه من تَحكيم النساء والخدام والرجوع إلى قولهم ورأْيهم ، فاجتمعت العساكر إلى مُؤنس الخادم وأَلزموا المقتدر أَن يشهد على نفسه بالخلع ، ففعل ، وبايعوا أَخاه محمد ابن المعتضد ، ولقبوه القاهر بالله ، ونُهبت دار الخلافة ، واستُخرج من قبرٍ فى تُربة أُمّ المقتدر ستمائة أَلف دينار ، ثم أُعيد الأَمر إلى المقتدر بعد يومين ، وحُبس القاهر عند والدة المقتدر فأَحسنت إليه .

---

(١) في الأصل : يحكم انظر ترجمته في المنتظم حـ ٦ ص ٣٢٠

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر قبله عيسى بن محمد النوشرى ، فوليها عن المقتدر أبو منصور تِكين ، فى سنة سبع وتسعين ومائتين ، ثم عزله وولّى عليها أبا الحسن [1] فى سنة ثلاث وثلاثمائة ، ثم أعاد إليها تِكين ثانيا سنة سبع وثلاثمائة ، ثم عزله وَوَلّى عليها هلالَ بن يزيد سنة سبع وثلاثمائة ، وولّى عليها أحمد بن كِيغَلْغ فى سنة (٧٥ ب) إحدى عشرة وثلاثمائة ، وولى عليها أبو منصور تِكين ثالث مرة فى السنة المذكورة [2] ، وكان على دمشق وحلب أحمد بن كِيغَلْغ وبقى فيهما إلى آخر أيام المقتدر .

وكان على مكة محمد بن سليمان الزّيدى من عقب سليمان ابن داود بن الحسن المثنى بن السبط ، قال البيهقى : خلع طاعة العباسيين وخطب لنفسه بالإمارة فى سنة إحدى وثلاثمائة .

وكانت اليمن بيد بنى زياد .

---

(١) ابو الحسن ذكا الأعور الرومى . معجم الأنساب ص ٤٢

(٢) ذكرقبله في معجم الأنساب والأسرات ص ٤٢ « أبو قابوس محمود بن حمك أو حمل مكث ثلاثة أيام » .

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد أحمد بن إسماعيل من بنى سامان ، فقُتل فى سنة إحدى وثلاثمائة ، وولى بعده ابنه أبو الحسن نصر بن أحمد ، فبقى إلى ما بعد أيام المقتدر .

وكانت إفريقية قد استولى عليها دعاة عبيد الله المهدى ، فقوى أمرهم وبويع لعبيد الله المذكور بها فى ربيع سنة سبع وتسعين ومائتين ، وبعث العمال إلى نواحيها ، وبنى مدينة المهديّة[1] بإفريقية شرق تونس ، وجعلها دار ملكه .

التاسع عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

القاهر بالله

وهو أبو منصور محمد بن المعتضد بالله المقدم ذكره ، وأمه أم ولد اسمها قتول وقيل : فتنة ، كان أبيض يعلوه حمرة ، مربوعاً ، أعين ، وافر اللّحية ، ألثغ ، شديد الإقدام على سفك الدماء أهوج ، محبًّا لجمع المال قبيح السياسة ، بويع له بالخلافة يوم الخميس لليلتين

---

(١) فى الأصل : المهدى .

بقيتا من شوال سنة عشرين وثلاثمائة ، وكان مؤنس الخادم قد أشار بمبايعة أبي العباس بن المقتدر ، فاعترضه إسحاق النوبختي بأن ابن المقتدر صبي [1] لا يصلح لتدبير الأمور .

وكان نقش خاتمه : محمد رسول الله . وبقي حتى خلع من الخلافة لست خلون من جمادى الأولى سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة ، ولما دخل عليه القضاة والشهود ليشهدوا عليه بالخلع قال لهم : لي في أعناقكم بيعه ولست أحلكم منها ، فتركوه وانصرفوا ، فبقي إلى الليل فسُمِل في عينيه بحديدة مُحماة ، فكان أول خليفة سُمِل ، فكانت مدة خلافته إلى أن سمل سنة واحدة وستة أشهر وثمانية أيام ، ولم يزل باقيا في دار الخلافة مسمولا حتى أخرجه المستكفي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، ورده إلى داره ، فأقام مدة ، ثم خرج إلى (١٠٧٦) جامع المنصور في يوم جمعة ، فقام فعرَّف الناس بنفسه ، وسألهم أن يتصدقوا عليه ، فقام إليه ابن أبي موس الهاشمي فأعطاه ألف درهم ، وردَّه إلى داره ،

(١) في الأصل : صبيا .

وبقى حتى توفى فى خلافة المطيع ، ليلة الجمعة لثلاث خلون من جُمادى الأُولى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وعُمره اثنتان وخمسون سنة ، ودُفن فى دار ابن طاهر . وكان له من الأَولاد أَبو الفضل وعبد الصمد وأَبو القاسم وعبد العزيز وهو ولى عهده .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة صادر جماعة من أُمهات أَولاد المقتدر وأَولاده ، وضرب أُمَّ المقتدر وعلّقها برجل واحدة يُقَرِّرُها على المال ، وكانت مريضة بالاستسقاء ، فماتت بعد عشرين يوما ، ثم قتل النوبختىَّ الذى أَشار بولايته ، وقتل مؤْنسا ، ولما قتلهم لقّب نفسه القاهر بالله المنتقم من أَعداء الله لدين الله ، وضرب ذلك على الدنانيروالدراهم.

ولما ولى الخلافة سيّر ركْبَ الحَجيج من العراق إلى مكة بعد أَن كان تعطّل الحجُّ فى سنة عشرين وثلاثمائة ، فحج بالناس أَميره فى تلك السنة ، ثم انقطع الحج من العراق إلى أَن صُولحت القرامطة على مال يُؤديه الحجيج إليهم ، فى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة فى أَيام الراضى .

وفى أيامه ابتدأ ظهور بنى بُويْه ملوكِ الدَّيلم ، وهم عماد الدولة أبو الحسن على ، ورُكْن الدولة أبو على ، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد ، أولاد بُويه بن فنّاخسرو ، من عقب بهرام جُور بن يزدجرد أحد ملوك الفرس ، وكان رأْسهم عماد الدولة ، وهو أكبرهم ، فاستولى على أصفهان ، ثم استولى على أرَّجان ، ثم على كاذرون وغيرها من أعمال فارس ، وعظم أمره وقويت شوكته .

وفى أيامه فى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة توفى ابنُ دُرَيد صاحب « المقصورة » .

(٧٦ ب) ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر قبله أبو المنصور تِكين ، فعزله وولى عليها أبا القاسم محمد بن طُغج المعروف بالإخشيد فى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، فبقى إلى ما بعد خلافة القاهر ، وقيل فيه غير ذلك .

وكان على دمشق أحمد بن كِيَغَلْغ مع مصر [1] ، فبقى إلى ما بعد خلافة القاهر .

---

(١) كذا وانظر ص ٢٨٠ و ٢٨٥

وكان على حلب أحمد بن كيغلغ نيابة عن الإخشيد .

وكان على مكة محمد بن سليمان السُّليمانى .

وكان اليمنُ بيد بنى زياد .

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد أبى الحسن نصر بن أحمد بن إسماعيل السامانى ، فبقى إلى ما بعد خلافة القاهر .

وكان المستولى على إفريقية وسائر بلاد المغرب عبيد الله المهدى جدّ الخلفاء الفاطميين ونائبه بالغرب الأقصى ، فبقى إلى ما بعد خلافة القاهر .

وكان على الأندلس الناصر عبد الرحمن الأموى ابن محمد المقتول ، فبقى إلى ما بعد خلافة القاهر ، زمنا طويلا .

العشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

الراضى بالله

وهو أبو العباس محمد بن المقتدر بالله المقدم ذكره ، وأمه أم ولد اسمها ظَلوم ، ولد سنة تسع وتسعين ومائتين ،

وكان أسمر اللون أعنق ، مسنون الوجه [1] ، خفيف العارضين ، وكان أديباً حسن الشعر محبًا للأدباء والفضلاء ، سخيًا يبذل المال ، وهو آخر خليفة له شعر يُدَوّن ، ومن شعره :

يَصْفَرُّ وجهي إذا تَأَمَّلَهُ طرفي وَيحمَرُّ وجهُه خَجَلاَ
حتى كأَنَّ الذي بِوَجْنَتِه مِن دَمِ قلبي إليه قد نُقِلاَ

بويع له بالخلافة يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأُولى (٧٧ ا) سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وكان محبوساً ، ، فأُخرج وأُجلس على سرير القاهر ، وسلّموا عليه بالخلافة ، وأُقيم القاهر بين يديه بعد أن سُمِلت عيناه ، وسُلِّم عليه بالخلافة ، وبقي حتى توفى بالاستسقاء ليلة السبت لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأَول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة وأشهر ، ومدة خلافته ست سنين وعشرة أشهر. وكان له من الأولاد أبو جعفر أحمد وأبو الفضل عبد الله .

---

(١) الأعنق : الطويل العنق . والمسنون الوجه : الحسنة المملسه أو الذى في وجهه وأنفه طول أو المخروطه .

الحوادث والمساجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة استوزر أبا علىٍّ بن مقلة إمام الكتابة فى صنعة الخَطّ ، فكان من أمره أنه ضرب محمدَ بن شَنبوذ المُقرِئ (١) بالدِّرَّة ، لقراءات أُنكرت عليه ، فدعا عليه بقطع اليد وتشتيت الشمل ، ثم قَبض الراضى عَلَى ابنِ مقلة فى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، واستوزر عبد الرحمن بن عيسى ، ثم قبض عليه واستوزر أبا جعفر الكَرْخيّ ، وكان ابن رائق على واسط والبصرة ، فقطع الحَمْلَ (٢) ، وقطع البَرِيدى (٣) حمل الأَهواز وأَعمالِها ، فضاقت الأُمور على الوزير أبى جعفر ، فصرفه الراضى واستوزر سليمان بن الحسن ، والأَمر عَلَى مُضايقةٍ عَلَى الوزير ، فبعث الراضى إلى ابن رائق يستقدمه من واسط ليقوم بالأُمور ، فقدم ، فقلّده إمارة الجيش ، وأمر أن يُخطب له على المنابر مع الخليفة ، وهو أول من أُشرك مع الخليفة فى الخُطبة ، وبَطَل نَظَرُ الوزير من يومئذ ، ولم يبق من

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ انظر ابن خلكان ترجمته وقصة مناظرته وضربه .

(٢) الحمل يراد به هنا ما يرسل من الأموال ويحمل .

(٣) انظر ابن الأثير حوادث سنة ٣١٦ ابتداء حال البريدى وضبط اسمه والاختلاف فيه .

الوزارة إلاَّ اسمُها بعد أَن كانت أُمورُ الدولة قبضاً وصرفا وتوليــةً وعزلا راجعةً إلى الوزير ، وتغلَّب عمَّال الأَطراف عليهــا ، ولم يبق للخليفة غير بغداد وأَعمالِها ، والحــكم فيها لابن رائق دونه ، والأَطراف . (٧٧ ب) كالنِّهــاب بأَيدى أَقوام متفرقة ، واستقدم ابنُ رائق أَبا الفضل بنَ الفرات ، وكان على خراج مصر والشــام ، فاستوزره له وللخليفــة ، ثم استولى مُعزّ الدولة بن بُويه على الأَهواز بأَمر أَخيه عماد الدولة ، وكان بَجْــكم التركى بخدمة ابنِ رائق ، فسعى ابنُ مقلة عند الراضى فى القبض على ابن رائق وإقامة بجــكم مقامه ، ففطن ابنُ رائق ، فقام عليه عند الراضى حتى قطع يده فى نصف شوال سنــة ســت وعشرين وثلاثمائة ، وأُجيبت دعوةُ ابنِ شَنْبُوذ المقرئ فيه . وكان يشد القلم على يده المقطوعة ويــكتب ، ثم بــلغ ابنَ رائق أَنه يسعى فى الوزارة بعد ذلك ، وأَنه يدعــو عليه وعلى الراضى ، فقطع لسانه وضيّق عليه فى الحبس ، ولحقه ذَرَبٌ [1] ولم يــكن عنده من يخدمه ، فــكان يستقى المــاءَ من البئر بيده السليمة ويضبط الحبل بِفيه ، ولم

---

(١) الذرب : فساد في المعدة والمرض الذى لا يبرأ .

يزل على ذلك حتى مات فى الحبس فى شوال سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، ودفن فى دار الخليفة ، ثم نُبِش وسُلِّم إلى أهله ، فدفنوه فى داره ، ثم نبش ونقل إلى دار أُخرىَ .

ومن العجيب أنه ولى الوزارة لثلاثة خلفاء : المقتدر والقاهر والراضى ، ووزر ثلاث مرات ، وسافر ثلاث سفرات ، اثنتين إلى شيراز ، وواحدة إلى المَوصل ، ودُفن ثلاث مرات على ما تقدم .

وفى سنة ست وعشرين سار بجكم التركى من واسط إلى بغداد لقصد ابن رائق أمير الجيوش بها ، فهرب ابنُ رائق واختفى ، ودخل بجكم إلى بغداد ، فخلع عليه الراضى وعقد له لواء ، وجعله أَمير الأُمراء ، ثم ظهر ابنُ رائق بعد ذلك ، فقلده الراضى بموافقة بجكم حَرَّانَ والرُّهَا . وقِنّسْرِين والعواصِم ، فسار إليها واستولى عليها .

وفى أَيامه ظهر محمد بن علىٍّ الشَّلمغانى ، وادّعى أُمورا مرجعها إلى حلول (١٧٨) الإِلٰهِيَّة والقول بالتناسخ والتشبيع ، وأَن ذلك أَدَّى به إلى دعوى الإِلٰهية ، واتبعه

جماعة ، منهم ابنُ عون وابن عَبْدوس ، وقالوا بإلٰهيته ، فقُبِض عليه وعلى صاحِبَيْه المذكورين . وأُتى بهم إلى الراضى ، فأَمر صاحبيه بصفعه فامتنعا ، فأُكرِها على ذلك ، فصفعه ابنُ عبدوس ، ومدَّ ابن عون يده ليصفعه فارتعدت يده ، فقبَّل لِحيته ورأسه وقال : إلٰهى وسيدى ورازقى . فأَمر الراضى بابن الشلمغانى وابن عون فصُلبا حَيَّيْن وأُحرقا بالنار .

وفى أَيامه فُتحت جِنْوةُ وغيرُها على يد القائم العلوىّ صاحب إفريقية والمغرب الأَقصى .

وفى أَيامه لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة انقضَّت النجومُ فى هذه الليلة من أَول الليل إلى آخره انقضاضا لم يُعْهد مثلُه .

وفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وقع فى مصر وباءٌ عظيم واستمرّ إلى سنة إحدى وثلاثين .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت مصر بيد أَبى القاسم الإخشيد ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراضى .

وكان على دمشق أحمد بن كيغَلْغ نيابة عن الإخشيد صاحب مصر ، فاستولى ابنُ رائق فى سنة ثمان وعشرين عليها وعلى حمص : وطرد نائب الإخشيد ، واستقرّت مصرُ للإخشيد ، والشامُ لابن رائق ، واستخلف ابنُ رائق على الشام أبا الحسين أحمدَ بن علىّ بن مقاتل ، فى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، فبقى إلى ما بعد خلافة المتقى [1] .

وكان على حلب بدرٌ الإخشيدى نيابة عن الإخشيد ، فبقى إلى ما بعد خلافة المتقى [1] .

وكانت البصرة فى يد ابن رائق مضافاً إلى نظره فى بغداد وأعمالها .

وخوزستانُ فى يد البريدى .

وفارس فى يد عماد الدولة بن بويه .

وكَرْمان فى يد (٧٨ ب) أبى على بن إلياس .

والرّىّ وأصفهان والجَبَل وهو عراق العجم فى يد ركن الدولة بن بويه وشمكير بن زياد يتنازعانها .

---

(١) فى الأصل القاهر وهذا غير معقول لأن القاهر كان قبل الراضى وانتهت خلافته فى سنة ٣٢٢ كما تقدم .

والموصل وديار ربيعة وديار بـــكر فى يد بنى حمدان .

وكان اليمن بيد بنى زياد .

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد أبى الحسن نصر بن أحمد السامانى ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراضى .

وكانت طبرستان وجرجان فى يد الدّيلم .

والبحرين واليمامة فى يد أبى طاهر القرمطى .

وكانت إفريقية والغرب الأقصى فى يد عبيد الله المهدى إلى أن توفى فى شهر ربيــع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وولى بعده ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد المقدَّم ذكره ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراضى .

وكان على الأندلس عبد الرحمن الأموى ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراضى .

الحــادى والعشرون من خلفاء بن العبــاس

المتّقى لله (١)

وهو أبو إسحــاق إبراهيم بن المقتدر المقدم ذكره ، وأمه

(١) في الأصل المتقى بالله ، وكانت في الخط« المكتفى» ثم أزيلت الكاف .

أُم ولد اسمها خلوب ، وقيل : زهرة ، وكان أَبيض أَشهل [1] العينين أَشقر الشعر [2] .

بويع له بالخلافة يوم الأَربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الأَول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، باتفاق أَبي عبد الله الكوفى كاتب بجكم وأَبي القاسم سليمان بن الحسن وزير الراضى وغيرهم ، وبجكم إذ ذاك غائب بواسط ، وعرضت عليه أَلقابٌ من أَلقاب الخلفاء ، فاختار منها المتقى لله ، فلقب به ، وكان نقش خاتمه : المتقى لله . وبقى حتى قبض عليه وسُمِلت عَيناه يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، فكانت مدة خلافته ثلاث سنين وخمسة أَشهر وعشرين يوماً ، ثم مات بعد ذلك فى خلافة المُطيع (١٧٩ ا) فى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، وعمره ستون سنة ، وكان له من الأَولاد أَبو منصور ولى عهده .

---

(١) الأشهل العينين : من يشوب سواد عينه زرقة .

(٢) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتي : وفي أيامه ضعف حالهم وعصى بعض العمال في المدن وخطبوا لأنفسهم .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويع بعث إلى بجكم وهو بواسط ، فحضر فبقّاه على إمرة الأُمراء ، وأقر سليمان بن الحسن وزير الراضى على الوزارة ، وليس له من الوزارة سوى اسمها ، والأَمر فى ذلك للكوفى كاتب بجكم ، ففى ذلك قيل :

وزيرٌ رَضِى من بأْسه وانتقامه

بِطَىِّ رقاعٍ حَشْوُها النظْمُ والنَّثْرُ

كما تَسْجَع الوَرْقاءُ وهى حمامةٌ

وليس لها نَهْىٌ يطاع ولا أَمْرُ

وبقى الأَمر على ذلك إلى أَن خرج بجكم لقتال البريدى (١) ، فمرَّ بأَكراد ، فطمعت نفسه فى مالهم ، فقصدهم ففروا من بين يديه ، فتبعهم ، وطعنه صبىٌّ من الأَكراد برمح فى خاصرته طعنة مات منها ، فلما بلغ المتقىَ قتلُه استولى على داره ، وأَخذ منها أَموالا جمّة ، وجد أَكثرها مدفوناً ، وكانت مدة إمارة بجكم سنتين وثمانية

(١) تكتب في الأصل دائما « اليزيدي » وانظر ما تقدم عن البريدى وما ذكرناه عن الاختلاف في ضبط اسمه في ابن الأثير حوادث سنة ٣١٦

أَشهــر وأَياماً . ولمــا قُتل بجــكم قدم البريدى بغدادَ واستولى على الأَمر أياما ، ثم أَخرجــه العامة منها لســوء سيرته ، واستولى على الأَمر بعده كورتــكين مدة قليلة ، وسار ابن رائق بعد استخلافه على دمشق حتى دخــل بغداد ، فغَلَب كورتــكينَ على الأَمر وحبسه ، وقلَّد المتقى ابنَ رائق إمرة الأُمراء وطُوِّق وسُوِّر [1] ، ثم عاد البريدى إلى بغداد فى سنة ثلاثين وثلاثمائة واستولى عليها ونهبها ، وهرب المتقى وابنُ رائق إلى جهــة الموصــل [لناصر الدولةِ] يستمدَّانه ، فأَكرم نُزُلَهُمَا ، ونثر الدنانير عــلى رأْس ابن المتقى ، ولما قاما للانصراف أمر ناصرُ الدولة أَصحابَه بقتل ابن رائق ، فقتلوه ، وذلك لسبع بقين من رجب سنة ثلاثين وثلاثمائة . وسار ناصر الدولة بن حمدان إلى المتقى صحبة ابنــه (٧٩ ب) فخلع المتقى عليــه ، وجعله أَميرَ الأُمراء ، وسار المتقى وناصر الدولة إلى بغداد ، فهرب منهــا البريدى بعد أَن أَقام بها ثلاثة أَشهر وعشرين يوماً ، ودخل المتقى وناصر الدولة إلى بغداد فى جيوش عظيمة ، وأَمر ناصر

(١) طوق وسور : ألبس الطوق والسوار .

الدولة بإصلاح الدنانير فأُصلحت ، وكان كل دينار بعشرة دراهم ، فبيع بثلاثة عشر درهما ، وفى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة سار ناصر الدولة من بغداد إلى الموصل ، فثارت الدَّيلم ونهبت دار ناصر الدولة . وكان توْزون قد خرج من محبسه ، فقصد بغداد ، وسار سيف الدولة بن حمدان أَخو ناصر الدولة من واسط إلى بغداد ، فَدَفع إليه المتقى أَربعمائة أَلف دينار فرَّقها فى العساكر لمنع توزون والأَتراك عن بغداد ، فلما وصل تُوزون بمن معه من الأَتراك إلى بغداد هرب سيف الدولة عنها ، ودخلها توزون فى الخامس والعشرين من رمضان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، فخَلَع المتقى على توزون وجعله أَمير الأُمراء ، ثم خرج المتقى وأَهله من بغداد إلى جهة الموصل خوفا من توزون ، واجتمع بناصر الدولة وسيف الدولة ابنىْ حمدان ، فأَقاموا مدة ، ثم سار المتقى إلى بغداد ، وخرج توزون من بغداد لملاقاته ، فلقيه بالسنديَّة ، فقبَّل له الأَرض ، وقبَّل يده وركابه ، ثم قبض عليه بعد ذلك وسَمَل عينيه ، يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وسار به إلى بغداد وهو أَعمى .

وفى سنــة إحــدى وثلاثين وثلاثمائة أرسل ملك الروم يطلب من المتقى منديلا كان بـكنيسـة الرُّهَا ، تَزعم النصارى أن المسيـح عليـه السلام مسـح به وجهـه فصار صورةُ وجهـه فيـه ، على أن يُطلق فى نظير إرساله عـددا من أَسرى المسلمين ، فاستشار العلماءَ فى ذلك : فاختلف رأْيهـم ، فبعض قال : استنقاذ (١٨٠) الأَسرى أَولى من بقائه ، وبعض قال : فى دفعه غضٌّ من الإِسلام ، وقـد مرَّت عليه دهورٌ ولم يُدفَـع إليهم ، ثم ترجَّـحَ إرساله لإِطلاق الأَسرى ، فبعث به إليـه .

وفى أَيامه وقع غلاء شديد بالعراق حتى بلغ كُرُّ الحِنطة مائتى دينـار وعشرة دنانير ، وخرج الحريم من قصر الرصافة ينادين : الجـوعَ الجوعَ .

وفى خلافتـه فى سنـة إحدى وثلاثين وثلاثمائة نقص النيـل فى زمن الاحتراق حتى لم يوجـد فى المقيـاس ما يقاس ، فَقِيس فى الجزيرة فـكان ذراعين وستة أَصابع .

ولايات الأَمصار فى خلافتـه

كان على مصر قبله أَبو القاسم الإِخشيد ، فبقى إلى ما بعد خلافة المتقى .

وكانت دمشق بيد أبي الحسين أحمد بن [على بن] مقاتل ، فانتزعهــا منه أبو القاسم الإخشيد ، فبقى عليها حتى مات فى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، والتحقيق أن دخول الوهنِ على الخلافة من حين خلافة الراضى وتأمير ابن رائق على الجيوش واشتراكه مع الخليفة فى الدعاء له على المنابر ، فبقى معه إلى ما بعد خلافة المتقى .

وكان اليمن بيد بنى زياد .

وكان ما وراء النهر بيد الخانِيَّة (1) من ملوك الترك .

وخراسان بيـــد أبي الحسن نصر السامانى ، فتوفى فى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، وملك بعده ابنه نوح بن نصر ، فبقى إلى ما بعد خلافة المتقى .

وكانت إفريقية والغرب الأقصى بيـــد القائم بأمر الله ابن عبيد الله الفاطمى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المتقى .

وكان علي الأندلس الناصر عبد الرحمن الأموى فبقى إلى ما بعد خلافة المتقى .

---

(1) نسبة إلى خان . وفي الأصل بدون نقط .

الثانى والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المستكفى بالله

وهو أبو القاسم عبد الله بن المُكتفى بالله المقدم ذكره ، وأُمه (٨٠ ب) أُم ولد اسمها غُصن [١] ، كان أَبيض حسن الوجه قد وخطه الشيب ، بويع له بالخلافة بعد خلع المتقى وإقامته بين يديه وتسليمه عليه بالخلافة ، لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، على ما تقدم ؛ ولقب نفسه آخر السنة المذكورة : إمامَ الحقّ ، وضَربَه على الدنانير والدراهم ، وكان نقش خاتمه : المستكفى بالله يتقى . وبقى إلى حين خلعه فى يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أَربع وثلاثين وثلاثمائة ، فكانت خلافته إلى أَن خُلع سنةً واحدة وأَربعة أَشهر ، وأَقام بعد ذلك فى دار السلطان إلى أَن توفى فى ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، وعمره ست وأَربعون سنة وأَشهر .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة قام بتدبير دولته توزون أَمير الأُمراء

---

(١) فى تاريخ الخلفاء ص ١٥٩ اسمها أملح الناس .

المقدم ذكره ، إلى أن توفى لثمان بقين من المحرم سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وهو مسافر ، فكانت إمارته سنتين وأربعة أشهر وأياما ، واجتمع الجيش بعده على محمد بن يحيي كاتب توزون ، ووصل خبر موته إلى بغداد فى جُمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، فقلدالمستكفى أبا الحُسَين أحمد بن بويه الإمارة ، مكان توزون ، ولقّبه معز الدولة ، ولقّب أخاه أبا الحسن عليًّا عمادَ الدولة ، ولقّب أخاه أبا عليٍّ الحسنَ رُكنَ الدولة ، وخلع عليهم ، وأمر أن تُضرب أسماؤهم على الدنانير والدراهم مع اسم الخليفة ، وهُم أوَّلُ من ضُرب اسمه من ملوك الإسلام على النقود مع اسم الخليفة ، ونزل معزُّ الدولة دارَ مؤنس الخادم ، فنزل أصحابُه بدور الناس بالقهر ، ولم يُعْهد ذلك فيما تقدم ، ورتّب مُعز الدولة للمستكفى (٨١ ا) فى كل يوم خمسة آلاف درهم للنفقات يتسلمها كاتبه ، وذلك أول ما رُتِّب للخليفة معلوم مقدَّر له لا يتعدّاه ، ثم إن قهرمانة للمستكفى اسمها عَلَم صنعت دعوة ، وأحضرت جماعة من الديلم إليها ، فاتهمها معز الدولة أنها تريد أن تتفق عليه مع الديلم ، فركب إلى دار

السلطان فى يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة بسبب وصول صاحب خراسان ، فأجلس الخليفةُ معزَّ الدولة على كرسىّ ، ويقال : إنه وقف بين يدى الخليفة على عادته ، وتقدم إلى المستكفى رجلان من الديلم ، فمدَّا إليه أيديهما ، فظن أنهما يريدان تقبيل يده ، فمدّها لهما ، فجذباه وجعلا عمامته فى عنقه وسحباه بها ، وقام معز الدولة ، وقبض الديلم على عَلَمَ القهرمانةِ ، وسيق المستكفى إلى دار معز الدولة ماشيا ، ونُهِبت دارُ الخلافة ، ثم أُحضر المطيعُ الآتى ذكره إلى دار معز الدولة ، وأُقيم المستكفى بين يديه ، وسلّم عليه بالخلافة ، وأَشهد على نفسه بالخلع ، وسُمِلَت عيناه ، ولم أقف له على ذكر أولاده [(١)] .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر قبله أبو القاسم الإخشيد ، فتوفى فى س أربع وثلاثين ، وملك بعده ابنه أُنوجور بن الإخشيد وهو صغير ، وقام بتدبير دولته كافور الإخشيدى الخادم.

---

(١) فى جمهرة أنساب العرب ص٢٦ أولاده : على والحسن ومحمد .

وكانت دمشق بيد الإخشيد أيضا ، فملكها بعده ابنه أُنوجور المذكور فى تدبير كافور المقدم ذكره ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكانت حلب مع أُنوجور المذكور ونائبه فيها بدر الإخشيدى ، فانتزعها منه سيف الدولة بن حمدان أيضا فى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وبقى بها حتى توفى فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة .

وكان اليمن مع بنى زياد .

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد نوح بن(٨١ ب) نصر السامانى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكان على إفريقية والغرب الأَقصى القائم بأَمر الله العلوىّ . فتوفى سنة أَربع وثلاثين وثلاثمائة ، وقد عهد إلى ابنه المنصور بالله إسماعيل ، فقام بالأَمر بعده وبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكان على الأَندلس الناصر عبد الرحمن الأَموى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

الثالث والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المطيــع لله

وهو أبو القاسم ، ويقال : أبو العباس الفضل بن المقتدر المقدم ذكره .

وأمه أم ولد اسمها مشغلة [1] . ولد فى ذى القعدة سنة إحدى وثلاثمائة . ولم أقف على ذكر صفته . بويــع له بالخلافة يوم الخميس ثانى عشر جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وقيل : لثمان بقين منــه . ولم أقف على نقش خاتمه هو ولا من بعــده من الخلفاء . وبقى حتى خلع نفسه فى ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، فــكانت خلافتــه إلى أن خلع تسعا وعشرين سنة وخمســة أشهر وقيل وأربعة أشهر وعشرة أيام . وتوفى بعد ذلك فى منتصف ذى الحجة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وكان له من الأولاد أبو بــكر الطائــع الآتى ذكره ، وعبد العزيز وجعفــر [2] .

---

(١) في تاريخ الخلفاء ص١٦٠ اسمها شغلة .

(٢) زاد في جمهرة أنساب العرب ص٢٧ : عبدالوهاب .

الحوادث والماجريات فى خلافته

ولى الخلافة وقد ازداد أمر الخلافة إدبارا ، ولم يبق للخلفاء أمر نافذ ، وتسلم نوابُ معز الدولة العراقَ بأسره ، ولم يبق فى يد الخليفة غير ما أقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجته . وبقى الأمر على ذلك حتى مات معز الدولة بن بويه فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، وقام ابنه بختيار بالأمر بعده بعهد من أبيه ، ولقّب عزّ الدولة ، واستقر فى إمرة الأُمراء ، فأساء السيرة ، واشتغل باللهو واللعب وعشرة النساء والمغنين ، ونفى كبار الدولة ، وأخذ إقطاعاتهم ، وبقى الأمر على ذلك إلى أن سار بختيار إلى الأهواز ، فاستخلف سبكتكين التركى عنه ببغداد ، وفتك (٨٢ ا) بختيار بمن صحبه من الأتراك ، فنهض سبكتكين ونهب دار بختيار ببغداد ، واستولى على الأمر مكانه ، وقد عجز المطيع عن الحركة والدفع لمرض به ، وثقل لسانه ، فدعاه سبكتكين إلى خلع نفسه من الخلافة وتسليم الأمر لولده الطائع ، فأجاب إلى ذلك وخلع نفسه .

وفى أيامه فى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة لم يوجد فى المقياس ما يقاس ، حتى قيس فى بحـــر الجزيرة . وانتهى النيل فى تلك السنـــة إلى خمسة عشر ذراعا فقط .

وفى أيامه كثرت الزلازل ، فزُلزلت الأَرض فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ثلاث مرات ، ثم فى سنة أَربع وأَربعين مرتين فى شهر واحد ، ثم فى سنة سبـــع وأَربعين مرتين فى شهـــر واحد .

وفى سنة ست وخمسين انتهت زيادة النيل إلى اثنى عشر ذراعا وخمسة عشر إصبعاً ، ولم يُعهد مثل ذلك ، وفى سنة ثمان وخمسين وقع بمصر غلاء عظيم ، بيـــع القمح فيها وَيْبَةٌ بدينار ونصف ، والخبز رطل بدرهمين ، والبيضة بدرهم وثُلث . وفى أيامه طمـــع الروم فى بلاد المسلمين ، فقصدوا حلب فى سنـــة إحدى وخمسين وثلاثمائة ، واستولوا عليها دون قلعتها ، وأَخذوا منها أَموالا عظيمة لسيف الدولة

وفى سنة أَربـــع وخمسين وثلاثمائة فتـــح المصيصـــ وطرسوس وقتـــل وأُسر .

وفى سنة خمس وخمسين وصل الروم إلى آمد ونصيبين

وإنطاكية وطرسوس وعاثوا فسادا .

وفى سنة ثمان وخمسين ملكوا إنطاكية وحصروا حلب حتى صالحوهم عن حلب وما معها من البلاد وهى حماة وحِمْص وكفر طاب والمعرَّة وفاميه وشيزر وما بين ذلك . وفى سنة إحدى وستين وصلت الروم إلى الجزيرة والرها ونصيبين وقتلوا وسبوا ، وذهب الناس إلى بغدادمستغيثين بختيار ، فطلب من الخليفة مالاً يستعين به على الغزاة ، فباع قماشاً بأَربع مائة أَلف درهم (٨٢ ب) وأَوصلها إليه ، فصرفها فى مصالح نفسه وترك أَمر الغزاة .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت مصر بيد الإخشيد ، فتوفى فى ذى الحجة سنة أَربع وثلاثين وثلاثمائة ، وتقلد ابنه أُنوجور [١] ومعناه محمود ، وغلب كافور الإخشيدى الخادمُ على أَمره وقام بتدبير دولته ، ثم مات أُنوجور فى ذى القعدة . سنة تسع وأَربعين وثلاثمائة ، وقام أَخوه علىٌّ بالأَمر بعده . ثم مات علىّ بن الإخشيد فى المحرم سنة خمسين وثلاثمائة ،

---

(١) يكتب في الأصل : « أبوجور » والتصويب من صبح الأعشى ـ ٤ ص ١٦٣ ، ١٦٤

فوليهـا بعده كافور الإخشيدى المقدم ذكره ، وكان يُدعى له عـلى المنابر بمصر والشـام والحجـاز ، ثم جُلِب إليه الزكاةُ فقال : اصرفوها من أيديـكم ، فلم يجـدوا من يقبلها ، فقال : ابنـوا بها المساجد وأَجروا لهـا الأَرزاق ، ففعلوا ، وبقى ، إلى أن مات فى جمـادى الأُولى سنـة ست وخمسين وثلاثمائة ، فعُقد الأَمر لأَبى الفوارس أَحمد ابن على بن الإخشيد وهو ابن إحدى عشرة سنـة ، وكان الحسن بن عبيد الله بن طُغج خليفته بهـا ، ثم دخل جوهر قائد المعز الفاطمى إلى مصر يوم الثلاثاء لست عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، واستولى عليهـا ، وأَذَّن بِحَىَّ عـلى خَير العمل . وقطع الخطبـة للعباسيين ، وخطب بالجـامع العتيق بالفسطـاط لمولاه المعز ، واختط القاهرة ، وبنى قصر الخلافة بوسطها حيث دار الضرب الآن وما حولها من المدرسة الصالحيـة ومشهد الحسين والبيمارستان العتيق وما جاور ذلك ، ثم وصل المعز إلى الديار المصرية ودخل القاهرة فى سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، واستخلف عـلى بلاد إفريقيـة بُلُـكِّين بن زِيرى .

وكانت دمشق بيد الإخشيد (١٨٣ ا) أيضا ، فوليها بعد وفاته ابنه أُنوجور ، وقام بتدبير دولته كافور الإخشيدى على ما تقدم ذكره ، ثم انتزعها منه سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب ، ثم انتزعها منه كافور الإخشيدى ثانيا وولّى عليها بَدْرًا الإخشيدىّ الذى كان عليها أَولاً ، فأَقام بها سنة ، ثم وَلِيها أَبو المظفّر بن طُغج ، ثم لما مات أُنوجور ملكها مع مصر أَخوه على ابن الإخشيد ، ثم كافور بعده ، ثم أَحمد بن على ابن الإخشيد ، وهو آخر من ملكها منهم ، ثم كانت الدولة الفاطمية عند دخول جوهر القائد إلى مصر فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وأَقام بها جعفرَ بن فلاح نائبا ، ثم غلبت القرامطة عليها فى سنة ستين وثلاثمائة . ثم ملكها المعز مَعَدٌّ بن تميم العُبيدى من القرامطة ، وولّي عليها رَيَّان الخادم . وبقى المعز إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكانت حلب بيد سيف الدولة بن حمدان ، فبقى بها حتى توفى فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، وملكها بعده ابنه سعد الدولة أَبو المعالى شريف ، ثم انتزعها منه

فرعويه غلام أبيــه فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فبقى إلى ما بعد خلافة المطيــع .

وخُطب بمـكة لمعز الدولة بن بويه مع الخليفة فى سنة أربــع وثلاثين وثلاثمائة . وكان الحج قد تعطل بسبب القرامطــة على ما تقدم ، فبرز أمر المنصور بن القــائم الفاطمى صاحب إفريقيــة لأحمــد بن أبى سعيــد أمير القرامطة بعد موت أبى طاهر القرمطى برد الحجر الأسود إلى مــكانه ، فرده فى سنــة سبــع وثلاثين وثلاثمائة ، وخطب لابن بويه ، واتصلت وفود الحج من يومئذ ، وفى سنة ثلاث وخمسين خطب للقرمطى بمــكة مع المطيــع ، وفى سنة ست وخمسين وثلاثمائة خطب بمكة لبختيار بن معز الدولة بعد موت أبيــه . ثم فى سنة ستين وثلاثمائة جهــز المعز الفاطمى (٨٣ ب) عســكرا من إفريقية لإقامة الخطبــة له بمــكة ، فبــادر الحسن بن جعفر بن الحسن ابن سليمان السليمانى من المدينــة وملك مــكة وخطب له بهــا ، وكتب إليــه المعز بالولاية ، وخرجت مــكة عن العباسيين .

وكان اليمن بيد بنى زياد .

وكان ما وراء النهر بيد الخانيّة ملوك الترك .

وخراسان بيد نوح بن نصر السامانى ، فوليه بعده ابنه منصور ، وبقى إلى ما بعد خلافة المطيع .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب المنصور إسماعيل بن القائم الفاطمى ، فبقى حتى توفى فى رمضان سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ، وولى الأمر بعده ابنه المعز لدين الله مَعَدّ ، وانتهت مملكته بالغرب إلى البحر المحيط ، وفتح قائده جوهر مصرَ على ما تقدم فى منتصف شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، واختطَّ القاهرةَ ، ثم قدم المعز إلى مصر ودخل القاهرة لخمس من رمضان سنة ثنتين وستين وثلاثمائة واستخلف على إفريقية والغرب بُلُكِّينَ بنَ زِيرى وأنزله القيروان ، وسماه يوسف ، وكنَّاه أبا الفتوح ، واجتمع له ملك مصر والشام وبلاد المغرب ، فبقى إلى ما بعد خلافة المطيع .

وكانت تِلِمْسان بيد يَعْلى بن محمد اليفرنى ولاّها له الناصر الأُموى فى سنة أربعين وثلاثمائة ، وتوفى ، فوليها

بعـــده محمد بن الخير بن محمد بن خزر ، داعية الحكم المستنصر الأَموى ، فى حدود سنة ستين وثلاثمائـــة ، وبقى حتى مات فى حرب صنهاجة ، وغلبت صنهاجة على تلمسان ، فبقيت بأَيديهم إلى ما بعد خلافة المطيـــع .

وكان على الأَندلس الناصر عبـــد الرحمن الأَموى ، وتوفى فى رمضان سنة خمسين وثلاثمائة ، وولى بعـــده ابنه الحكم وتلقب المستنصر ، فبقى إلى ما بعد خلافة المطيـــع .

الرابـــع والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

الطائع لله

(٨٤ ا) وهو أَبو بـــكر عبد الـــكريم بن المطيـــع المقدم ذكره ، وقد تقدم نسبـــه .

وأُمه أُم ولد اسمها هزار . بويع له بالخـــلافة سنـــة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وبقى حتى خلع نفسه ، على مـــا سيأْتى ، لعشر بقين من شعبان سنـــة إحـــدى وثمانين وثلاثمائة ، فكان مدة خلافته سبـــع عشرة سنة وثمانية أَشهر وأَياما ، وبقى بعد خلعه عند القادر بالله الآتى ذكره ، حتى توفى فى خلافة القادر ليـــلة الفطر سنـــة ثـــلاث وتسعين وثلاثمائة . وعمره ست وسبعون سنـــة [1] .

---
(١) فى جمهرة أنساب العرب ص٢٧ أن الطائع ولد جعفرا وأنه لم يبلغه له ولد غيره .

الحوادث والماجريات فى خلافته

قال المؤيد صاحب حماه : ولم يكن للطائع فى ولايته من الحكم ما يُستدلّ به على حاله . ولما بويع بالخلافة انحدر سبكتكين إلى واسط ، وتبعه الطائع والمطيع وهو مخلوع ، فمات المطيع بدير العاقول ، ومرض سبكتكين ومات ، فحُمل إلى بغداد فدفن بها . وقدم عسكرُ سبكتكين عليهم أفتكين أَحدَ قوادهم ، وسار إلى واسط وبها بختيار ، فجرى بينهم وبين بختيار قتال كبير ، وبعث بختيار إلى ابن عمه عضد الدولة بن ركن الدولة صاحب فارس يستنجده ، فقدم عضد الدولة العراقَ ، واستولى على بغداد بعد قتال ، وأَعاد الخليفة إلى دار الخلافة ، ورأى عضد الدولة عجْزَ بختيار عن القيام بأَمر الجند ، فأَشار عليه بصرف نفسه عن الإمرة ، ففعل ، ثم قبض عليه بعد ذلك وحبسه ، واستبدّ عضد الدولة بالأَمر ، وأَحسن إلى الخليفة الطائع وعظّمه وأَتحفه بالأَموال ، وبلغ الخبرُ ركنَ الدولة بن بويه بفارس ، فأَنْكر على ابنه عضدِ الدولة ، وأَرسل يتوعده ويهدده بسبب بختيار ، فردّ عضدُ الدولة الأَمْر إلى بختيار ،

وخلع عليه وأعاده إلى ما كان عليه ، وسار عنه إلى فارسَ موضعِ ملكِ أبيه ركن الدولة ، وبقى الأمر (٨٤ ب) على ذلك حتى مات ركن الدولة فى سنة ست وستين وثلاثمائة ، واستخلف على ملكه ابنه عضد الدولة ، بعد أن عقد لابنه فخر الدولة على هَمَذَان وأعمال الجَبَل . ولابنه مُؤيد الدولة على أصفهان وأعمالها ، وجعلهما تحت حكم أخيهما عضد الدولة فى هذه البلاد ، وسار عضد الدولة بعد وفاة أبيه إلى العراق ، فدخل بغداد وقد خرج عنها بختيار إلى جهة الشام ، ثم عاد إلى بغداد لقتال عضد الدولة ، فقبض عضدُ الدولة عليه ثم قتله ، واستقر عضد الدولة فى تدبير أُمور الخلافة ببغداد ، وبقى إلى أن مات سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ، فكانت ولايته بالعراق خمس سنين وستة أشهر ، وهو الذى بنى سور المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

وولى الأمر بعده ابنه صمصام الدولة أبو كاليجار بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، ثم سُمِل ، وكان أخوه شرف الدولة بن عضد الدولة بكرمان ، فلما بلغه موت أبيه سار إلى فارس وملكها وقطع خطبة أخيه صمصام الدولة ، ولم

يزل حتى قصده أخوه صمصام الدولة أبو كاليجار فقبض[1] عليه ، ثم سار إلى بغداد فدخلها وأخوه صمصام الدولة فى قبضته ، فكانت إمارة صمصام الدولة ببغداد ثلاث سنين ، ثم سيَّر صمصامَ الدولة إلى فارس فاعتقله بها ، ثم سَمَله فى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة . ثم توفى شرف الدولة المذكور ، فكانت إمارته بالعراق سنتين وثمانية أشهر . واستقر فى الإمارة مكانه أخوه أبو نصر بهاء الدولة بن عضد الدولة ، وخلع عليه الطائعُ وقلَّده السلطنة ، ثم طمع بهاء الدولة فى مال الطائع ، فبعث إليه يسأله الإذن فى الحضور ليجدد العهد به ، فجلس الطائع على كرسى ، ودخل بعض الديلم كأنه يريد تقبيل يد الطائع ، فجذبه عن سريره (١٨٥) والخليفة يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون . ويستغيث فلا يغاث ، وحُمِل الطائعُ إلى دار بهاء الدولة ، فأشهد على نفسه بالخلع فى التاريخ المذكور ، وكان ممن حضر القبض عليه الشريفُ الرَّضىُّ فبادر بالخروج من دار الخلافة وأنشد من جملة أبيات[2] :

(١) في الأصل : وقبض

(٢) ديوان الشريف الرضى ص٥٢٣ .

أَمسيتُ أَرحَمُ مَن قد كنتُ أَغبِطُه
لقد تقارَبَ بين العزِّ والهُونِ
ومنظرٍ كان بالسرَّاءِ يُضحكنى
يا قُرْب ما عاد بالضرَّاءِ يُبكينى
هيهاتَ أَغترُّ بالسلطان ثانيةً
قد ضلّ عِنْدِيَ وُلَّاجُ السلاطينِ [1]

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت مصر والشام بيد المعزّ معَدّ العُبيدى الفاطمى ، فتوفى فى ثالث ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة . وولى بعده ابنه العزيز بالله أَبو المنصور نزار ، وبنى الجامع العزيزى بمدينة بِلْبيس ، ولما وَلِيَ العزيزُ مصرَ والشام ولَّى كتابته رجلا نصرانيا اسمه عيسى بن نسطورس ، واستناب بالشام رجلا يهوديا اسمه ميسا ، فاستطالت النصارى واليهود على المسلمين ، فعمد أَهل مصر إلى قراطيس عملوها على صورة امرأة ومعها قصة ، وجعلوها فى طريق العزيز ، فأَخذها العزيز فإذا فيها : بالذى أَعز اليهود بميسا ، والنصارى بعيسى بن نسطورس ، وأذل المسلمين

(١) فى الديوان : قد ضل ولاج أبواب السلاطين .

بك إلا ما كشفت عنا . فقبض على عيسى النصرانى فصا
وعزل ميسا عن الشام .

وكان على دمشق رَيَّان خادم المعز الفاطمى نيابة ع
ثم غلب عليها أفتكين [1] مولى معز الدولة بن
الديلمى ، وقطع الخطبة بها للمعز الفاطمى ، و
للطائع العباسى فى سنة أربع وستين وثلاثمائة ، ثم انت
منه المعز الفاطمى بعد ذلك وقبض عليه بعد قتال ج
بينهما ، وأحضره معه إلى مصر ، وأنزله هو ومن مع
الديلم داخل بابى زويله على القرب من (٨٥ ب)
الديلم ، فسميت بهم حارة الديلم إلى الآن . ثم بعد
المعز وولاية ابنه العزيز تغلب عليها شخص اسمه قس
وكان يُخطب بها للعزيز الفاطمى ، ثم انتزعها العزيز
قسام [2] وقرر فيها بكتكين [3] فى سنة اثنتين وس
وثلاثمائة ، ثم انتزعها منه بكجور مولى قَرْعويه صا
حلب بأمر العزيز الفاطمى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائ

(١) في معجم الأنساب والأسرات كتب : البتكين . وبالهامش عن ابن القلانسى ، ان اسمه الفتكين .

(٢) في الأصل « بن قسام » . والتصويب من صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦٤.

(٣) في الأصل . بلكتكين . والتصويب من صبح الأعشى . وفي معجم الأنساب ص ٤٤ أو يلتكين .

فبقى إلى ما بعد خلافة الطائع .

وكانت حلب بيد قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان ، فغلب عليها بكجور غلام قرعويه المذكور واقتلعها منه ، ثم انتزعها منه سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ، فبقى إلى ما بعد خلافة الطائع [1] .

وكان على مكة الحسن بن جعفر السليمانى ، فمات ، فولى عليها أخوه عيسى ، وبقى إلى ما بعد خلافة الطائع [2] .

وكان على المدينة النبوية أبو الحسين طاهر من ولد مسلم بن طاهر بن الحسن الحسينى ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الطائع .

وكان اليمن بيد بنى زياد .

وكان ما وراء النهر بيد الخانيّه من ملوك الترك .

وخراسان بيد منصور بن نوح ، فمات فى سنة ست وستين وثلاثمائة ، وولى بعده ابنه نوح بن منصور ، فبقى إلى ما بعد خلافة الطائع .

(١، ٢) في الأصل : «المطيع» والكلام عن الطائع .

وفى سنـــة ست وستين وثلاثمائة استولى عضد الدولة على بلاد جُرجـان وطبرستان ، وأجلى عنها صاحبها قابوس .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب بُلُكِّين بن زِيرى ، من قِبَلِ المعز الفاطمى صاحب مصر والشام ، إلى أن توفى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ، وولى مـكانه ابنــه المنصور بن بلكين ، من جهــة العزيز بن المعز المذكور ، فبقى إلى ما بعد خلافة الطائع .

وكانت تلمسان بيد صنهاجة ، فبقيت بأيديهم إلى ما بعد خلافة الطائــع .

وكان عـلى الأندلس المستنصر .(١)(٨٦) الحـكم بن الناصر عبد الرحمن الأموى ، فتوفى سنة ست وستين وثلاثمائة ، وعهد إلى ابنــه هشام ولقبه المُؤيد ، وبايعه الناس بعد موت أبيه ، فبقى إلى ما بعد خلافة الطائع .

الخامس والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

القادر بالله

وهو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر ، وقد تقدم نسبه .

---

(١) فى الأصل بلكتكين . والتصويب من صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٦٤

وأُمه أُم ولد اسمها دمنــة[1] ، وقيل : عين ، بويع له بالخلافة لعشر بقين من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة يوم خلع الطائع ، وهو يومئذ غائب بالبطائح من العراق عند مهذّب الدولة صاحب البطائح ، مختفيا من الطائع لأَمر بلغه عنه ، فأَرسل بهــاء الدولة إليه خواصَّ أَصحابــه لِيَقْدَمَ وهم فى خدمته ، فلما قرب من بغداد خرج بهاء الدولة وأَعيان الناس لملاقاته ، ودخل دار الخلافة فى الثامن عشر من شهر رمضان من السنة المــذكورة ، وبايعه حينئــذ البيعة العــامة وخطب له على المنــابر فى الثالث عشر من شهر رمضان المذكور ، وبقى حتى توفى فى ذى الحجة سنة[2] اثنتين وعشرين وأَربعمائة ، وعمره ست وثمانون سنــة ، ومدة خلافته إحدى وأَربعون سنــة وأَشهــر[3] ، وكان له من الأَولاد القائم بأَمر الله الآتى ذكره وغيره .

---

(١) في تاريخ الخلفاء ص ١٦٥ اسمها تمنى وقيل دمنة .

(٢) في الأصل في ذى حجة .

(٣) في ابن الأثير حـ ٩ ص ١٥٥ ثلاثة أشهر وعشرون يوما ووصفه في ابن الأثير وحياة الحيوان حـ ١ ص ٧٩ أنه كان أبيض طويل اللحية كبيرها يخضبها لشيبه، له مصنف في السنة وذم المعتزلة والروافض .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما استقر فى الخلافة وسار من البطائح إلى بغداد وصله مهذبُ الدولة صاحب البطائح بأَموال جمّة ، وقام بتدبير دولته بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه إلى أَن توفى بأَرَّجَان ، وقد ملك العراق فى سنة ثلاث وأَربعمائة ، وكان مدةَ ملكه أَربعٌ وعشرون سنة ، وولى بعده بغداد وما معها ابنه (٨٦ ب) سلطان الدولة أَبو شجاع ، وبقى إلى أَن تشغّب عليه الجند فى سنة إحدى عشرة وأَربعمائة ، فاستخلف على العراق أَخاه مشرف الدولة [1] ، وسار إلى الأَهواز ، ثم بدا له فى صرف أَخيه مشرف الدولة ، فبعث جيشا لقتاله ، فكانت الكسرة على جيش سلطان الدولة ، فتضعفت نفسه ، وهرب إلى الأَهواز فى فُلٍّ من الناس ، وبقى مشرف الدولة حتى توفى فى ربيع الأَول سنة ست عشرة وأَربعمائة . فكانت مدة ملكه خمس سنين وعشرين يوماً ، وخلت بغداد من سلطان ، فتسلط الأَتراك على الناس بالمصادرات ، وطمع

---

(١) في الأصل : شرف الدولة . والتصويب من ابن الأثير جـ ٩ ص ١١٨ و ١٢٩ وانظر صبح الاعشى جـ ٤ ص ٤١٨ .

أوباش الناس فى رؤسائهم ، ثم سار جـلال الدولة بن بهـاء الدولة من البصرة إلى بغداد باستدعاء القادر الخليفة والجند له ، فخرج القادر لملتقاه وحلّفه واستوثق منـه ، ودخل بغداد ثالث رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمـائة ، واستقر فى بغداد خاصة ، وباقى الأعمال لأبى كاليجار بن سلطان الدولة .

وفى أيامه فى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ملك الروم مدينة حمص واستولوا عليها ، وفيها حدث بدمشق زلزلة عظيمة سقط منها زهاءُ ألف دار ، ومات تحت الردم خلق كثير ، وخسفت قرية من قرى بَعْلَبَكّ ، وخرج الناس من دورهم إلى الصحارى ، وفى سنة عشرة وأربعمائة سقط بالعراق بَرَدٌ كِبار وزن البَرَدةِ رطلان فأقل ، وأصغرها بقدر البيضة .

وفى أيامـه توفى الصاحب أبو القـاسم بن عباد وزير فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، بالرّىّ ، ونقل إلى أصفهان فدفن بهـا ، وهو أول من لُقّب الصاحب من الوزراء ، وذلك أنه كان يصحب أبا الفضل بن العميـد ، فقيل له : صاحب ابن العميد ، ثم أطلق عليه هذا اللقب

لمَّا تولى الوزارة ، وبقى علماً عليه ، ثم تلقب به كل من ولى الوزارة بعده .

(٨٧ ا) وفى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة توفى الحاتميّ أحد الأعلام فى اللغة والأدب، وهو صاحب « الرسالة الحاتمية » التى يُنزل فيها أبياتاً للمتنبي على كلام أرسطو .

وفى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة توفى ابنُ الحجَّاج الشاعر المَجَّان ، وكان شيعيّا ، فأوصى أن يدفن عند مشهد موسى بن جعفر ، وأن يكتب على قبره ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [1]

ولايات الأمصار فى خلافته

كانت مصر بيد العزيز بن المعز العُبيدى الفاطمى ، فتوفى فى رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وولى بعده ابنه الحاكم بأمر الله أبو على المنصور ، سَلْخَ [2] رمضان المذكور ، وعمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر ، وبنى الجامع الحاكميّ على القرب من باب الفتوح ، وكان حين بنائه

---

(١) سورة الكهف الآية ١٨

(٢) فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٣٠ أن العزيز مات ثامن رمضان وأن الحاكم تولى ليلة وفاة أبيه .

خارج القاهرة ، ولما بُنِى استقرّت الخطبة فيه ، وانقطعت الخطبة من الجامع الأَزهر فى سنة سبع وستين وخمسمائة بعد زوال الدولة الفاطمية ، واستقرت الخطبة بجامع الحاكم ، ولم تزل الخطبة بالجامع الأَزهر معطلة إلى سنة خمس وستين وستمائة فى سلطنة الظاهر بيبرس ، فخطب فيه .

وبنى أَيضا جامع راشد ، جنوبى الفسطاط ، وأَنشأَ عدة مساجد بالقرافة ، ونقل إلى الجامع العتيق بالفسطاط وغيره من الجوامع من المصاحف وآلات الفضة والستور ما له قيْمة جليلة ، واستقرت الخطبة فيه من يومئذ ، وعظم شأْنه حتى صار أَعظم جوامع القاهرة وأَكثرها جماعة وجمعا .

وكان الحاكم جوادا بالمال سفاكا للدماء ، قتل عددا كثيرا من أَماثل أَهل دولته وغيرهم صبرا ، وكانت سيرته من أَعجب السير ، جرى فى أَيامه أُمور عجيبة من تغير أَحواله فى كل وقت من غير أَن يعلم قصده فى ذلك . وقتل غيلة على القرب من حلوان . ولم يعرف قاتله . واطلع

على قتله فى [1] الثالث من ذى القعدة سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، وعمره يومئذ ست وثلاثون سنة ، وولى بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علىّ بن الحاكم المقدم ذكره ، فى يوم عيد النحر سنة إحدى عشرة (٨٧ ب) وأربعمائة ، فبقى إلى ما بعد خلافة القادر .

وكان على دمشق منير الخادم ، من جهة العزيز الفاطمى فولى عليها الحاكم بن العزيز أبا محمد الأسود ، فى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، فبقى إلى ما بعد خلافة القادر ، وأفرط فى التشيع ، حتى أنه شَهر رجلا مغربيا بها ونادى عليه : هذا جزاءُ من يُحب أبا بكر وعمر ، فلا أحسن الله جزاءه .

وكان على حلب سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ، ثم تقلدها أبو على بن مروان من [2] الفاطمى خليفة مصر ، فى سنة ثمانين وثلاثمائة ، ولم يدخلها ، وبقيت بيد سعد الدولة

(١) هنا كلمة مضروب عليها بالقلم وفي صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٣٠ قتل في سلخ شوال سنة ٤١١ هـ .

(٢) في الأصل : « ثم تقلدها أبو على مروان بن الحكم الفاطمى » وهذا خطأ والتصويب من صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٦٨ .

حتى توفى بالفالج فى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة [1] ، وولى بعده ابنه أبو الفضائل [2] ثم انتزعها منه أبو نصر [بن] [3] لؤلؤ ، وخطب بها للحاكم الفاطمى ، ثم أمره الحاكم بتسليمها إلى نوابه ، فتسلموها منه واستقرت بأيديهم حتى وليها منهم رجل اسمه عزيز الملك ، فبقى بها بقية أيامه ، ثم صارت إلى الظاهر بن الحاكم ، فوليها عنه ابن سفيان [4] ، فبقى إلى ما بعد خلافة القادر .

وكان على الموصل حسام الدولة المُقَلَّد بن المسيّب العقيلى ، وهو أول من استولى منهم على الموصل ، ملكها فى سنة ثمانين وثلاثمائة ، وبقى حتى قتل فى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة بعد أن عظم شأنه ، وقام مقامه فى ذلك ابنه قرْواش بن المقلد .

وكان على مكة عيسى بن جعفر ، ثم ولى بعده

---

(١) في الأصل : سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وهذا خطأ واضح والتصويب من ابن الأثير حـ ٩ ص ٣٣ والنجوم الزاهرة حـ ٤ ص ١٦١ وفي صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٦٨ سنة ثلاث وتسعين وهو خطأ أيضا .

(٢) في الأصل : أبو الفضل . والتصويب من ابن الأثير وغيره وفي صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٦٨ أبو الفضل .

(٣) في الأصل أبو نصر لؤلؤ والتصويب من ابن الأثير حـ ٩ ص ٨٤ حوادث سنة ٤٠٢ وصبح الأعشى حـ ٤ ص ١٦٩

(٤) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٦٩ ابن شعبان .

أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن أبي هاشم الحسن بن محم
ابن سليمان [(١)] سنة أربـع وثمانين وثلاثمائة ، ثم جاءت
عساكر عضد الدولة بن بويه ، ففر الحسن وترك مـكة
ولما مات المُعزّ وولى بعده ابنـه العزيز بعث إلى مـك
أميرًا علويًّا ، فخطب له بالحرمين ، واستمرت الخطبة بمك
للعلويين إلى سنـة سبـع وثمانين وثلاثمائة ، وفى سنة
ثمـان وثمانين (٨٨ ا) وثلاثمائة خُطب لعضد الدولة بن
بويه ، ثم عادت الخطبة بمـكة إلى الخلفاء الفاطميين
بمصر ، ثم كتب الحاكم الفاطمى سنة ثنتين وأربعمائة [(٢)]
إلى عماله بالبراءة من أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، فأنكر
ذلك أبو الفتوح أمير مـكة ، وحمله ذلك على أن استبد
بالأمر فى مكة وخطب لنفسه بالراشد بالله ، وقطع الحاكم
الفاطمى الميرَةَ من مصر عن الحرمين ، فرجع أبو الفتوح
إلى طـاعته ، فأعاده إلى إمارته بمـكة فى سنة ثنتى عشرة

(١) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٦٩ : ثم الحسن بن محمد بن سليمان .

(٢) في الأصل : « سنة ثلثين وأربعين وأربعمائة . . والتصويب مقتبس من كتاب المنتقى في أخبار أم القرى ص ٢٠٩ : « وكان عصيان أبي الفتوح في سنة إحدى وأربعمائة على ما ذكر صاحب المرآة وغيره ورأيت في تاريخ لبعض شيوخنا أن ذلك في سنة اثنتين وأربعمائة ورأيت في تاريخ النويرى ما شهد لذلك » . هذا وفي صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٦٩ وقع هذا الخطأ أيضاً .

وأربعمائة [1] وخطب بعد ذلك للظاهر بن الحاكم

وفى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ضرب رجل من جُفاة مصر الحجر الأسود بدبوس فصدعه وثلمه ، فبادر إليه الناس فقتلوه . وبقى أبو الفتوح فى إمارة مكة إلى ما بعد خلافة القادر .

وكان على المدينة النبوية أبو الحسين طاهر ، فبقى فيها سنتين ، ثم توفى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، وولى بعده ابنه أبو محمد الحسين بن طاهر .

قال العتبي : وكان موجودا فى سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، وغلبه على إمارتها بنو عم أبيه أبى أحمد القاسم ابن عبيد الله بن طاهر بن يحيي ، واستقلوا بها .

وقال العتبي : وليها بعد طاهر صهره وابن عمه داود بن القاسم

وقال ابن سعيد : ملك أبو الفتوح الحسن بن جعفر

---

(١) لعل الصواب سنة ثلاث وأربعمائة كما يفهم من كتاب المنتقى ص ٢٠٩ هذا والحاكم مات سنة ٤١١ وفي صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٦٩ : وفي سنة ثنتى عشرة وأربعمائة خطب بمكة للظاهر بن الحاكم .

السليمانى أمير مكة المدينة سنة تسعين وثلاثمائة بأمر الحاكم الفاطمى ، وأزال إمرة بنى الحسين منها ، وحاول الحاكم الفاطمى نقل الجسد الشريف النبوى إلى مصر ليلا ، فهاجت بهم ريح عظيمة أظلم منها الجو ، وكادت تقلع المبانى من أصلها ، فردهم أبو الفتوح عن ذلك وعاد إلى مكة ، ورجع أمراء المدينة إليها ، فوليها منهم هانئ بن داود بن قاسم ، ثم مُهَنَّا أخوه .

قال الشريف الحرّانى [1] النسابة (٨٨ ب) وكان بها فى سنة ثمان وأربعمائة أبو عمارة حمزة ، ومقتضى كلامهم [2] أنه بقى إلى ما بعد خلافة القادر .

وكان على اليمن من بنى زياد أبو الجيش بن إبراهيم ، فبقى حتى توفى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وخلّف طفلا كفلته أُخته هند بنت أبى الجيش مع عبد لأبيه اسمه رشد [3] ، فبقى حتى مات ، فتولى مكانه حسين بن سلامة ، وصار وزيرا لهند وأخيها حتى ماتا ، ثم ملكوا

(١) فى الأصل : الحوانى والتصويب من صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٩٩ .

(٢) لعلها : ومقتضى كلامه .

(٣) فى صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٨ اسمه رشيد .

عليهم طفلا اسمه إبراهيم ، وقيل : عبد الله بن زياد . وقام بأمره عمته وعبد من عبيد حسين بن سلامة اسمه مرجان ، وقبض عبدٌ لمرجان اسمه قيسٌ على الطفل وعمته في سنة سبع وأربعمائة ، واستبد بالملك . ثم قُتل قيسٌ بِزَبِيد ، وملك بعده نجاحٌ عبدُ مرجان ، وعظم شأْنه ، وركب بالمظلة ، وضُربت السِّكة باسمه ، وبقى إلى ما بعد خلافة القادر .

وكان على خراسان وما وراء النهر نوح[1] بن منصور السامانى ، فمات فى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، وقام بالأمر بعده أبو الحارث منصور بن نوح ، فبقى حتى قبض عليه بكتوزون فى سنة ثمان[2] وثمانين وثلاثمائة ، وسمل عينيه وأقام فى الملك أخاه عبد الملك وهو صبى صغير ، فكتب محمود بن سُبُكتِكين صاحب غَزْنة إلى بكتوزون ينكر عليه ما كان من فعله مع منصور بن نوح ، ثم سار إلى خراسان فاستولى عليها وقطع خطبة السامانية منها ، وبذلك زالت دولتهم من خراسان ، وبقى ما وراء

(١) كتب في الأصل : نرج وهو خطأ وكذلك فيما جاء بعد ذلك مرتين ثم جاء صوابا وانظر ابن الأثير جـ ٩ ص ٤٨ وصبح الأعشى جـ ٤ ص ٤٤٧ .

(٢) في ابن الأثير جـ ٩ ص ٥٤ أن ذلك كان سنة ٣٨٩ .

النهر مع عبد الملك بن نوح وبكتوزون ، فسار إليهم ايليك خان ملك تركستان ، ودخل بخارى عاشر ذى القعدة[1] سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وقبض على عبدالملك بن نوح وحبسه حتى مات فى الحبس ، وزالت دولة السامانية مما وراء النهر أيضا ، وكانت قد انتشرت وطبقت أكثر الأَرض ، وكانت من أَحسن الدول سيرة وعدلا وتوالت (٨٩ ا) عليها أَيدى ملوك التركستانية ، إلى أَن غلب عليها ملكشاه السَّلجوقى ، على ما سيأْتى ذكره .

وكانت غَزْنَة أَولا مع بنى سامان مع خراسان ، فلم تزل بأَيديهم حتى غلب عليها سُبُكْتِكين أَحد مماليك أَبى إسحاق صاحب[2] جيش غزنة للسامانية المقدم ذكره فى سنة ست وستين وثلاثمائة ، بعد موت أَبى إسحاق المذكور . وذلك ابتداء ملك سُبُكْتِكين ، ثم مات وقام بالأَمر بعده ابنه إسماعيل ، ثم غلبَ عليها أَخوه محمود بن سبكتكين واستضاف إليها بعض خراسان ، فى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وقطع خطبة السامانية ، وبقى حتى توفى سنة

---

(١) فى الأصل : ذى قعدة .

(٢) فى الأصل : حاجب ، والتصويب من صبح الأعشى ﺣ ٤ ص ٤٤٨ .

إحدى وعشرين وأربعمائة ، بعد أن فتح الكثير من بلاد الهند ، وأحرق صنمهم الأعظم بسُومَنات[1] وكسره ، وحمل بعضه إلى غزنة فجعله عَتَبَة جامِعها ، وملك بعده ابنه محمد[2] بن محمود ،بعهد من أبيه إليه ، فبقى إلى ما بعد خلافة القادر .

وكان على إفريقية المنصور بن بُلُكِّين[3] من جهة العزيز بن المعز الفاطمى ، وبقى حتى توفى سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، وقام بالأمر بعده ابنه بَاديس بن المنصور ، وبقي حتى توفى سنة ست وأربعمائة ، فجأة وهو نائم بين أصحابه ، وقام بالأمر بعده ابنه المُعِزّ بن باديس وهو ابن ثمان سنين ، وبقى إلى ما بعد خلافة القادر ، فانتحل السُّنّة ورفض التشيُّع .

وكان بلكين بن زِيرى صاحب إفريقية قد غلب على الغرب الأوسط فى سنة تسع وستين وثلاثمائة ، وأجلوا عنه

(١) سومنات مدينة ساحلية بها علماء الهنود وعبادهم والصنم المعروف بها يسمى « البد » انظر النجوم الزاهرة ح ٤ ص ٢٦٦ هامش نقلا عن نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ١٧٠.

(٢) في صبح الأعشى ح ٤ ص ٤٤٨ أن محمد بن محمود قدم عليه أهل المملكة أخاه مسعود ابن محمود وملكوه عليهم ، وانظر النجوم الزاهرة ح ٤ ص ٢٣٤ وابن الأثير ح ٩ ص١٤٨

(٣) في صبح الأعشى ضبط بضم فسكون فكسر بدون تشديد . وضبطنا كما أثبته ابن خلكان باللفظ في كتابه في ترجمة بلكين .

مَغْرَاوَةَ الذين كانوا به من تقادم السنين ، وبعث العزيز الفاطمى من مصر جيشا لاسترجاع مُلْكه بالغرب فى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، فلم يظفروا بقصد ، ثم استولى هشام بن الحكم الأموى بالأندلس على بلاد المغرب [1] وكتب له بذلك عهدا ، وبقى على ذلك ، إلى أن مات فى سنة سبع عشرة وأربعمائة ، وولى من بعده (٨٩ ب) ابن عمه حَمَامة بن المعز بن عطية ، فبقى إلى ما بعد خلافة القادر .

وكانت تلمسان من الغرب الأوسط بيد صنهاجة إلى أن استقل زيرى بن عطية بولاية المغرب وطرده المنصور بن أبى عامر من الغرب الأقصى ، فصار إلى تلمسان واستولى عليها ، ثم عقد المظفر الأموى [2] صاحب الأندلس على بلاد المغرب للمعز بن زيرى سنة ست وتسعين وثلاثمائة ،

---

(١) لا شك أن هنا سقطا ملخصه « أن بنى مغراوة ومنهم زيرى بن عطية بن زناتة «وزيرى هو غير بلكين بن زيرى من صنهاجة» انحاز بقوته إلى المنصور بن أبى عامر ثم فسد الأمر بينهما ثم عاد إلى ماكان وأقام زيرى بن عطية الدعوة لهشام بن الحكم خليفة الأندلس وصاحبه المنصور من بعده وبقى على ذلك إلى أن مات سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وبويع بعده ابنه المعز بن زيرى ومات المنصور خلال ذلك وقام ابنه المظفر عبد الملك وبعث المعز ابن زيرى يرغب إلى المظفر في عمل فاس والمغرب الأقصى فأجابه إلى ذلك وكتب له عهده بذلك » . انظر صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٨٦ فبهذا يستقيم الكلام والتاريخ . وفي الأصل هشام بن عبد الملك .

(٢) « المظفر الأموى » كذا ولعل في الأصل تحريفا صوابه « المؤيد هشام الأموى » .

فاستعمل على تلمسان ابنه يعلى، واستقرت ولايتها فى بنى زيرى إلى حين انقراض دولتهم بِلَمْتُونة، فى أيام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

وكان على الأندلس المؤيد هشام ، فبقى إلى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، ثم غلبه على ذلك محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر المقدم ذكره ، وتلقب بالمهدى ، فى جمادى الآخرة من هذه السنة ، ثم غلبه عليه سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المقدم ذكره فى شوال منها ، ثم غلب عليه المهدىّ محمد بن هشام ، ثم عاد هشام بن الحكم المقدم ذكره فى ذى الحجة من السنة المذكورة ، ثم عاد سليمان بن الحكم المقدم الذكر فى منتصف شوال سنة ثلاث وأربعمائة ، وتلقب بالمستعين ، ثم غلب عليه المهدىّ محمد بن هشام المتقدم الذكر فى أخريات السنة المذكورة ، ثم غلبه المستعين على قرطبة ، ثم قُتِل المهدىّ محمد بن هشام المذكور وعاد المؤيدُ هشامٌ ، [هـذا والمستعين] (١) فى ذلك كله محاصر قرطبة إلى أن فتحها فى سنة ثلاث وأربعمائة ، وقَتل المؤيَّدَ هشاما . ثم غلبه

---

(١) الزيادة من صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٤٦

عليُّ بن حَمُّود وأخوه قاسم من الأَدارسة على قرطبة وملكوها وقتلوا المستعين ، وأزالوا ملك بنى أُمية من الأَندلس فى سنة سبع وأربعمائة ، واتصل ذلك فى خَلَف الأَدارسة سبع سنين ، ثم غلب عَلَى علىٍّ بنِ حَمُّودٍ عبدُ الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن الناصر ، ثم (١٩٠) رجع الأَمر إلى يحيى بن علىّ بن حَمُود سنة ست عشرة وأربعمائة ، ثم بويع المعتدّ بالله [١] هشام بن محمد أخى المرتضى الأَموى ، سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، فبقى إلى ما بعد خلافة القادر .

السادس والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

القائم بأَمر الله

وهو أَبو جعفر عبد الله بن القادر بالله المقدم ذكره وأُمه أُم ولد اسمها بدر الدجى [٢] ، وولادته سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، بويع له بالخلافة عقب موت أَبيه القادر فى ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ،

---

(١) في الأصل : المقتدر بالله وفي صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٤٦ المعتمد بالله وسيأتى في الأصل في ج ٢ ص ٢٤٨ أنه المعتد بالله وهو يتفق مع معجم الأنساب والأسرات ص ٢ .

(٢) في تاريخ الخلفاء ص ١٦٧ أم ولد أرمنية اسمها بدر الدجى وقيل قطر الندى . وفي ابن الأثير ١٠ / ٣٥ قطر الندى أو اسمها علم .

وأرسل أقضى القضاة أبا الحسن الماوردىّ الشافعى إلى الملك أبى كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة بفارس وما معها ، فأخذ له البيعة عليه ، وخطب له فى بلاده ، وبقى حتى توفى ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، وعمره ست وسبعون سنة وثلاثة أشهر وأيام . وكان سبب موته فيما ذكر أنه أصابه ماشر [1] فافتصد ، فانفجرت فصادته وهو نائم ، فخرج منه دم كثير وهو لا يشعر ، فاستيقظ وقد سقطت قوته ، فأحضر وزيره ابن جَهِير [2] والقضاة وأشهدهم أنه جعل ابن ابنه عبد الله ابن ذخيرة الدين محمد بن القائم بأمر الله ولىَّ عهده ، ومات ومدة خلافته أربع وأربعون سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرون يوما ، ولم يكن له عقب غير ابن ابنه المذكور .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة قام بتدبير دولته جلال الدولة بن بهاء الدولة بن بويه الديلمى ، وتشغبت عليه الجند ببغداد فى

---

(١) في الأصل : ماشرا . هذا والماشر : انتفاخ في البدن .

(٢) ضبطه ابن خلكان في ترجمته له محمد بن جهير بفتح الجيم وكسر الهاء أما ضبط معجم الأنساب والأسرات فبالتصغير انظر ص ٢٣ .

سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ونهبوا داره (٩٠ ب) وأخرجوه من بغداد ، وكتبوا إلى الملك أبى كاليجار يستدعونه إلى بغداد ، ثم وقع الاتفاق بين جلال الدولة والجند ، وعاد جلال الدولة إلى بغداد ، وفى سنة ست وعشرين وأربعمائة انحلَّ أمر الخلافة والسلطنة ببغداد ، وعظم أمر العيَّارين ، وصاروا يأْخذون أموال الناس ليلا ونهارا ، ولا مانع لهم والسلطانُ جلال الدولة عاجز عن دفعهم ، وانتشرت العرب فى النواحى فنهبوا البلاد وقطعوا الطرق ، ثم وقعت الوحشة بين جلال الدولة وبين القائم بأَمر الله الخليفة فى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ، بسبب أن الجوالى [1] كانت تُجبى وتحمل إلى الخليفة لا يعارضه فيها الملوك ، فاستولى عليها جلال الدولة فى هذه السنة ، ثم توفى جلال الدولة ببغداد فى شعبان سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، فكان ملكه ببغداد ست عشرة سنة وأحد عشر شهرا ، ولما مات كان ابنه الملك العزيز بواسط ، فكاتبه الجند فى أمر السلطنة ، فلم يجد من يُعينه على ذلك ، ومات قبل انتظام أمره ، فكاتب الملكُ أبو كاليجار المرزبان بنُ سلطان الدولة بن

---

(١) الجوالى جمع جالية وهى الجزية التى تؤخذ من أهل الذمة ثم استعملت فى كل جزية .

ركن الدولة بن بويه صاحبُ فارس وما معها عسكرَ بغداد فى استقرار السلطنة ببغداد له . فأَجابوه إلى ذلك ، وخُطب له ببغداد فى صفر سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وخطب له أَيضا أَبو الشوك ودبيس بن مَزْيَد[1] ونصر الدولة بن مروان ببلادهم ، ثم سار أَبو كاليجار المذكور إلى بغداد فدخلها فى رمضان من هذه السنة ، وزينت بغداد لقدومه ، ثم توفى أَبو كاليجار فى رابع جمادى الأُولى سنة أَربعين وأَربعمائة بمدينة جناب من كرمان وعمره أَربعون سنة ، فكان ملكه العراقَ أَربع سنين وشهرين ، ولما وصل خبر وفاة أَبى كاليجار إلى بغداد (٩١ ا) وبها ولده الملك الرحيم ، جمع الجند واستحلفهم واستولى على بغداد ، ثم أَرسل الملك الرحيم عسكرا إلى شيراز قاعدة فارس ، فقبضوا على أَخيه أَبى المنصور القائم مقام أَبيه بفارس فى شوال من هذه السنة ، وخُطب للملك الرحيم بشيراز ، ثم سار الملك الرحيم من بغداد إلى خوزستان فلقيه من بها من الجند وأَطاعوه ، ثم سار طغرلْبك بن داود بن ميكائيل بن سلجوق السلجوقى نحو بغداد ، حتى وصل حلوان ، فعظم الإرجاف ببغداد ، وبعث قواد بغداد

(١) فى النجوم الزاهرة ٥ : ٣١ دبيس [بن على] بن مزيد .

يبذلون له الطاعة وأن يخطبوا له ، فأجابهم طغرلبك إلى ذلك ، وتقدم القائم الخليفة بذلك فخطب له بجوامع بغداد ، لثمان بقين من شهر رمضان سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، ثم أرسل طغرلبك يستأذن الخليفة فى دخول بغداد ، فتوجهت إليه رسل الخليفة وحلّفوه للخليفة وللملك الرحيم المقدّم ذكره ، فحلف لهما ، وسار طغرلبك حتى دخل بغداد فنزلها ، واتفق أن بعض عسكر طغرلبك وقع بينه وبين السوقة فتنة ، فثار أهل تلك المحلة على من فيها من عسكر طغرلبك ونهبوهم ، وثارت الفتنة بين العامة وعسكر طغرلبك ، واتهم طغرلبك الملك الرحيم فى أنه السبب فى تلك الفتنة ، فالتمس حضوره من الخليفة ، فخرج إليه هو وأعيان القواد ، فقبض طغرلبك على الملك الرحيم وسائر القواد الذين معه ، فعظم ذلك على الخليفة وبعث إلى طغرلبك فى أمرهم ، فأفرج عن بعض القواد ، واستمر بالباقين وبالملك الرحيم فى الأعتقال .

وبالقبض على الملك الرحيم زال ملك بنى بويه عن العراق ، واستقرت الدولةالسلجوقية ، وسار طغرلبك عن بغداد فى عاشر ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ، بعد أن

أقام ببغداد ثلاثة عشر شهرا وأياما ، لم يلق فيها الخليفة (٩١ ب) واستولى طغرلبك فى خرجته تلك على الموصل وأعمالها ، ثم عاد إلى بغداد فى سنة تسع وأربعين وأربعمائة ودخل بغداد ، وقصد الاجتماع بالخليفة القائم ، فجلس له الخليفة ، وعليه البردة ، على سرير عال عن الأرض نحو سبعة أذرع ، فقبل طغرلبك الأرض بين يدى الخليفة ، وجلس على كرسى ، ثم قال له الخليفة على لسان رئيس الرؤساء : إن الخليفة قد ولّاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاد ، ورد إليك مراعاة عباده ، فاتَّقِ الله فيما ولاك ، واعرف نعمته عليك ، وخلع على طغرلبك وأعطى العهد ، فقبّل الأرض ويد الخليفة ثانيا وانصرف ، ثم أرسل طغرلبك إلى الخليفة خمسين ألف دينار وخمسين مملوكا من الأتراك بخيولهم وسلاحهم مع ثياب وغيرها ، ثم سار طغرلبك من بغداد إلى هَمَذَان فى سنة خمسين وأربع مائة ، وتبعه من كان ببغداد من الأتراك ، فقصد أرسلان البساسيرى ، وهو مملوك تركى من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ، ومعه قُرَيش بن بدران إلى بغداد ، فدخلها ثامن ذى القعدة من هذه السنة ، وخطب بجامع

المنصور للمستنصر العلوى خليفة مصر ، وأمر بأن يؤذن فيها : بحيّ على خير العمل . ثم ركب البساسيرى فى جمع ونهب الحريم ، ودخل البـاب النّسْوِىّ ، فركب الخليفة القائم لابسا السواد ، وعلى كتفه البردة ، وبيده سيف ، وعلى رأْسه اللواءُ ، وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسلولة ، وسَرَى النهبُ إلى باب الفردوس من داره ، فلما رأى القائم ذلك رجع القهقرى ، ودخل المَنْظَرة ، فقال رئيس الرؤساء لقريش بن بدران : أَمير المؤمنين القـائم يستذمُّ بِذِمامنا وذِمامِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وذِمام العَرَبِيّة ، على نفسه وماله وأَهله وأَصحابه . (١٩٢) فأَعطاه قُريش الذمام ، ونزل الخليفة إلى قريش ، فتغيَّر البساسيرى لذلك ، وعَتَب على قريش ، ثم اتفق الأَمر على أَن يُسلَّم رئيسُ الرؤساء إلى البساسيرى ، لأَنـه عـدوُّه ، ويبقى الخليفة عند قريش ، وحمل قريشٌ الخليفةَ إلى معسـكره بالبُرْدة والقضيب واللِّواء ، ونهبت دار الخلافة وحريمها أَياما ، ثم بعث بالخليفة مع بنى عمه إلى عانة ، فنزل بها ، وسار أَصحاب الخليفة إلى طغرل ، وأَقام البساسيرى بعد خروج الخليفة القائم ببغداد يُحسن إلى الناس ، ويحمل

على رأْسه فى ركوبه فى المواكب أَلوِيَةَ المستنصرِ خليفة مصر ، وأَرسل إلى المستنصر يعرفه إقامة الخطبة له بالعراق ، ثم سار البساسيرى عن بغداد إلى واسط والبصرة فملكهما ، ثم عاد الخليفة القائم إلى بغداد فى سنة إحدى وخمسين وأَربعمائة ، وأَرسل طغرلبك الخيام العظيمة والآلات للقائم الخليفة ، وسار مع الخليفة حتى دخل داره ببغداد ، لخمس بقين من ذى القعدة سنة إحدى وخمسين ، ثم خرج طغرلبك فى طلب البساسيرى ، وجهز إليه عسكرا ، فأَدركوه ، وجرى بينهم قتالٌ قُتِلَ فيه البساسيرى ، وحُمِل رأْسه إلى طغرلبك ، فبعث بها طغرلبك إلى دار الخلافة ، فعُلِّقت مقابل الباب النسوى ، ثم تزوج طغرلبك بنت الخليفة القائم ، وعقد عليها فى شعبان سنة ثلاث وخمسين وأَربع مائة بِتبْرِيز ، بوكالةٍ من الخليفة ، ثم قدم طغرلبك إلى بغداد ، ودخل بابنة الخليفة فى سنة خمس وخمسين وأَربع مائة ، وثارت الرعية من عسكره بسبب إخراجهم لهم من بيوتهم ، وفسقهم بنسائهم أَخذًا باليد ، وبعد دخول طغرلبك بابنة الخليفة سار من بغداد إلى بلاد الجَبَلَ وهى عراق العجم ، فمرض وتُوفى بالرىّ فى

ثامن رمضان سنة خمس وخمسين وأربع مائة ، ولم يكن لطغرلبك عقب (٩٢ ب) فاستقرت السلطنة بعده لابن أخيه محمد ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، ثم قُتِل ألب أرسلان المذكور ، غيلة ، وهو فى مائتى ألف فارس ، فى عاشر ربيع الأول سنة خمس وستين وأربعمائة ، وكان قد أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه ، وهو معه ، فعاد بالعسكر إلى خراسان وقام بتدبير دولته نظامُ الملك وزير أبيه ، فأحسن التدبير ، وأرسل إلى بغداد والأطراف فخُطِب له بها على قاعدة أبيه ألب أرسلان ، وبقى السلطان ملكشاه فى السلطنة إلى ما بعد خلافة القائم .

ومن عجيب ما وقع فى خلافته ما حكاه الشيخ أبو على ابن سينا فى كتابه « الشِّفاء » أنه فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وقع بجُرجان صاعقة ، فنَشِبَتْ فى الأرض ، ثم نَبَتْ نَبْوةَ الكُرة التى ترمى بها الحائط ثم عادت فنشبت فى الأرض ، وسمع الناس لذلك صوتا عظيما هائلا ، فتفقَّدوا أمره ، فظفروا به فى صورة حديد ملتئم من أجزاء جاوشيّة مستديرة ، قد التصق بعضها ببعض ، يزن مائة وخمسين مَنًّا ، فحُمل إلى جُرجان ،فالتمس منه محمود بن سُبُكْتكين

صاحب خراسان يومئذ إنفاذه إليه إن أمكن أو قطعة منه ، فتعذّر نقله لثقله ، فحاولوا كسر قطعة منه فلم تعمل فيه الآلات ، فأُعملت الحيلةُ فى فصل جزء منه ، فأُنفذ إليه ، فَرَامَ أَن يَطْبَع [1] منه سيفا فتعذّر عليه .

وفى سنة ستين وأربعمائة كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة ، طلع فيها الماء من رؤوس الآبار ، وهلك تحت الردم عالم كثير ، وزال البحر عن الساحل مسيرة يوم ، فنزل الناس إلى أرض البحر يلتقطون ، فرجع الماء عليهم وأهلك خلقا كثيرا .

واعلم أنه لم يكن للقائم عقب سوى ابن ابنه عبد الله [بن] ذخيرة الدين محمد بن القائم ، توفى أبوه فى حياة جده القائم ، وأُمه (١٩٣) حامل به ، فلما وضعته فرح به جده القائم ، وعظُم سروره ، فلما بلغ جعله ولىَّ عهده ، ولقَّبه ذخيرة الدين [2]

ولايات الأمصار فى خلافته

كانت الديار المصرية بيد الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله ، فبقى حتى توفى فى شعبان سنة سبع

(١) طبع السيف : عمله و صاغه .
(٢) كذا به وإنما ذخيرة الدين هو محمد بن القائم .

وعشرين وأربعمائة ، وولى بعده ابنه المستنصر بالله أبو تميم معدّ ، عقب وفاته ، فبقى إلى ما بعد خلافة القائم .

وكان على دمشق أبو محمد الأسود ، من جهة القادر بالله الخليفة قبله ، فانتزعها منه أنوشتكين الدِّزْبِرِى ، بأمر المستنصر الفاطمى فى سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، ثم أمرَ بالخروج عن طاعته فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة فخرج عنها وخرج [1] أمرها بذلك ، وبقى الأمر على ذلك إلى ما بعد خلافة القائم .

وكان على حلب من جهة الظاهر لإعزاز دين الله ابنُ شعبان ، ثم تغلب عليها صالح بن مرداس أمير بنى كلاب فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة ، ثم قُتل فى أيام الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمى المقدم ذكره ، فملكها بعده شبل الدولة نصر بن صالح ، ثم انتزعها منه أنوشتكين الدِّزْبِرِىّ بأمر المستنصر العلوى ، فى شعبان سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، وتوفى فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وملكها بعده معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس ، ثم ملك قلعتها بعد ذلك فى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ، ثم

(١) فى صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٦٤ وفسد أمرها بذلك .

تسلمها منه مكين الدولة الحسن بن علىّ بن ملهم فى سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، بصلح وقع بينه وبين الفاطميين على ذلك ، ثم انتزعها منه محمود بن شبل الدولة بن صالح المقدم ذكره ، وملك قلعتهافى سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وبقى حتى توفى فى ذى القعدة (٩٣ ب) سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وملكها بعده أخوه عطية بن صالح فى السنة المذكورة ، ثم انتزعها منه ابن أخيه محمد ابن سرى الدولة [١] فى رمضان سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة القائم .

وكانت طرابلس بيد القاضى أبى طالب عماد [٢] قاضيها وكان قد استولى عليها واستبدّ بها ، وبقى بها حتى توفى سنة أربع وستين وأربعمائة ، وملكها بعده ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عماد ، فضبطها أحسن ضبط .

وكان على مكة أبو الفتوح السليمانى من قبل الظاهر بن الحاكم الفاطمى صاحب مصر ، وتوفى أبو الفتوح سنة ثلاثين وأربعمائة ، لست وأربعين سنة من

---

(١) فى صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٦٩ ابن أخيه محمود بن شبل الدولة .
(٢) فى صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٧٤ : قاضيها أبو على بن عمار .

إمارته ، وولى بعده ابنه شُكر ، ثم ملك معها المدينة الشريفة واستضافها إليها ، وجمع بين الحرمين ثلاثا وعشرين سنة ، ومات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . وله شعر رائق منه :

قَوِّضْ خيامَك عن أَرضٍ تُضام بها
وجَانبِ الذُّلَّ إنَّ الذُّلَّ مُجْتَنَبُ

وارحَلْ إذا كان فى الأَوطان مَنْقَصَةٌ
فالمَنْدَلُ الرَّطْبُ فى أوطانه حَطَبُ

قال ابن حزم : وكانت وفاته عن غير ولد ، وانقرض بموته دولة السليمانيين بمكة ، وانتقل ذلك إلى الهواشم ، وهم بنو أَبى هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله أَبى الكِرَام بن موسى الجَون بن عبد الله بن حسن المُثنى بن الحسن السبط بن علىّ بن أَبى طالب ، فاستولى عليها محمد بن جعفر بن أَبى هاشم المقدم ذكره بعد موت شُكر ، فى سنة أَربع وخمسين وأَربعمائة ، وخَطَب للمستنصر الفاطمى صاحب مصر ، ثم خطب لبنى العباس فى سنة ثمان وخمسين وأَربعمائة ، فقُطعت ميرةُ مصر عن

مكة ، فعَذَله أَهلُه ، فأَعاد الخطبة للمستنصر الفاطمى ، ثم استماله القائم خليفة بنى العباس ، وبذل له الأَموال (١٩٤) فخطب له سنة ثنتين وستين وأَربعمائة ، بالموسم فقط ، وكتب للمستنصر بمصر يعتذر له ، ثم بعث له السلطان أَلب أَرسلان السَّلجوقى بأَموال كثيرة فى سنة ثلاث وستين وأَربعمائة ، فخطب له بنفسه ، ثم جمع محمد بن جعفر أَمير مكة وزحف إلى المدينة فأَخرج منها بنى الحسين وملكها ، وجمع بين الحرمين ، وبقى إلى ما بعد خلافة القائم . وكان على المدينة قبله أَبو عمارة حمزة ، ثم وليها بعده ابنه عبيد الله ، وكان بالمدينة سنة أَربع[1] وأَربعمائة ، ثم قُتل بالبصرة وولى بعده أَخوه الحسين ، ثم ولى بعده ابنه مهنا بن الحسين ، ثم وليها هاشم بن الحسن ابن داود سنة ثمان وعشرين وأَربعمائة من قبل المستنصر الفاطمى صاحب مصر ، ولم أَعلم ما بعد ذلك إلى حين زوال ولاية القائم .

وكان اليمن بيد نجاح عبد مرجان ، فبقى فيه حتى توفى سنة اثنتين وخمسين وأَربعمائة ، وملك بعده ابنه

---

(١) فى صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٩٩ سنة ثمان وأربعمائة .

سعيد الأَحول بن نجاح ، وبقى إلى ما بعد خلافة القائم .

وكان ما وراء النهر بيد ملوك تركستان مضافا لما بأَيديهم من ذلك ، وكانت خراسان بيد محمد بن محمود بن سبكتكين ، ثم ارتضى الجند مسعود بن سبكتكين فأَقاموه بخراسان مقام ابن أَخيه محمد بن محمود فى السنة المذكورة ، وبقى مسعود حتى غلبه على خراسان داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق فى سنة اثنتين وثلاثين وأَربعمائة ، وذلك ابتداء الدولة السلجوقية . وبقى حتى توفى سنة إحدى وخمسين وأَربعمائة وملك بعده ابنه محمد أَلب أَرسلان ، فبقى حتى قتل فى سنة خمس وستين وأَربعمائة ، عن تسع سنين وستة أَشهر وأَيام من سلطنته . وملك بعده ابنه ملكشاه بن أَلب أَرسَلان بن داود بن سلجوق ، وأَرسل إلى بغداد والأَطراف . (٩٤ ب) فخطب له بها على عادة أَبيه ، وبقى إلى ما بعد خلافة القائم .

وكان على غزنة وما معها محمد بن محمود بن سبكتكين ، فقدّم أَهل المملكة عليهم مسعود بن سبكتكين عم[1]

---

(١) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ٤٤٨ : « ثم قدم أهل المملكة عليه أخاه مسعود بن محمود » وهو الصواب ويؤيده قوله بعد ذلك ثم ملك بعده أخوه محمد المقدم ذكره .

محمد بن محمود فملكوه عليهم ، فبقى حتى قُتل فى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، ثم ملك بعده أخوه محمد المقدم ذكره ، ثم قتل من عامه ، وملك بعده ابن أخيه مودود بن مسعود وتوفى [1] سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، وملك بعده عمه عبد الرشيد ، ثم قتل فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، وملك بعده أخوه فرخزاد بن محمود[2] وتوفى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، وملك بعده أخوه الملك المؤيد إبراهيم بن مسعود ، وصَالَحَ داودَ ابن ميكائيل بن سلجوق صاحبَ خراسان ، وبقى إلى ما بعد خلافة القائم .

وكانت إفريقية والغرب الأوسط بيد المعز بن باديس ، وهو فى طاعة المستنصر الفاطمى صاحب مصر ، ثم خلع طاعته وقطع الخطبة له بإفريقية سنة أربعين وأربعمائة ، وخطب للقائم خليفة بنى العباس ببغداد ، وبقى حتى مات سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وقام بالأمر بعده ابنه تميم بن المعز بن باديس ، وغلبه العربُ على إفريقية فلم

(١) في الأصل : موردود بن محمود . والتصويب من صبح الأعشى .
(٢) في صبح الأعشى فرخزاد بن مسعود بن محمود ويراد به أنه أخو مودود ويؤيده كلامه بعده .

يكن له منها إلا ما ضمه السُّور ، وبقى إلى ما بعد خلافة القائم . ولما استولى أمير المسلمين يوسف بن ناشفين على الغرب الأَقصى فى سنة أَربع وخمسين وأَربعمائة استولى على الغرب الأَوسط ، وولى على تلمسان محمد بن سمغريم من بعده لأَخيه تاشفين ، وكان على الغرب الأَقصى . [وكان بالأَندلس هشام بن محمد] [1] فتوفى سنة ثمان وعشرين وأَربعمائة ، وبوفاته انقطعت دولة الأَمويين من الأَندلس .

وكان علىٌّ بن حمود بن ميمون بن أَحمد بن على بن عبيد الله بن عمر بن إدريس من بقايا ملوك الأَدارسة بالغرب الأَقصى ، فعبر البحر من طنجة من بر العدوة إلى مالقَة من (٩٥ ا) الأَندلس وملكها ، ودخل قرطبة قاعدة الأَندلس فى سنة سبع وأَربعمائة ، وتلقب بالناصر لدين الله ، وبقى حتى قتله غلمانه فى سنة ثمان وأَربعمائة ، وولى أَخوه القاسم ابن حمود وتلقب بالمأْمون ، ثم غلب عليه يحيي ابن أَخيه علىّ ، وملك منه قرطبة ، فملكها سنة ثنتى عشرة وأَربعمائة ، وتلقب بالمعتلى ، وعلت دولته ، وبقى حتى

(١) زيادة يستقيم بها الكلام مقتبسة من صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٤٦ .

قتل ، وولى أخوه إدريس بن علي مالقة ، وتلقب بالمتأيد بالله ، وبايعه أهل المريَّة ورُنْدَة وأعمالها . ومات سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وولى بعده حسن بن يحيي المُعتلِي وتلقب بالمستنصر ، وبايعته غَرْناطة أيضا ، ومات مسموما سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ، وبويع بعده إدريس بن يحيي المُعْتلِي ويلقّب بالعالى ، وأطاعته غرناطة وما معها[1] ، ثم قتل [محمداً وحسنا ابنى عمه إدريس ، فثار السودان بدعوة أخيهما محمد بمالقة فأسلموه] [2] وبويع محمد بن إدريس المتأيّد بمالَقَة سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ، وتلقب بالمهدى ، وأطاعته غرْناطة وجَيَّان وأعمالهما ، ثم مات سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، وبويع إدريس بن يحيي بن إدريس المتأيّد ، ولقّب الموفّق ، ولم يخطب له ، ثم غلب عليه إدريس المخلوع الملقّب بالعالى بن يحيي المعتلى . فبويع بمالقة ، وبقى بها إلى أن مات سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، وبويع محمدٌ الأَصغر بن إدريس المتأيّد ، وتلقب بالمستعلى ،

(١) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٤٨ وأطاعته غرناطة وقرمونة وما بينهما .

(٢) الزيادة من صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٤٨ لينتظم الكلام فسيأتى أنه عاد بعد خلعه وزحف إلى المتأيد ومعنى هذا أنه لم يقتل .

وخُطب له بمالَقَة والمَرِيّة ورُنْدَة ، ومات سنة ستين وأربعمائة .
وكان محمد بن قاسم بن حَمّود قد ملك الجزيرة الخضراء سنة أربع عشرة وأربعمائة ، ثم ملكها من بعده ابنه القاسم، وتلقّب بالواثق ، ومات سنة خمسين وأربعمائة ، واستولى على الجزيرة المُعْتَضد بن عَبَّاد[1] ، وانقرضت دولة بنى حمود بالأندلس ، وانتهى الحال إلى أن أمر الخلافة بالأندلس من بنى أُمية وبنى حمود (٩٥ ب) قد اضمحلّ وتلاشى ، وتفرق ملك الأندلس فى طوائف من الوزراء والموالى وكبار العرب والبربر ، وقام كل منهم بأمر ناحية ، وأخذوا فى تغلب بعضهم على بعض ، فضعف بذاك أمرهم ، حتى أعطوا الإتاوة لملوك الفرنج من بنى أدفونش .

فأما إشْبيلية وغرب الأندلس فاستولى على ذلك بنو عباد من لخم ، وكان أولهم أبو القاسم محمد بن ذى الوزارتين أبى الوليد بن إسماعيل ، ثم مات فقام بالأمر بعده ابنه عبَّاد وتلقَّب بالمعتضد ، وطالت أيامه وتغلب على أكثر الممالك بغرب الأندلس ، وبقى حتى مات سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وولى بعده ابنه أبو القاسم محمد ، وتلقب بالمعتَمِد ، وقوى أمره واستولى على دار الخلافة بقرطبة

(١) كذا و لعلها المعتضد عباد ، أو المعتمد بن عباد .

وانتزعها من يد ابن جَهْوَر ، وفرق أبناءَهُ على قواعد المُلك ، وبقى إلى ما بعد خلافة القائم .

وأما قرطبة فاستولى عليها جَهْوَر بن محمد بن جهور الكلبي سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة ، فى أيام فتنة بنى أُمية بها إلى أن يوجد خليفة ، فبقى إلى أن مات فى المحرم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة . وولى مكانه ابنه أبو الوليد محمد بن جَهْور ، وفوّض تدبير الأَمر إلى ابنه الوليد ، فأَساءَ السيرة ، فخلعه أَهل قرطبة سنة إحدى وستين وأَربعمائة ، واعتقل إلى أَن مات سنة اثنتين وستين وأَربعمائة . وولّى ابنُ عبادٍ صاحبُ إشْبيلية على قرطبة ابنَه سِراجَ الدولة ، فبقى إلى آخرِ خلافة القائم .

وأَما بَطَلْيُوس ، فكان بها عند انقراض بنى أُمية من الأَندلس أَبو محمد عبد الله بن مَسلمة التُّجِيبي المعروف بابن الأَفطس ، فاستبدَّ بها سنة إحدى وثلاثين وأَربعمائة ، ثم مات فولى بعده ابنه المظفر أَبوبكر [محمد] ، وعظم ملكه ، ومات سنة ستين وأَربعمائة ، وولى بعده ابنه المتوكل أَبو حفص عمر بن محمد ، فبقى إلى ما بعد خلافة القائم .

وأما طُلَيطلة وهى قاعدة (١٩٦) الأَندلس قبل الإسلام فاستولى عليها إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون الهوّارى . أيام فتنة بنى أمية سنة تسع وأربعمائة . «تلقّب بالظافر . وبقى حتى هلك سنة تسع وعشرين وأربعمائة . وولى مكانه ابنه أبو الحسن يحيى . وتلقب بالمأمون . وقوى ملكه وعظم شأنه وغلب على بَلَنْسِيَة وقُرطُبة . وبقى إلى آخر خلافة القائم .

وأما شاطبَة وما معها من شرق الأَندلس فاستولى عليها العامريّون من عقب المنصور بن [أَبى] عامر المتقدم ذكره ، وأول من وليها منهم المنصور عبد العزيز بن الناصر عبد الرحمن بن أَبى عامر سنة إحدى عشرة وأَربعمائة ، وبويع له بجَيَّان والمَرِيَّة بمعاضدة خَيْران العامرىّ . ثم خرج خَيْران عن طاعة المنصور . وقدّم أَبا عامر محمد بن المظفر ولقبه المؤتمن ، ثم المعتصم . ثم أَخرجه منها . ثم مات خيرانْ سنة تسع عشرة وأَربعمائة . وقام بأَمره عميد الدولة أَبو القاسم زُهير العامرى ، ثم قتل فى سنة تسع وعشرين وأَربعمائة ، ورجع الأَمر إلى المنصور عبد العزيز المقدم ذكره . وولّى على المَرِيَّة مَعْنَ بن صُمَادِح سنة ثلاث

وثلاثين وأَربعمائة ، وولَّى على بَلَنْسِية ابنَه عبد الملك ، ثم انتزعها منه المأْمون بن ذى النون سنة سبع وخمسين وأَربعمائة ، ومات المأْمون وَوَلى مكانه حافِدُه [القادر] وَوِلى على بلنسية أَبو بكر بن عبد العزيز ، من بقايا وزراء ابن أَبى عامر ، فبقى إلى ما بعد أَيام القائم .

وأَما سَرَقُسْطة والثغْر ، فاستولى عليهما منذر بن يحيى التُّجيبى أَيام فتنة بنى أُمية ، وتلقّب بالمنصور ، ثم مات سنة أَربع عشرة وأَربعمائة ، وولى مكانه ابنه يحيى وتلقب بالمظَفَّر ، ثم غلب عليه سُليمان بن محمد بن هُود وقتله فى سنة إحدى وثلاثين (٨٦ ب) وأَربعمائة ، وملك سَرَقُسْطة وتلقّب بالمستعين ، وقوى ملكه حتى ملك بَلَنْسية ودانِيَة وَلاردَة ، ومات سنة ثمان وثلاثين وأَربعمائة ، وولى بعده ابنه أَحمد وتلقب بالمُقتدر ، وبقى أَحمد إلى ما بعد خلافة القائم .

وأَما دانِيَةُ ومَيُورْقَة فاستولى عليهما مجاهد بن على ، من موالى المنصور بن أَبى عامر سنة ثلاث عشرة وأَربعمائة ، ومات سنة ست وثلاثين وأَربعمائة ، وولى بعده ابنه على وتلقَّب إقبالَ الدَّولة ، وبقى إلى ما بعد خلافة القائم [1] .

(١) انظر من استولى على غرناطة في صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٥١ ، ص ٢٥٧ .

الفهـــارس

١ ـ فهرس موضوعات الكتاب

رقم الصفحة

٢ ـ فهرس الآيات

الصفحة	الآية	رقم الآية
	سورة القصص	
١٥٣	وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ	٥
	سورة ص	
٦١،١٦	يا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ	٢٦
	سورة الجن	
٢٦٦	عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ	٢٦، ٢٧
	سورة القدر	
١٦٧	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ *	١ ـ ٣

٣ ـ فهرس الأحاديث النبوية

٤ ــ فهرس القوافى

مثلانِ : (١) أجِـعْ كلبك يتبعك ص ١٢٧ (٢) تاقل التمر إلى هجر ص ٤ — ٥

٥ ـ فهرس الكتب التى ذكرها المؤلف



٦ ـ فهرس الأعلام

٧ ـ فهرس الاماكن والطوائف

٨ ـ أيام ووقائع

٩ ـ طرائف ونوادر

مآثر الإنافة

في

معالم الخلافة

للقلقشندي

٧٥٦ - ٨٢٠ هـ

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

عالم الكتب

مآثر الإنافة

في

معالم الخلافة

للقلقشندي

٧٥٦ - ٨٢٠ هـ

الجزء الأول

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

عالم الكتب

تقديم الكتاب

للأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد

هذا كتاب جديد نفيس تقدمه سلسلة التراث العربي إلى العلماء والمثقفين . ونفاسة الكتاب آتية عن الموضوع الذى يدور عليه . ذلك لأن الخلافة في الإسلام كانت أعظم مؤسسة سياسية — دينية ، حددت نظام الحكم ووضعت أسُسَه وطُرُقه . ولم يؤلَّف كتابٌ واحدٌ يشتمل على ما يتعلّق بالخلافة ، وإنما هي شذرات نجدُها متفرقةً في التواريخ وكتب الحديث والفقة والإدارة ، فجاء القلقشندى فجمع أخبارها ، منذ نشأتها إلى أيامه ، مفصّلة مبوبة ، حتى غدا هذا الكتاب أول مرجع يرجع إليه الباحث في هذا الموضوع .

وكنا اقترحنا على وزارة الإرشاد والأنباء تحقيق هذا الكتاب لشأنه الذى بيّنا ، واقترحنا أن يقوم على تحقيقه العالم المجتهد عبد الستار فرّاج ، فقبلت مشكورة اقتراحنا . وها هوذا الكتاب يصدر للناس .

والمعنيّون بالتراث العربي يعرفون ما حققه وأصدره الأستاذ عبدالستار من قبل ، من عيون المخطوطات القديمة النادرة ، وليس من سبيل إلى تعدادها كلها ، ويكفى أن نذكر أنه أخرج كتاب الورقة لابن الجراح ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، والوزراء للصابى ، ومعجم الشعراء للمرزبانى ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ، وأخبار أبى نواس لأبى هِفّان ، وشرح أشعار الهذليّين للسكّرى ، وأخرج تسعة أجزاء من كتاب الأغانى لأبى الفرج أتمّ بها ما صدر عن دار الكتب المصرية . وهذا كله نتاج غزير ، أوتى صاحبه عليه الكثير من الثناء والتقدير .

فالشكر مرة ثانية لوزارة الإرشاد والانباء التى خدمت دولة الكويت بإصدارها هذه السلسلة ، وجعلتها محل إعجاب العالم وخاصة المستشرقين ، الذين قدّروا ما صدر منها أعظم تقدير .

والله هو الموفق

بيروت　　　　　　　　صلاح الدين المنجد



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب «مآثر الإنافة في معالم الخلافة» من الكتب النادرة التى لم تطبع من قبل ، ألّفه القلقشندى صاحب كتاب «صبح الأعشى في كتابة الإنشا» ، والذى يرى كتابه «صبح الأعشى» يدرك مقدار ما للمؤلف من سعة اطّلاع وكثرة معلومات ، ويعرف أن تراثنا حافل بالمثمر المفيد .

وكتاب «مآثر الإنافة» تجرى فيه المعلومات بطريقة مرتبة ؛ في دقة ونظام بديع ، وتتوالى الحوادث والتواريخ بأسلوب سهل ممتنع ،بحيث ينطلق وراءها القارئ في غير ملل ولا سأم ،ثم تجيء بعدذلك أنواع العهود والعقود والمخاطبات ، فيلمس القارئ ما بين العصور من تفاوت ، في الإنشاء والبيان ، من أسلوب جميل ، إلى سجع متكلف ، هذا إلى جانب ما ساقه المؤلف من طرائف وأوائل وتنبيهات تمتع القارئ وتزيد معلوماته ومعارفه .

وإن الشكر ليوجّه «إلى وزارة الإرشاد والانباء» في الكويت ، الـتى أفسحت صدرها لنشر تراثنا العربى في أحسن ثوب .

والقلقشندى أحمد بن عبد الله ، ولد سنة ست وخمسين وسبعمائة واشتغل بالفقه وغيره ، وسمع على علماء عصره ، وبرع في العربية نظماً ونثراً.وكتب في الإنشاء ، وناب في الحكم ، يجمع إلى كل ذلك تواضعاً ومروءة وخيراً ، توفي يوم السبت عاشر جمادى الآخرة سنة ٨٢١ هـ وله خمس وستون سنة .

ترجم له السخاوى في الضوء اللامع باسم أحمد بن على بن أحمد بن عبدالله الشهاب بن الجمال أبى اليمن الفزارى القلقشندى ثم القاهرى . وترجم له صاحب شذرات الذهب في وفيات سنة ٨٢١ هـ فذكره أيضاً باسم أحمد بن على (١)

لكن النسخة المخطوطة التى حققتها من « مآثر الإنافة » كتب عليها ما يأتى :

« كتاب مآثر الإنافة في معالم الخلافة

مما قصد بتأليفه الديوان العزيزىّ العالى المولوىّ السيدىّ النبوىّ الإمامىّ الأعظمى المعتضدىّ . أعزّ الله به تعالى الدين

تأليف الفقير إلى الله تعالى

أحمد بن عبدالله القلقشندى الشافعى

قرن الله مقاصده بالقبول »

وقال السخاوى في الضوء اللامع : إن العينى والمقريزى ترجما للقلقشندى ، وذكرا أن والدهُ اسمه عبدالله . ثم عقب على ذلك بقوله : وهو وَهَمٌ .

إلاّ أن المثبت على مخطوطة « مآثر الإنافة » ينفى هذا الوهم ، وبخاصة أن النسخة خزائنية جميلة الخط ، مُحلاّة الغلاف ، وإن كان لم يثبت تاريخ نسخها ، ولولا مافيها من بعض الأخطاء لقلت إنها بخط المؤلف نفسه (٢) .

وقد صورت نسخة هذا الكتاب من مكتبة حميدالله .

وهذا الكتاب ألفه القلقشندى بعد كتابه « صبح الأعشى » وكتابه « نهاية الأرب في أنساب العرب » ، فقد أشار إليهما في « مآثر الإنافة » وبخاصة

---

(١) وجاء أيضاً في الأعلام للزركلى باسم أحمد بن على ، عن الضوء اللامع وبعض المراجع الحديثة .

(٢) انظر عن القلقشندى أيضاً ما نشره الدكتور عبد اللطيف حمزة في سلسلة أعلام العرب . وما كتبه الأستاذ إبراهيم الأبيارى في مقدمة كتاب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب .

« صبح الأعشى » الذى أكثر من ذكره عند ذكر العهود والمكاتبات .
ويلاحظ أن النصوص التى في «مآثر الإنافة» و«صبح الأعشى» تتفق في نقص بعض الجُمَل التى أدخلها محققو صبح الأعشى ، وأن الكتابين يصحح كل منهما الآخر فيما دخلهما من تصحيف .

ويبدو أن « مآثر الإنافة » آخر ما ألفه ، ولم يُذْكَر هذا الكتاب في الضوء اللامع ولا شذرات الذهب وخفى اسمه على المحدثين ويقول القلقشندى في كتابه مآثر الإنافة الجزء الثانى صفحة ٢١١ ما يأتى : « إلى حين تأليف هذا الكتاب في مبادئ سنة تسع عشرة وثمانمائة ». وفي صفحة ٢٥٥ «وهو القائم بها إلى زماننا في سنة ثمان عشرة وثمانمائة » .

ومعلوم أن القلقشندى توفي في منتصف عام ٨٢١ هجرية. وما في هذا الكتاب وطريقته يُغْنيان عن أدلة تثبت أن صاحبه هُوَ القلقشندى. والقلقشندى نسبة إلى «قَلْقَشَنْدَة» بلدة من أعمال القليوبية بمصر. وهو أيضاً عربىٌ أصيل من قبيلة فزارة من ذبيان من غطفان ، وقد نص على ذلك في كتابه صبح الأعشى ج ١ ص ٣٤٥ قال :

« ومن فزارة بنو مازن وبنو بدر ، فأما بنو مازن فهم بنو مازن بن فزارة . وأما بنو بدر فهم بنو بدر بن عَدِىّ بن فزارة ، قال في العبر : وفيهم كانت رياسة بنى فزارة في الجاهلية ، يرأسون جميع غطفان ، وتَدين لهم قيس وإخوانهم بنو ثعلبة بن عَدِىّ ، ومنهم كان حذيفة بن بدر صاحب الفرس المعروفة بالغبراء المقدم ذكرها « صفحة ٣٤٤ » ومن بنى بدر هؤلاء وبنى عمهم بنى مازن جماعةٌ بالقليوبية من الديار المصرية . قلت : وبنو بَدْرٍ هم قبيلتنا التى إليها نَعْتزِى ، وفيها ننتسب ، وأهل بلدتنا قَلْقَشَنْدَة نصفهم من بنى بدر ونصفهم من بنى مازن » .

فلا عجب إذن أن يجد الكتاب قبولاً لدى دولة عربية كريمة هى الكويت ، فتنشره ضمن سلسلة « التراث العربى » التى نرجو الله أن يجعلها متصلة الحلقات ، جامعة لما يفخر به العرب في كل مكان وزمان .

عبد الستار أحمد فراج